

السيرة النبوية وأخبار الخلفاء

للامام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان
ابن أحمد التميمي البستي

تحقيق و مراجعة
سعد كريم الفقي



حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين نحمده سبحانه وتعالى ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتح الله به قلوبنا غلغلاً وآذاننا صمماً وأعينا عمياً نشهد أنه أدنى الأمانه وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة فجزاه الله عنا خير الجزاء بعد .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (١) ﴿٣٣﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (٢) ﴿٣٤﴾

أما بعد

إن خير الكلام كتاب الله عز وجل وخير الهدى هدى محمد ﷺ . وشر الأمور محدثاتها وكل محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وما قل وكفى خير مما كثر وألهى وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين . ثم أما بعد .

إن في حياة النبي وصحابته عليهم رضوان الله تعالى العبر والعظات التي لا تحصى ولا تعد كقصص السابقين تماماً من الأنبياء والمرسلين قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١١١) ﴿٣٥﴾

(١) سورة لقمان الآية ٣٣ .

(٢) سورة الحج الآية ١ - ٢ .

(٣) سورة يوسف الآية ١١١ .

فالنبي ﷺ قاسوا في سبيل الدعوة الإسلامية الكثير ولاقوا أنواعاً كثيرة من العذاب ومع ذلك كانوا صادقين مع أنفسهم صادقين مع الله تبارك وتعالى صادقين في أسلامهم صادقين في توحيدهم لله تبارك وتعالى . قال تعالى ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (٢٣) فوجب على المسلم الذي يغار على دينه أن يتمثل بهم وأن يختفى أثرهم والله در الشاعر حينما يقول

أحب الصالحين ولست منهم لعل أن أنال بهم شفاعه

وقد سرد الأمام العالم الفاضل المتقن المحقق الحافظ العلامة محمد بن حبان ابن أحمد بن حبان التميمي البستي أبو حاتم المتوفى سنة ٣٥٤ هـ سيرة رسول الله ﷺ وغزواته وحياته . وسيرة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وملوك بني أمية وبني العباس بأسلوب سهل ميسر في تناول كل طالب علم .

حيث أنه يتميز عن باقي من كتب في السيرة النبوية كابن اسحاق وابن هشام وابن كثير وابن الأثير وغيرهم بركة أسلوبه وجمال لفظه وتناول موضوعاته .

وأخير أسأل الله تبارك وتعالى

أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما جهلنا إنه نعم المولى ونعم النصير .

وأخبر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتب

سعد كريم الفقى

عفا الله عنه وعن والديه والمسلمين

ترجمة المؤلف

الإمام العالم الفاضل المتقن ، المحقق الحافظ العلامة
محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي ، أبو حاتم
المتوفى سنة ٣٥٤ هـ

اسمه ونسبه :

هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان - بكسر الحاء المهملة وبالباء
الموحدة فيهما - ابن معاذ بن معبد - بالباء الموحدة - بن سعيد بن سَهيد -
بفتح السين المهملة وكسر الهاء - ويقال : ابن معبد بن هدية - بفتح الهاء
وكسر الدال وتشديد الياء آخر الحروف - بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن
زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم
ابن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو
حاتم التميمي البستي ، القاضي ، أحد الأئمة الرحالين والمصنفين^(١) .
وُلِدَ ببُست ، وهي مدينة كبيرة بين هراة وغزنة (من بلاد كابل عاصمة
أفغان اليوم)^(٢) .

ذكر نبذة عن شيوخه وذكر ابتداء طلبه للعلم والرحلة فيه :

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان - بتحقيق أحمد شاكر (١ / ٥١ - ٥٢) .

(٢) مقدمة الإحسان بتحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين أسد (١ / ١٠) .

قال الحاكم النيسابورى : « كان ابن حبان من أوعية العلم فى الفقه واللغة والحديث والوعظ ، ومن عقلاء الرجال ، قدم نيسابور سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة ، فسار إلى قضاء نسا ، ثم انصرف إلينا فى سنة سبع ، فأقام عندنا بنيسابور ، وبنى الخانقاه ، وقرىء عليه جملة من مصنفاته ، ثم خرج من نيسابور إلى وطنه سجستان عام أربعين ، وكانت الرحلة إليه لسماع حديثه^(١) » فهذا نص هام يحفظ لنا نموذج من رحلة « ابن حبان » فى طلب العلم ، أما أهم شيوخه^(٢) :

- الحسن بن سفيان (سمع منه فى نسا) .
- عمران بن موسى بن مجاشع الجرجاني (سمع منه بجرجان) .
- محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى (سمع منه بمكة المكرمة) .
- أحمد بن شعيب بن على النسائي (سمع منه بفسطاط مصر) .
- عبد الله بن محمد بن مسلم الخطيب المقدسى (سمع منه ببيت المقدس) .
- أحمد بن عمير بن جوصاء الحافظ الدمشقى (سمع منه بدمشق) .
- محمد بن الحسن أبى بكر بن قتيبة العسقلاني (سمع منه بالرملة) .
- على بن سعيد العسكرى (سمع منه بسمراء) .
- الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان (سمع منه بالركة) .
- أبو عبد الرحمن : عبد الله بن محمود بن سليمان (سمع منه بمرور) .
- محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج (سمع منه بنيسابور) .
- أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيصى (سمع منه بحلب) .
- محمد بن أبى المعافى بن سليمان الصيداوى (سمع منه بصيدا) .

(١) معجم البلدان ، لياقوت الحموى (١ / ٤١٧) .

(٢) للتعرف على مزيد من شيوخ الحافظ الرحالة ابن حبان انظر :

- روضة العقلاء - لابن حبان (المؤلف) .

- مقدمة موارد الظمان (٧ - ١٠) .

- معجم البلدان (١ / ٤١٥ - ٤١٧) .

- جعفر بن محمد الهمداني (سمع منه بصور) .
 - محمد بن عبد الله بن الفضل الكلاعي الراهب (سمع منه بجمص) .
 فهذا قدراً قليلاً للتعرف على ناحية من شيوخ هذا الإمام الحافظ .
 « لقد وفق ابن حبان في رحلته الطويلة أيما توفيق ، فقد اجتمع له من
 الشيوخ والروايات والأخبار الشيء الكثير ، والعدد الوفير ، فقد جاء في مقدمة
 صحيحه أنه كتب عن أكثر من ألفي شيخ ، وهذا العدد الجَمّ من الشيوخ يندر
 أن تجده في إمام من الأئمة ، إلا أنه حين شرع في تدوين الصحيح ، أسقط
 كثيراً من الشيوخ ، ولم يعتد بروايتهم ، لأنه لم يتحقق فيهم شروط الصحة
 التي أبان عنها في مقدمة كتابه ، واقتصر على مئة وخمسين شيخاً منهم ، أقل
 أو أكثر ، وقد عول على عشرين منهم ، أدار السنن عليهم ، واقتنع بروايتهم
 عن رواية غيرهم ، فقد جاء في المقدمة :
 « ولم نرو في كتابنا هذا إلا عن مئة وخمسين شيخاً ، أقل أو أكثر ، ولعل
 معول كتابنا هذا يكون على نحو من عشرين شيخاً ، أدركنا السنن عليهم واقتنعنا
 بروايتهم عن رواية غيرهم » (١) .
 ويعلق الإمام الذهبي على النص فيقول (٢) : « كذا فلنكن الهمة ، هذا مع ما
 كان عليه من الفقه والتربية ، والفضائل الباهرة ، وكثرة التصانيف »
 ثناء أهل العلم عليه :

قال أبو سعد عبد الرحمن بن أحمد الإدريسي :
 « أبو حاتم البستي كان من فقهاء الناس ، وحفاظ الآثار ، المشهورين في
 الأمصار والأقطار ، عالماً بالطب والنجوم وفنون العلوم ، ألف المسند الصحيح ،
 والتاريخ ، والضعفاء ، والكتب المشهورة في كل فن ، وفقّه الناس بسمرقند ،
 ثم تحوّل إلى بَست » (٣) .

(١) سير أعلام النبلاء ١٦ ، ترجمة (٧٠) .

(٢) مقدمة الإحسان (١ / ١١٤) شاکر .

(٣) مقدمة الإحسان للأمير علاء الدين الفارسي (ت ٧٣٩ هـ) (١ / ٥٤ - شاکر) .

وقال عبد الله بن محمد الأستراباذي :
« وكان ابن حبان من فقهاء الدين ، وحَفَظَ الآثار ، عالماً بالطب والنجوم ،
وفنون العلم »^(١) .

وقال الإمام الذهبي :
« وكان عارفاً بالطب والنجوم والفقه ، رأساً في معرفة الحديث »^(٢) .

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان :
« كان ابن حبان مُكثراً من الحديث والرَّحْلة والشيوخ ، عالماً بالمتون
والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عَجَزَ عنه غيره ، ومن تأمل تصانيفه
تأمل مُنْصِف ، علِمَ أن الرجل كان بَحْراً في العلوم »^(٣) .
وقال ابن حجر العسقلاني ، الحافظ :

« كان من أئمة زمانه ، وطلب الحديث على رأس سنة ثلاث مئة » وقال
أيضاً : « وكان عارفاً بالطب والنجوم والكلام والفقه ، رأساً في معرفة الحديث ،
ووصفه بأنه صاحب فنون ، وذكاء مفرط ، وحفظ واسع إلى الغاية »^(٤) .
وقال الحاكم ، تلميذه ، صاحب المستدرک :

« أبو حاتم البستي القاضي ، كان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث
والبوعظ ، ومن عقلاء الرجال . صنَّفَ فخرج له من التصنيف في الحديث ما
لم يسبق إليه »^(٥) .

وقال الإسنوي : « كان من أوعية العلم لغة وحديثاً ، وفقهاً ووعظاً ، ومن
عقلاء الرجال »^(٦) .

وقال الصلاح الصفدي :

-
- (١) معجم البلدان (١ / ٤١٨) .
(٢) ميزان الاعتدال (٣ / ٥٠٦) .
(٣) معجم البلدان (١ / ٤٣) .
(٤) لسان الميزان (٥ / ١١٢) .
(٥) الأنساب (٢ / ٢٠٩) ، معجم البلدان (١ / ٤١٧) .
(٦) شذرات الذهب (٣ / ١٦) .

« كان من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار ، عالماً بالطب والنجوم ، وفنون العلم »^(١) .

وقال ابن العماد الحنبلي :

« العالمُ الحَبْرُ ، والعلامةُ البَحْرُ ، كان حافظاً ثَبَّتاً ، إماماً حجةً ، أحد أوعية العلم في الحديث والفقه واللغة والوعظ وغير ذلك حتى الطب والنجوم والكلام »^(٢) .

وقال ابن الأثير :

« إمامُ عصره ، له تصانيف لم يسبق إليها »^(٣) .

وقال ابن كثير :

محمد بن حبان صاحب ، الأنواع والتقسيم « وأحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين »^(٤) .

وقال الخطيب البغدادي :

« وكان ابن حبان ثقة نبيلاً فاضلاً »^(٥) .

(١) الوافي بالوفيات (٢ / ٣١٨) .

(٢) شذرات الذهب (٣ / ١٦) .

(٣) اللباب (١ / ١٥١) .

(٤) البداية والنهاية (١١ / ٢٥٩) .

(٥) نقله عنه الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٦ ، ترجمة رقم (٧٠) .

السيرة النبوية

للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن أحمد التميمي البستي
المتوفى سنة ٣٥٤ هـ

تحقيق ومراجعة

سعد كريم الفقى

عفا الله عنه وعن والديه والمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

قال أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي :

الحمد لله الذي ليس له حد محدود فيتوى ، ولا له أجل معدود فيفنى ، ولا يحيط به جوامع المكان ، ولا يشتمل عليه تواتر الزمان ، ولا يدرك نعمته بالشواهد والحواس ، ولا يقاس صفات ذاته بالناس ، تعاظم قدره عن مبالغ نعت الواصفين ، وجل وصفه عن إدراك غاية الناطقين ، وكل دون وصف صفاته تحبير ، اللغات ، وضل عن بلوغ قصده تصريف الصفات ، وجاز فى ملكوته غامضات أنواع التدبير ، وانقطع عن دون بلوغه عميقات جوامع التفكير ، « وانعقدت دون » استبقاء حمده ألسن المجتهدين ، وانقطعت إليه جوامع أفكار آمال المنكرين ، إذ لا شريك له فى الملك ولا نظير ، ولا مشير له فى الحكم ولا وزير ، وأشهد أن لا إله إلا الله أحصى كل شىء عدداً ، وضرب لكل امرئ « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ » (١) ، وأشهد أن محمداً عبده المجتبى ، ورسوله المرتضى ، بعثه بالنور الساطع ، والضياء اللامع ، فبلغ عن الله عز وجل الرسالة ، وأوضح فيما دعا إليه الدلالة ، فكان فى اتباع سنته لزوم الهدى ، وفى قبول ما أتى به وجود السنا ، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين .

أما بعد ! فإن الله اختار محمداً ﷺ من عباده ، واستخلصه لنفسه من بلاده ، فبعثه إلى خلقه بالحق بشيراً ، ومن النار لمن زاغ عن سبيله نذيراً ، ليدعو [الخلق] من عباده إلى عبادته ، ومن اتباع السبيل إلى لزوم طاعته ، ثم لم يجعل الفزع عند وقوع حادثة ، ولا الهرب عند وجود كل نازلة ، إلا إلى الذى أنزل عليه التنزيل ، وتفضل على عباده بولايته التأويل ، فسنته الفاصلة بين

المتنازعين ، وآثاره القاطعة بين الخصمين .

فلما رأيت معرفة السنن من أعظم أركان الدين ، وأن حفظها يجب على أكثر المسلمين ، وأنه لا سبيل إلى معرفة السقيم من الصحيح ، ولا صحة إخراج الدليل من الصريح ، إلا بمعرفة ضعف المحدثين وكيفية ما كانوا عليه من الحالات ، أردت أن أملئ أسامي أكثر المحدثين ، ومن الفقهاء من أهل الفضل والصالحين ، ومن سلك سبيلهم من الماضين ، بحذف الأسانيد والإكثار ، ولزوم سلوك الاختصار ، ليسهل على الفقهاء حفظها ، ولا يصعب على الحفاظ وعبثها ، والله أسأل التوفيق لما أوصانا ، والعون على ما له قصدنا ، وأسأله أن يبنى دار المقامة من نعمته ، ومنتهى الغاية من كرامته ، فى أعلى درجة الأبرار المنتخبين الأخيار ، إنه جواد كريم ، رؤوف رحيم .

تذكر الحث على لزوم سنن المصطفى ﷺ

أخبرنا أحمد بن مكرم بن خالد البرتى ثنا على بن المدينى ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن يزيد ثنا خالد بن معدان حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر ابن حجر الكلاعى قالا : أتينا العرياض بن سارية وهو ممن نزل فيه ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾^(١) فسلمنا وقلنا : أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين ، فقال العرياض : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودّع ، فماذا تعهد إلينا ؟ قال : «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشيّاً مجدعاً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً ! فعليكم بستی سنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ! فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة»^(٢) . قال الوليد : فذكرت هذا الحديث لعبد الله بن العلاء بن زهر ؟ فقال : نعم ، حدثنى بنحو من هذا الحديث .

(١) سورة التوبة آية ٩٢ .

(٢) حديث صحيح رواه أصحاب السنن فى كتبهم بإسناد صحيح .

قال أبو حاتم : إن الله جلّ وعلا اصطفى محمداً ﷺ من بين خلقه ، وبعثه بالحق بشيراً ونذيراً ، وافترض على خلقه طاعته ومذكوره وحدثنا فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (١) وقال ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ﴾ (٢) الآية فأمر الله بطاعة رسوله مع طاعته ، وعند التنازع بالرجوع إلى سنته ، إذ هو المفزع الذى لا منازعة لأحد من الخلق فيه ، فمن تنازع فى شيء بعد رسول الله ﷺ وجب ردّ أمره إلى قضاء الله ثم إلى قضاء رسوله ﷺ ، لأن طاعة رسوله طاعته ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ ﴾ (٣) الآية ، وقال ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (٤) ، فقد أعلمهم جلّ وعلا أن اتباعهم رسوله اتباعه ، وأن طاعتهم له [طاعته] ، ثم ضمن الجنة لمن أطاع رسوله واتباع ما أجاهه ، فقال : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ (٥) الآية ، ثم أعلمنا جلّ وعلا أنه لم يجعل الحكم بينه وبين خلقه إلا رسوله ، ونفى الإيمان عن من لم يحكمه فيما شجر بينهم ، قال ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الآية ، ثم أعلمنا جلّ وعلا أن دعاهم إلى رسوله ليحكم بينهم إنما دعاهم إلى حكم الله ، لا أن الحاكم بينهم ورسول الله ﷺ ، وأنهم متى ما سلموا الحكم لرسول الله ﷺ فقد سلموه بفرض الله ، قال الله عز وجل ﴿ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ، ذا حكم الله فرضه بالزام خلقه طاعة رسوله ، وإعلامهم أنها طاعته ، ثم أعلمنا أن الفرض على رسوله اتباع أمره ، فقال ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنْ

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٦ .

(٣) سورة الفتح آية ١٠ .

(٤) سورة النساء آية ٨٠ .

(٥) سورة النساء آية ٦٩ .

المُشْرِكِينَ (١٠٦) ﴿١﴾ ، وقال جل وعلا ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ ﴾ (٢) الآية ، وقال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطْعَمِ الْكُفْرِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ خَيْرًا ﴾ (٣) ثم شهد الله جل وعلا لرسوله باتباع أمره واستمساك بأمره لما سبق في علمه من إبعاده بعصمته وتوفيقه للهدى مع هداية من اتبعه ، فقال ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ (٤) الآية ، ثم أمره الله جل

وعلا بتبليغ ما أنزل إليه مع الشهادة له بالعصمة من بين الناس . فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ لَمَّ أَلَمًا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٥) ، ثم أعلمنا أن الذي يهدى إليه رسوله هو الصراط المستقيم الذي أمرنا باتباعه فقال ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٦) ففي هذه الآية التي طولناها ما أقام بها الحجة على خلقه بالتسليم لحكم رسول الله ﷺ واتباع أمره ، فكل ما بين رسول الله ﷺ فيما ليس لله فيه حكم فبحكم الله سنه ووجب علينا اتباعه ، وفي العنود عن اتباعه معصية ، إذ لا حكم بين الله وبين خلقه إلا الذي وصفه الله جل وعلا موضع الإبانة لخلقه عنه .

فالواجب على كل من انتحل العلم أو نسب إليه حفظ سنن المصطفى ﷺ والتفقه فيها ، ولا حيلة لأحد في السبيل إلى حفظها إلا بمعرفة تاريخ المحدثين ، ومعرفة الضعفاء منهم من الثقات ، لأنه متى لم يعرف ذاك لم يحسن تمييز الصحيح من السقيم ، ولا عرف المسند من المرسل ، ولا الموقوف من المنقطع ، فإذا وقف على أسمائهم وأنسابهم وعرف - أعني بعضهم بعضاً - وميز العدول من الضعفاء ، وجب عليه حينئذ التفقه فيها ، والعمل بها ، ثم إصلاح النية في

(١) سورة الأنعام آية ١٠٦ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٢ .

(٤) سورة النساء آية ١١٣ .

(٥) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٦) سورة الشورى آية ٥٢ .

شرها إلى من بعده رجاء استكمال الثواب في العقبي بفعله ذلك ، إذ العلم من أفضل ما يخلف المرء بعده ، سأل الله الفوز على ما يقربنا إليه ويزلفنا لديه .

ذكر الجث على نشر العلم

إذ هو من خير ما يخلف المرء بعده

أخبرنا الفضل بن الحباب ثنا موسى بن إسماعيل ثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »

ذكر الخبر الدال على استحباب حفظ تاريخ المحدثين

أخبرنا محمد بن محمد الهمداني ثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ثنا بشر ابن المفضل ثنا ابن عون عن محمد بن سيرين^(١) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبي بكرة ذكر النبي ﷺ قال : « وقف على بعيره وأمسك إنسان بخطامه - أو قال : بزمامه - فقال : أى يوم هذا ؟ » فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه ، فقال : « أليس بيوم النحر ؟ » قلنا : بلى ، قال : « فأى شهر هذا ؟ » فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه فقال : « أليس بذي الحجة ؟ قلنا : بلى ، قال : فأى بلد هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه ، فقال : « أليس البلد الحرام ؟ » قلنا : بلى ، فقال : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا ! ليلغ الشاهد منكم الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من أوعى له منه » .

قال أبو حاتم فى قوله ﷺ : ليلغ الشاهد منكم الغائب ، كالدليل على استحباب حفظ تاريخ المحدثين ، الوقوف على معرفة الثقات منهم من الضعفاء ، إذ لا يتهيأ للمرء أن يبلغ الغائب ما شهد إلا بعد المعرفة بصحة ما يؤدى إلى من بعده ، وأنه إذا أدى إلى من بعده ما لم يصح عن رسول الله ﷺ فكأنه لم يؤد عنه ﷺ شيئاً ، ولا سبب له إلى معرفة صحة الأخبار وسقيمتها إلا بمعرفة تاريخ من

(١) هو محمد بن سيرين الأنصارى ، أبو بكر بن أبي عمرة البصرى ، ثقة ثبت عابد ، كبير القدر ، كان

لا يرى الرواية بالمعنى من الطبقة الثالثة توفى سنة ١١٠ هـ أخرج له أصحاب الأصول الستة

انظر تقرير التهديد ١٦٩/٢ ترجمة ٢٩٥١

ذكر اسمه من المحدثين وكتاباً أبير فيه الضعفاء والمتروكين ، وأبدأ منهما بالثقات . فنذكر ما كانوا عليه في الحالات ، فأول ما أبدأ في كتابنا هذا ذكر المصطفى ﷺ ومولده ومبعثه ، وهجرته إلى أن قبضه الله تعالى إلى جنته ، ثم نذكر بعده الخلفاء الراشدين المهديين بأيامهم إلى أن قتل على رحمة الله عليه ، ثم نذكر صاحب رسول الله ﷺ واحداً واحداً على المعجم ، إذ هم خير الناس قرناً بعد رسول الله ﷺ ، ثم نذكر بعدهم التابعين الذين شافهوا أصحاب رسول الله ﷺ في الأقاليم كلها على المعجم ، إذ هم خير الناس بعد الصحابة قرناً ، ثم نذكر القرن الثالث الذين رأوا التابعين ، فأذكرهم على نحو ما ذكرنا الطبقتين الأولين ، ثم نذكر القرن الرابع الذين هم أتباع التابعين على سبيل من قبلهم ، وهذا القرن ينتهي إلى زماننا هذا .

ولا أذكر في هذا الكتاب الأول إلا الثقات الذين يجوز الاحتجاج بخبرهم ، وأقنع بهذين الكتابين المختصرين عن كتاب « التاريخ الكبير » الذي خرجناه لعلنا بصعوبة حفظ كل ما فيه من الأسانيد والطرق والحكايات ، ولأن ما نعلمه في هذين الكتابين أن يسر الله ذلك وسهله من توصيف الأسماء بقصد ما يحتاج إليه يكون أسهل على المتعلم إذا قصد الحفظ ، وأنشط له في وعيه إذا أراد العلم من التكلف بحفظ ما لو أغض عنه في البداية لم يخرج في فعله من التكلف لحفظ ذلك ، فكل من أذكره في هذا الكتاب الأول فهو صدوق ، يجوز الاحتجاج بخبره إذا تعرض خبره عن خصال خمس ، فإذا وجد خبر منكر عن واحد ممن أذكره في كتابي هذا فإن ذلك الخبر لا ينفك من إحدى خمس خصال : إما أن يكون فوق الشيخ الذي ذكرت اسمه في كتابي هذا في الإسناد رجل ضعيف لا يحتج بخبره ، أو يكون دونه رجل واه لا يجوز الاحتجاج بروايته ، والخبر يكون مراسلاً لا يلزمنا به الحجة ، أو يكون منقطعاً لا يقوم بمثله الحجة ، أو يكون في الإسناد رجل مدلس لم يبين سماعه في الخبر من الذي سمعه منه ، فإن المدلس ما لم يبين سماع خبره عمر كتب عنه لا يجوز الاحتجاج بذلك الخبر لأنه لا بدري نعله سمعه من ساد ضعيف يظل

الخبر بذكره إذا وقف عليه وعرف الخبر به ، فما لم يقل المدلس في خبره وإن كان ثقة : سمعت أو : حدثني ، فلا يجوز الاحتجاج بخبره ؛ فذكرت هذه المسألة بكما لها بالعلل والشواهد والحكايات في « كتاب شرائط الأخبار » ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب ، وإنما أذكر في هذا الكتاب الشيخ بعد الشيخ وقد ضعفه بعض أئمتنا ، ووثقه بعضهم ، فمن صح عندي منهم أنه ثقة بالدلائل النيرة التي بينها في كتاب الفصل بين النقلة أدخلته في هذا الكتاب لأنه يجوز الاحتجاج بخبره ، ومن صح عندي أنه ضعيف بالبراهين الواضحة التي ذكرتها في كتاب « الفصل بين النقلة » لم أذكره في هذا الكتاب ، لكنني أدخلته في « كتاب الضعفاء بالعلل » ، لأنه لا يجوز الاحتجاج بخبره ، فكل من ذكرته في كتابي هذا إذا تعرض خبره عن الخصال الخمس التي ذكرتها فهو عدل يجوز الاحتجاج بخبره ، لأن العدل من لم يعرف منه الجرح ضد التعديل ، فمن لم يعلم بجرح فهو عدل إذا لم يبين ضده ، إذ لم يكلف الناس من النا معرفة ما غاب عنهم ! وإنما كلفوا الحكم بالظاهر من الأشياء غير المغيب ؛ جعلنا الله ممن أسبل عليه جلايب السر في الدنيا واتصل ذلك بالعفو عن جنائياته في العقبي ! إنه الفعال لما يريد .

ذكر مولد رسول الله ﷺ

أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببغداد ثنا يحيى بن معين ثنا حجاج بن محمد [عن يونس بن أبي إسحاق] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل .

قال أبو حاتم : ولد^(١) النبي ﷺ عام الفيل يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في اليوم الذي بعث الله طيراً أبابيل على أصحاب الفيل ، وكان من شأن الفيل أن ملكاً كان باليمن غلب عليها وكان أصله من

(١) في تاريخ ولادته ﷺ اختلاف ، قال ابن عساكر في ذكر مولده ١ / ٢٨٠ ما نصه « روى البيهقي في دلائل النبوة بسنده إلى ابن عباس أنه قال : ولد نبيكم يوم الاثنين ونبيء يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، وفتح مكة يوم الاثنين ، ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين » اليوم أكملت لكم دينكم وأنتم على نعمتي « وتوفي يوم الاثنين (زاد في رواية : ودخل المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم الاثنين) =

الحبشة يقال له « أبرهة » بنى كنيسة بصنعاء فسمّاها « القليس » وزعم أنه يصرف إليها حج العرب ، وحلف أنه يسير إلى الكعبة فيهدمها ، فخرج ملك ، من ملوك حمير فيمن أطاعه من قومه يقال له « ذو نفر » فقاتله ، فهزّمه أبرهة وأخذه ، فلما أتى به قال له ذو نفر : أيها الملك ! لا تقتلني فإن استبقائي خير لك من قتلي ، فاستبقاه ، وأوثقه ، ثم خرج سائراً يريد الكعبة ، حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه النفيل بن حبيب الخثعمي ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزّمهم وأخذ النفيل ، فقال النفيل : أيها الملك ! إني عالم بأرض العرب فلا تقتلني وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة ، فاستبقاه وخرج معه يدله ، حتى إذا بلغ الطائف خرج معه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال : أيها الملك ! نحن عبيد لك ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا وبيتك الذي تريد - يعنون - اللات إنما تريد البيت الذي بمكة ، نحن نبعث معك من يدلك عليه ، فبعثوا معه مولى لهم يقال له « أبو رغال » ، فخرج معهم حتى إذا كان بالمغمس مات « أبو رغال » وهو الذي رجم قبره ، وبعث أبرهة من المغمس رجلاً يقال له الأسود بن مقصود على مقدمة خيله ، فجمع إليه أهل الحرم ، وأصاب لعبد المطلب مائتي بغير بالأراك ، ثم بعث

= وفي رواية ابن إسحاق أن ولادته كانت في ربيع الأول ، وفيه كانت هجرته ووفاته . وروى شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : حمل برسول الله ﷺ في عاشوراء المحرم وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل ، وقد اختلفت الروايات في شهر مولده الشريف وفي عام ولادته أيضاً كما رأيت بعض ذلك ، فمن قائل إنه ولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأول ، ومن قائل : إنه ولد لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان حين طلع الفجر ، وفي ليلة مولده حجبت الشياطين عن استراق السمع ورميت بالشهب ، وفيها أقوال غير ذلك ، وذكر اليعقوبي في تاريخه ٢ / ٧ « وكان مولد رسول الله ﷺ عام الفيل ، بينه وبين الفيل خمسون ليلة ، وولد على ما قال أصحاب الحساب بقران العقرب . قال - ما شاء الله - المنجم : كان طالع السنة التي كان فيها القران الذي دل على مولد رسول الله ﷺ الميزان الثنتين وعشرين درجة حد الزهرة وبيتها والمشتري في العقرب ثلاث درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة ، وزحل في العقرب ست درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة راجعاً ، والزهرة في الحمل على درجة وست وخمسين دقيقة ، وعطارد في الحمل على ثاني عشرة درجة وست وعشرة دقيقة راجعاً ، والمرجع في الجوزاء اثنتي عشرة درجة وخمسة عشرة دقيقة والقمر وسط السماء في السرطان درجة وعشرين دقيقة .

أبرهة حناطة الحميرى إلى أهل مكة فقال : سل عن شريفها ثم أبلغه أنى لم أت لقتال ، إنما جئت لأهدم هذا البيت ، فانطلق حناطة حتى دخل مكة ، فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال : إن الملك أرسلنى إليك ليخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه ، إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم ، فقال عبد المطلب ما عندنا له قتال ، فقال : سنخلى بينه وبين البيت ، فإن خلى الله بينه وبينه فوالله ما لنا به قوة ! قال : فانطلق معى إليه ، قال : فخرج معه حتى قدم المعسكر وكان « ذو نفر » صديقاً لعبد المطلب فأتاه فقال : يا ذا نفر ! هل عندكم من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال : ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة وعشية ، ولكن سأبعث لك إلى أنيس سائس الفيل فأمره أن يضع لك عند الملك ما أستطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده ، قال : فأرسل إلى أنيس فأتاه ، فقال : إن هذا سيد قريش ، صاحب عين مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى الجبال وقد أصاب له الملك مائتى بعير ، فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فإنه صديق لى ، فدخل أنيس على أبرهة فقال : أيها الملك ! هذا سيد قريش وصاحب عين مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له ، فقد جاءك غير ناصب لك ولا مخالف عليك . فأذن له ، وكان عبد المطلب رجلاً عظيماً جسيماً وسيماً ، فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه ، وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته ، فهبط إلى البساط فجلس عليه معه ، فقال له عبد المطلب : [أيها الملك] إنك قد أصبت لى مالا عظيماً فأردده علىّ ، فقال له : لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت فيك ، قال : ولم ؟ قال : جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وعصمتكم ومنعتكم لأهدمه فلم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك ! قال : أنا رب هذه الإبل ، ولهذا البيت رب سيمنعه ! قال : ما كان ليمنعه منى ! قال : فأنت وذاك ! قال : فأمر بإبله فردت عليه ، ثم خرج عبد المطلب وأخبر قريشاً الخبر وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب ، وأصبح

أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وعبى جيشه وقرب فيله وحمل عليه ما أراد أن يحمل وهو قائم ، فلما حركه وقف وكاد أن يرزم إلى الأرض فيبرك ، فضربه بالمعول في رأسه فأبى ، فأدخلوا محاجنهم تحت أقرانه ومرافقه فأبى ، فوجهوه إلى اليمن فهرول ، فصرفوه إلى الحرم فوقف ، ولحق الفيل بجبل من تلك الجبال ، فأرسل [الله] الطير من البحر كالبلسان^(١) ، مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجله ، وحجر في منقاره ، ويحملن أمثال الحمص والعذس من الحجارة ، فإذا غشين القوم أرسلنها عليهم ، فلم تصب تلك الحجارة أحد إلا هلك ، وليس كل القوم أصاب فذلك قول الله تعالى ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ السورة كلها ، وبعث الله على أبرهة داء في جسده ، ورجعوا سراعاً يتساقطون في كل بلد ، وجعل أبرهة تتساقط أنامله ، كلما سقطت أنملة اتبعها مدة من قيح ودم فانتهى إلى اليمن وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه ثم مات ، فلما هلك استخلف ابنه يكسوم بن أبرهة فهذا ما كان من شأن الفيل ، وسميت هذه السنة « سنة الفيل » .

ذكر نسب سيد ولد آدم وأول من تنشق الأرض

عنه يوم القيامة ﷺ

أخبرنا عبد الله بن محمد بن سالم بيت المقدس ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي حدثنا شداد أبو عمار عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله ﷺ : إن الله اصطفى [كنانة] من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، . واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفاني من بنى هاشم ؛ فأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأنا أول شافع وأول

(١) التصحيح من مجمع بحار الأنوار وفيه « بعث الله الطير على أصحاب الفيل كالبلسان ، قال عباد أظنها الزراير والبلسان شجر كثير الورق ينبت بمصر وله دهن معروف ، وقال البيهقي في دلائل النبوة ما نصه « عن محمد بن سيرين عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى : « وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم » قال طير لها خراطيم كخراطيم الطير وأنف كأنف الكلاب .

مشفع^(١) .

قال أبو حاتم : نسبة رسول الله ﷺ تصح إلى عدنان ، وما وراء عدنان فليس عندى فيه شيء صحيح أعتمد عليه غير أنى أذكر اختلافهم فيه بعضهم لبعض من ليس ذلك من صناعته : فهو ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب - واسم عبد المطلب شيبة - بن هاشم - واسم هاشم عمرو - بن عبد مناف - واسم عبد مناف المغيرة - بن قصي - واسم قصي زيد - بن كلاب - وهو المهذب - بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر - وهو قريش - بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(٢) إلى هنا ليس بين النسابة خلاف فيه ؛ ومن عدنان هم مختلفون فيه إلى إبراهيم .

فمنهم من قال : عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعقوب بن نبت بن نابت بن أنوش بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن آزر .
ومنهم من قال : عدنان بن أدد بن الهميسع بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر .

ومنهم من قال : عدنان بن أد بن سحب بن أيوب بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر .

ومنهم من قال : عدنان بن أدد بن أمين بن شاجب بن ثعلبة بن عتر بن يريج بن محلم بن العوام بن المحتمل بن دائمة بن العيقان بن علة بن شحدود

(١) ذكره السمعاني في الأنساب في نسب بنى هاشم ١ / ١٥ من طريق عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي إلى قوله عليه السلام « واصطفاني من بنى هاشم » .

(٢) وفي الأنساب ١ / ١٣ ذكر السمعاني نسب رسول الله ﷺ بروايته عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن عابر بن صالح بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر بن تارح بن ماخور بن شارح بن فالغ بن عابر - وهو هود النبي ﷺ - بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن معوشلح بن خنوخ - وهو إدريس - بن أدد بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم صلوات الله على الأنبياء أجمعين - رواه الهيثم بن خالد عن موسى بن أيوب » .

ابن الظريف بن عبقر بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر .
 ومنهم من قال عدنان بن أدد بن عوج بن المعظم بن الطمح بن القسود بن
 العبور بن دعدع بن محمود بن الزائد بن بدان بن المدر بن حصن بن النزال
 ابن القاسم بن المجشر بن معدد بن صيفى بن النبت بن قيدير بن إسماعيل بن
 إبراهيم بن آزر .

ثم اختلفوا أيضاً فيما فوق إبراهيم :
 فمنهم من قال : إبراهيم بن آزر بن ناحور بن شارغ بن الراغ بن القاسم
 الذى قسم الأرض بين أهلها ابن معن بن السايح بن الرافد بن السايح وهو سام
 بن نوح نبي الله عليه الصلاة والسلام .
 ومنهم من قال : إبراهيم بن آزر بن ناحور بن صاروح بن أرغو بن فالغ بن
 عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح .
 ومنهم من قال : إبراهيم بن آزر بن تارخ بن ناحور بن ساروح بن أرغو بن
 فالج بن عبير بن سايح بن أرفخشذ بن سام بن نوح .
 ثم اختلفوا فيما بعد نوح عليه السلام فمنهم من قال : نوح بن ملكان بن
 متوشلخ بن إدريس نبي الله ﷺ بن الرائد بن مهلهل بن قنان بن الطاهر بن هبة
 الله بن شيث بن آدم .

ومنهم من قال : نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس النبي
 عليه السلام بن يارز بن مهليل بن قبش بن أنش بن شيث بن آدم .
 ومنهم من قال : نوح بن لامك بن شلح بن خنوخ بن يارزا بن مهلائيل بن
 قينان بن أنوش بن شيث بن آدم .
 ومنهم من قال : نوح بن لامك بن متوشلخ بن مهليل بن قينين بن يافش
 ابن شيث بن آدم .

وأم رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة
 بن كعب بن لؤى بن غالب . ولم يكن لها أخ - فيكون خالاً للنبي ﷺ - إلا

عبد يغوث بن وهب ، ولكن بنو زهرة يقولون : إنهم أحوال رسول الله ﷺ ، لأن أمنة أم رسول الله ﷺ كانت منهم . وأم أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة اسمها مرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي . وأمها أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي . وأمها برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى . هؤلاء جدات رسول الله ﷺ من قبل أم أمه .

وأما جداته ﷺ من قبل أبي أمه : فإن أم وهب بن عبد مناف بن زهرة اسمها قيلة بنت أبي قيلة ، واسم أبي قيلة فهر بن غالب بن الحارث ، وهو غبشان ، وكان يعير بأبي كبشة الذى نسبت قريش رسول الله ﷺ إليه إذن كان مشركاً فتنصر لما سافر إلى الشام ورجع إلى قريش بدين غير دينها ، فغيرت قريش رسول الله ﷺ به (١) .

وأما أم قيلة خالدة بنت عابس بن كرب بن الحارث بن الفهر . وأم عبد مناف وأم زهرة جدة أم رسول الله ﷺ فاسمها جمل بنت مالك بن سعد بن سعد بن مليح . وأمها سلمى بنت حيان بن غنم . وأم زهرة بن كلاب جدة جدة رسول الله ﷺ اسمها فاطمة بنت سعد بن سيل بن حرب . وأمها طريفة بنت قيس بن ذى الرأسين بن عمرو بن قيس بن عيلان .

وأما أمهات آبائه ﷺ فإن أم (٢) عبد الله بن عبد المطلب اسمها عاتكة بنت أرقص بن مالك بن زهرة ، وهى أول العواتك اللاتى ولدن رسول الله ﷺ .

وأما أم عبد المطلب بن هاشم فهى سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خدّاش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار لذلك .

وأم هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة وهى الثانية من العواتك ، وهى أم هاشم بن عبد مناف والمطلب بن عبد

(١) وفى الدلائل ما لفظه « ونسبوه إليه فقالوا ابن أبى كبشة »

(٢) وفى الطبرى ١٧٢/٢ « وكان عبد الله والوزير وعبد مناف وهو أبو طالب بنو عبد المطلب لأم واحدة

وأهمهم جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ »

مناف وعبد شمس بن عبد مناف ؛ وإنما سمي هاشم هاشماً لأنه هشم الثريد لقوله :

عمرو العلي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون^(١) عجاف^(٢)
وكان اسمه عمرو العلاء . وأم عبد مناف بن قصي اسمها حبي بنت حليل
ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة ، فهي والدة عبد الدار
وعبد العزى أولاد قصي بن كلاب . وأم قصي فاطمة بنت سعيد بن سيل بن
حرب بن حمالة بن عوف بن الأزد ، وكان قصي يسمي مجمعا لأن الله به
جمع القبائل من فهر . وأم كلاب بن مرة هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث
ابن مالك بن كنانة ، وهي والدة ابن مرة ويقظة ابني مرة . وأم مرة بن كعب
مخشية بنت شيان بن محارب بن فهر ، وقد قيل وحشية بنت محارب بن فهر .
وأم كعب بن لوى ماوية بنت كعب بن القين بن أسد بن وبرة . وأم لوى بن
غالب سلمى بنت عمرو بن عامر بن حارثة بن خزاعة . وأم غالب بن فهر
عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة ، وهي إحدى العواتك اللاتي ولدن النبي
ﷺ ، ما قال النبي ﷺ يوم حنين : أنا ابن العواتك . وأم فهر بن مالك جندلة
بنت الحارث بن عامر بن الحارث الجرهني .

وأم مالك بن النضر عكرشة بنت عدوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس
ابن عيلان .

وأم النضر بن كنانة برة بنت مرأخت تميم بن مر ، وقيل : إنها فكهة بنت
هني بن بلي ، والنضر هو قيس ، وإنما قيل للنضر : قريش ، لتجمعها من تفرق
من بيتها ، لأن التقرش هو التجمع . وأما أم كنانة فهي عوانة - وقد قيل :
هند - بنت سعد بن قيس عيلان . وأما أم خزيمة بن مدركة فهي سلمى بنت
سعد بن قيس بن الحاف بن قضاة .

وأما أم مدركة بن إلياس فهي خندف ، وهي ليلي بنت حلوان بن عمران بن
الحاف بن قضاة ، وكان لإلياس بن مضر ثلاثة من البنين : عمرو وهو مدركة ،

(١) مستنون : جائعون .

(٢) عجاف : يقال عجف عجفاً أي هزل وضعف فهو أعجف ، وهي عجفاء (ج) عجف وعجاف .
وفي القرآن الكريم ﴿ يَأْكُلْهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ ﴾ .

وعامر وهو طابخة ، وعمير فهو قمعة ، وأمهم خندف ، وإنما سمي هؤلاء بهذه الأسماء لأن الناس خرجوا في نجعة لهم فنفرت إبلهم من أرنب فخرج في أثرها عمرو فأدركها فسمى^(١) مدركة ، وأخذها عامر فنحر منها وطبخها فسمى طابخة ، وانقمع عمير في الخباء ولم يخرج معها فسمى قمعة ، وخرجت أمهم تمشي في طلب الإبل فقليل لها : أين تخدفين وقدرت الإبل ، فسميت خندف ، والخندفة ضرب من المشي .

وأم إلياس^(٢) بن مضر الراباة^(٣) بنت إلياس بن معد .

وأم مضر بن نزار سودة بنت عك^(٤) بن عدنان بن أدد .

وأم نزار بن معد معانة بنت جوش بن جلهمة بن عمرو بن حليمة بن حرميه .

وأم معد بن عدنان مهددة بنت جلدب بن جدیس .

وأم عدنان بن أدد بلها بنت ماعز بن قحطان .

فهذه جوامع ما يحتاج إليه معرفة نسبة أمهات آباء رسول الله ﷺ .

وأما أولاد عبد المطلب فهم عشرة : عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ ، والزبير بن عبد المطلب ، والعباس بن عبد المطلب ، وحزمة بن عبد المطلب ، والمقوم بن عبد المطلب واسمه عبد العزى ، والحارث بن عبد المطلب . والغيداق ابن عبد المطلب ، وأبو لهب بن عبد المطلب ، وأبو طالب ابن عبد المطلب اسمه عبد مناف .

(١) وقال ابن جرير في تاريخه ١٨٩/٢ « وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يرعيانها فاقتنصا صيداً فقعدا يطبخانه وعدت عادية على إبلهما فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد فقال عمرو بل أطبخ الصيد فلحق عامر الإبل فجاء بها فلما راحا على أبيهما فحاثاه شأنهما قال لعامر : أنت مدركة وقال لعمرو : وأنت طابخة »

(٢) وفي الروض الأنف ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمناً . وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ بالحج . وإلياس أول من أهدى البدن للبيت » . وفي جمهرة الأنساب أمه « أسمى بنت سودة » .

(٣) وفي الطبري « الرباب بنت حيدرة بن معد » وفي الروض « وأم إلياس الرباب بنت حميرة بن معد بن عدنان »

(٤) وفي الطبري ونسب قريش فولد نزار : مضر ، وإياداً ، وأمهما : خبية بنت عكرمة .

فأما عبد الله والد رسول الله ﷺ فإنه لم يكن له ولد غير رسول الله ﷺ لا ذكر ولا أنثى ، وتوفى ^(١) قبل أن يولد رسول الله ﷺ ، وكان عبد الله والد رسول الله ﷺ وأبو طالب من أم واحد .

وأما الزبير ^(٢) بن عبد المطلب فكنيته أبو طاهر وكان من أجلة قريش وفرسانها ، وكان من المبارزين وكان يقول الشعر فيجيز .

وأما العباس ^(٣) بن عبد المطلب فإن كنيته أبو الفضل ، وكان إليه السقاية وزمزم في الجاهلية ، فلما فتح رسول الله ﷺ دفعها إليه يوم فتح مكة ، ومات العباس سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان وهو ابن ثمان وثمانين سنة بالمدينة ، وصلى عليه عثمان بن عفان .

وأما ضرار ^(٤) بن عبد المطلب فإنه كان يتعاطى بقول الشعر ، ومات قبل الإسلام من غير أن يعقب .

وأما حمزة ^(٥) بن عبد المطلب فإن كنيته أبو عمار ، وكان أسد الله وأسد رسول الله ﷺ ، وقد قيل إن كنيته أبو يعلى ، استشهد يوم أحد ، قتله وحشى ابن حرب مولى جبير بن مطعم في شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة ، وكان

(١) في تاريخ يعقوبى « وكانت سنة يوم توفى خمسا وعشرين » وقال ابن جرير في تاريخه « وبشه أبوه إلى المدينة في ميعة يحمل لهم تمرأ فمات بالمدينة فبعث عبد المطلب ابنه الحارث في طلبه حين أبطأ فوجده قد مات . وقال الواقدي : والثابت عندنا ليس بين أصحابنا فيه اختلاف أن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في عيد لقريش فنزل بالمدينة وهو مريض فأقام بها حتى توفى ودفن في الدار النابتة ، وقيل التابعة في الدار الصغرى إذا دخلت الدار عن يسار ليس بين أصحابنا في هذا اختلاف .

(٢) في تاريخ يعقوبى « وأوصى عبد المطلب إلى ابنه الزبير بالحكومة وأمر الكعبة » .

(٣) وله ترجمة في الإصابة ٣٠/٤ وفيها « ولد قبل رسول الله ﷺ بستين وضاع وهو صغير فنذرت أمه إن وجدته أن تكسو البيت فوجده فكست البيت الحرير فهي أول من كساه ذلك ، فيقال إنه أسلم وكتم قومه ذلك ، وصار يكتب إلى النبي ﷺ بالأخبار ، ثم هاجر قبل الفتح بقليل وشهد الفتح وثبت يوم حنين ، ومات بالمدينة في رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين » .

(٤) وفي تاريخ يعقوبى « والعباس » ، وضرار أمهما نائلة بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط » .

(٥) وله ترجمة في الإصابة ٣٧/٢ ما نصها « حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى ، أبو عمار عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتها ثرية مولاة أبي لهب كما ثبت في الصحيحين =

حمزة أكبر من النبي ﷺ بستتين .

وأما المقوم بن عبد المطلب فكان من رجالات قريش ، هلك قبل الإسلام ، ولا عقب له .

وأما أبو لهب بن عبد المطلب فكنته أبو عقبة وإنما سمي أبو لهب لجماله ، وكان أحول ، ممن يعادى رسول الله ﷺ من بين عمومته ، ويظهر له حسداً إلى أن مات عليه من العدسة في عقب يوم بدر لما بلغه ما كان في ذلك اليوم من المشركين من النكاية من المسلمين كمد منه حتى مات .

وأما الحارث بن عبد المطلب فهو أكبر ولد عبد المطلب ، واسمه كنته ، وهو ممن حفر بئر زمزم مع عبد المطلب .

وأما الغيداق بن عبد المطلب فإنه مات ولم يعقب وكان من رجالات قريش .
وأما أبو طالب^(١) بن عبد المطلب فكان هو وعبد الله بن عبد المطلب لأُم واحدة ، وكان وصى عبد المطلب ، وأوصى إليه عبد المطلب في ماله بعده وفي حفظ رسول الله ﷺ وتعهده على ما كان يتعهده عبد المطلب في حياته ، ومات أبو طالب قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ بثلاث سنين وأربعة عشر .

وأما عمات رسول الله ﷺ فهن ست بنات لعبد المطلب بن هاشم لصلبه ،

= ، وأسلم في السنة الثالثة من البعثة ، وعاش دون الستين ، ودفن حمزة وعبد الله بن جحش في قبر واحد . عن خليفة عن حمزة بن عبد المطلب عن النبي ﷺ قال : « الزموا هذا الدعاء : اللهم إني أسألك باسمك الأعظم ورضوانك الأكبر - الحديث » .

(١) وله ترجمة في الإعلام للزركلي ٤ / ٣١٥ ما نصه : « أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، من قريش ، أبو طالب ، والد علي رضي الله عنه ، وعم النبي ﷺ وكافله ومربيه ومناصره ، كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم ، ومن الخطباء السقلاء الأباة ، وكان له تجارة كسائر قريش ، نشأ النبي ﷺ في بيته ، وسافر معه إلى الشام في صباه ، ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام هم أقرباؤه (بنو قريش) بقتله ، فحماه أبو طالب وصدهم عنه ، فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام فامتنع خوفاً من أن تعيره العرب بتركه دين آبائه ، ووعد بنصرته وحمائته ، وفيه الآية « إنك لا تهدي من أحببت » واستمر على ذلك إلى أن توفي ، فاضطر المسلمون للهجرة من مكة ، وفي الحديث : « ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » وله ترجمة أيضاً في طبقات ابن سعد (١) : ٧٥ ، وابن الأثير ٢ : ٣٤

أولهن عاتكة بنت عبد المطلب ، وأميمة بنت عبد المطلب ، وأروى ^(١) بنت عبد المطلب ، والبيضاء بنت عبد المطلب وهي أم حكيم ، وبرة بنت عبد المطلب ، وصفية بنت عبد المطلب .

فأما عاتكة بنت عبد المطلب فكانت عند أبي أمية بن المغيرة المخزومي .
وأما أميمة بنت عبد المطلب فكانت عند جحش بن رثاب الأسدي .
وأما البيضاء بنت عبد المطلب فكانت عند كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس .

وأما برة بنت عبد المطلب فكانت عند عبد الأسد بن هلال المخزومي .
وأما صفية ^(٢) بنت عبد المطلب فكانت عند العوام بن خويلد بن أسد .
وأما أروى بنت عبد المطلب فكانت عند عمير بن قصي بن كلاب . ولم يسلم من عمات النبي ﷺ إلا صفية وهي والددة الزبير بن العوام ، وتوفيت صفية في خلافة عمر بن الخطاب .

فهذه جوامع ما يجب أن يحفظ من ذكر عمومة رسول الله ﷺ وعماته ^(٣) .
وأما أم رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف فإنها لما وضعت جاءت به إلى جده عبد المطلب وأخبرته أنها رأت حين حملت به في النوم أنه قيل لها

(١) ولها ترجمة في الاستيعاب ٧٠٢/٢ وفيها : « أروى بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وذكرها أبو جعفر العقيلي في الصحابة وذكر أيضاً : عاتكة بنت عبد المطلب وأبي غيره من ذلك وهما مختلف في إسلامهما ، فأما محمد بن إسحاق ومن قال بقوله فذكر أنه لم يسلم من عمات رسول الله ﷺ إلا صفية ، وغيره يقول إن أروى وصفية أسلمتا جميعاً من عمات رسول الله ﷺ » .

(٢) ولها ترجمة في الإصابة ١٢٨/٨ ، وهي والددة الزبير بن العوام أحد العشرة ، وهي شقيقة حمزة أمها هالة بنت وهب ، وهي أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين .

(٣) قال اليعقوبي في تاريخ ١١/٢ « وكان لعبد المطلب من الولد الذكور عشرة ومن الإناث أربع : عبد الله أبو رسول الله ﷺ ، وأبو طالب وهو عبد مناف ، والزبير وهو أبو الطاهر ، وعبد الكعبة وهو المقوم وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهي أم أم حكيم البيضاء ، وعاتكة وبرة وأروى وأميمة وصفية بنات عبد المطلب ، والحارث وهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يكنى ، وقثم ، وأمهما صفية بنت جندب بن حجر بن رثاب بن حبيب بن سؤدة بن عامر بن صعصعة ، وحمزة وهو أبو يعلى أسد الله وأسد رسول الله ، وأمه هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة وهي أم صفية بنت عبد =

حملت سيد هذه الأمة^١ فإذا وصعته فسميه محمداً^(١) ، فأخذه عبد المطلب فذهب به على هبل في جوف الكعبة ، وقام عنده يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، فقالت أمه رأيت في المنام كأنه خرج مني نور أضاء لي قصور الشام

ثم التمس له الرضاعة فاسترضع رسول الله ﷺ من امرأة من بني سعد ابن بكر يقال لها : حليلة بنت أبي ذؤيب وأبو ذؤيب اسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، وزوج حليلة اسمه الحارث ابن عبد العزى بن رفاعه من بني سعب بن بكر ، وأخو رسول الله الذي أرضعته حليلة مع رسول الله ﷺ اسمه عبد الله بن الحارث بن عبد العزى ولعبد الله هذا أختان من حليلة : إحداهما أنيسة والأخرى جذامة بنت الحارث بن عبد العزى . قالت حليلة : خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء بمكة ، فخرجت على أتان لي قمراء في سنة شهباء ومعى زوجي ، ومعنا شارف لنا والله إن تبض بقطرة من لبن ، ومعى صبي لي لا ننام ليلتنا من بكائه وما في ثديي ما يغنيه ، فلما قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه ، وإنما نرجوا الكرامة في رضاع من يرضع له من والد المولود وكان يتيماً فكنا نقول : ما عسى أن تصنع به أمه ، فكنا نأباه حتى لم يبق من صواحيبي امرأة إلا أخذت رضيعه غيري ، فكرهت أن أرجع ولم آخذ شيئاً وقد أخذ صواحيبي ما أردن ، فقلت لزوجي والله لأرجع إلى ذلك اليتيم ولأخذه^١

= المطلب والعباس . وضرار ، أمهما نقيلة بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط ، وأبو لهب وهو عبد العزى . وأمه لبي بنت هاجر بن عبد مناف بن ضامر الخزاعي ، والغيداق وهو جحل وإنما سمي الغيداق لأنه كان أجود قريش وأطعمهم للطعام . وأمه ممنة بنت عمرو بن مالك بن نوفل الخزاعي وهؤلاء أعمام رسول الله ﷺ وعماته .

^١ وزاد في الطبري ودلائل النبوة : فإذا وصعته فقولى أعينه بالواحد . من شر كل حاسد ، ثم سميه محمداً .

قالت : فأتيتته فأخذته ثم رجعت إلى رحلى ، قال زوجى أصبت والله يا حليلة ! عسى أن يجعل فيه خيراً ، قالت فوالله ما هو إلا أن وضعته في حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء الله من لبن فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى ، ثم قام زوجى إلى شاربنا من الليل فإذا بها حافل فحلب لبناً ، فشربت حتى رويت وشرب حتى روى ؛ فبتنا بخير وقد نام صبينا وروى ، فقال زوجى : والله يا حليلة ! ما أراك إلا أصبت نسمة مباركة ، قالت : ثم خرجنا فوالله ! لخرجت أتانى أمام الركب حتى أنهم ليقولون لى : يا ويحك كفى علينا أليست هذه بأتانك التى خرجت عليها ؟ فأقول والله بلى ، حتى قدمنا أرضنا من حاضرنى سعد بن بكر ، قالت : قدمنا على أجذب أرض ، فوالذى نفس حليلة بيده ! إن كانوا ليسرحون بأغنماهم إذا أصبحوا ويسرح راعى غنمى فتروح غنمى حفلاً بطاناً لبناً وتروح أغنماهم جيعاً هالكة ما بها من لبن فنشرب ما شئنا من اللبن وما من الحاضر أحد يحلب قطرة ولا يجدها ، قالت فيقولون لرعاتهم : ويلكم ! ألا تسرحون حيث يسرح راعى حليلة ؟ فيسرحون فى الشعب الذى يسرح فيه فتروح أغنماهم جيعاً هالكة وتروح غنمى حفلاً لبناً ، قالت : وكان يشب^(١) فى اليوم شباب الصبى فى الشهر ، ويشب فى الشهر شباب الصبى فى السنة .

فلما بلغ سنتين قدمنا به على أمه ، فقالت : إن لابنى هذا شأناً ! إنى حملت به فوالله ما حملت حملاً قط كان أخف على منه ! ولقد رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء منه أعناق الإبل ببصرى - أو قالت قصور بصرى - ثم وضعته ، فوالله ! ما وقع كما يقع الصبيان ! لقد وقع معتمداً على يديه إلى الأرض رافعاً رأسه إلى السماء ، فدعاه عنكما فقبضته وانطلقا

(١) وفى الطبرى : حتى مضت سنتان وفصلته وكان يشب شاباً لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً ، فقدمنا به على أمه ونحن نحرس على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته ، فكلمنا أمه وقلنا لها : يا ظفر لو أركت لى عندى حتى يغلظ فإنى أخشى عليه وباء مكة قالت فلم نزل بها حتى ردناه معنا ، قالت فرجعنا .

قال أبو حاتم : فتوفيت أمه ﷺ بالأبواء ورسول الله ﷺ ابن أربع سنين^(١) وكان عبد المطلب من أشفق الناس عليه وأبر الآباء به إلى أن توفي عبد المطلب ورسول الله ﷺ بن ثمان^(٢) سنين ، وأوصى به إلى أبي طالب ، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب وذلك أن عبد الله وأبا طالب كانا لأم ، فكان أبو طالب الذى يلى أمور رسول الله ﷺ بعد عبد المطلب إلى أن راهقه ، وبلغ مبلغ الرجال ، وكان أبو طالب إذا رأى رسول الله ﷺ قال :

فشفق له من اسمه ليُجِلَّه فَدُّوا العرش محمود وهذا محمد

ذكر فى الاستيعاب لابن عبد البر بإسناده إلى ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعه وجعل له مأدبة سماه محمداً ؛ قال ابن عبد البر بعد هذا : قال يحيى بن أيوب : ما وجدنا هذا الحديث عند أحد إلا عند ابن أبي السرى العسقلانى ، قال : وقد روى أن رسول الله ﷺ ولد مختوناً مسروراً - يعنى : مقطوع السرة .

(١) وفى الطبرى ١٣١/١ عن ابن إسحاق أن أم رسول الله ﷺ آمنة توفيت ورسول الله ﷺ ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قدمت به المدينة على أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم فماتت وهى راجعة به إلى مكة . وعن عثمان بن صفوان أن قبر آمنة بنت وهب فى شعب أبي ذر بمكة .

(٢) كذا قال أبو جعفر الطبرى ، وقال : وكان بعضهم يقول ترفى عبد المطلب ورسول الله ابن عشر

ذكر خروج النبي ﷺ إلى الشام

حدثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو بكر بن أبي شيبة^(١) ثنا قراد أبو نوح ثنا يونس ابن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبي موسى قال : خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله وأشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب . وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج لهم ولا يلتفت إليهم فأتاهم وهم يحلون رواحلهم وأحلاسهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال : هذا سيد العالمين ! هذا رسول رب العالمين ! هذا يبعثه الله رحمة للعالمين ! فقال له أشياخ قريش : ما علمك ؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ، ولا يسجدون إلا لنبى ، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ، ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهاهم به وكان هو ﷺ فى رعية الإبل قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله ، فقال : انظروا إليه ، عليه غمامة تظله ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فئ الشجرة ، فلما جلس مال عليه قال : فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم لو رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا إن هذا النبى خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلا وقد بعث إليه ناس ، وإننا أخبرنا بخبره فبعثنا إلى طريقك هذا ، فقال لهم : « أفرأيتم أمراً إذا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ » قالوا : لا ، فتابعوه وأقاموا معه ، قال فأتاهم فقال لهم : « أنشدكم بالله أيكم وليه ؟ » قال أبو طالب : أنا ، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالاً وزوده الراهب من الكعك والزيت .

قال أبو حاتم : فقدم رسول الله بمكة ، وكانت سفرته الثانية مع ميسرة غلام خديجة ، ثم تزوج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد ، وهو ابن خمس وعشرين سنة وخويلد هو ابن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب

(١) أبو بكر بن أبي شيبة هو عبد الله بن محمد بن إبراهيم الحافظ الكوفى روى عن أبي الأحوص وابن المبارك وشريك وغيرهم وعنه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه وغيرهم وثقه المجلى وأبو حاتم ، مات سنة ٢٣٥ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٦ / ٢ .

ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب وكانت قبل أن يتزوج بها رسول الله ﷺ تحت أبي هالة أخى بنى تميم ثم كانت تحت عتيق بن عائد ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان السبب فى ذلك أن خديجة كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشئ يجعله لهم منه ، وكانت قريش قوماً تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكريم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له : « ميسرة » فقبله منها رسول الله ﷺ ، وخرج فى مالها معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام ، نزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة قريبة من صومعة راهب من الرهبان ، فأطلع الراهب ميسرة فقال : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ظلاً على رأس رسول الله ﷺ من الشمس وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بماله باعت ما جاء به ، وأخبرها ميسرة عن قول الراهب وعن ما كان من أمر الإطلال ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها بعثت إلى رسول الله ﷺ وقالت : إني قد رغبت فيك وفى قرابتك وفى أمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً ، فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك ﷺ لأعمامه فخرج معه حمزة بن عبد المطلب عمه حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه ، فزوجها ^(١) من

(١) فى الطبرى « فتزوجها »

رسول الله ﷺ؛ فولد له منها زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، والقاسم وكان به يكنى والطاهر^(١) والطيب فهلكوا قبل الوحي .

وأما البنات فكلهن أسلمن وهاجرن إلى المدينة ، وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد - وكان ابن عمها وكان نصرانياً قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان من الإطلال عليه ، فقال ورقة : إن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن بهذه الأمة سيظهر في هذا الوقت .

ذكر تفضل الله على رسوله المصطفى ﷺ

بالكرامة والنبوة بين خلق آدم ونفخ الروح فيه

أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان الطائي ثنا العباس بن عثمان البجلي ثنا الوليد ابن مسلم ثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ : متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » - عليه الصلاة والسلام .

ذكر صفة بدء الوحي على رسول الله ﷺ^(٢)

أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان ثنا ابن أبي السرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة^(٣) قالت : أول ما ابتدئ

(١) وفي الطبري : « فأما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا قبل الوحي »

(٢) قال أبو جعفر الطبري : « وكان بناء قريش الكعبة بعد الفجار بخمس عشرة سنة وكان بين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة ، واختلف السلف في سن رسول الله ﷺ حين نبي كم كانت ؟ فقال بعضهم نبي رسول الله ﷺ بعدما بنت قريش الكعبة بخمس سنين وبعدها تمت له من مولده أربعون سنة ، وروى ابن جرير عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة . عن عمر رحمه الله تعالى أنه قال للنبي ﷺ : يا نبي الله صوم الاثنين ؟ قال : « ذلك يوم ولدت فيه ويوم أنزلت علي فيه النبوة » قال أبو جعفر : وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم واختلفوا في أي الاثنين كان ذلك ، فقال بعضهم : نزل القرآن على رسول الله ﷺ لثمانى عشرة خلت من رمضان .

(٣) روى ابن جرير في تاريخه ٢٠٥/٢ بإسناده وفيه « فحدثني أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء قال : حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت النعمان بن راشد يحدث عن الزهري عن عروة عن عائشة - إلخ ، رواه البخاري (١/١) في : باب كيف كان بدء الوحي » .

به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة يراها في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حجب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه - وهو التعبّد في الليالي ذوات العدد - ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال : «اقرأ» قال رسول الله ﷺ فقلت : «ما أنا بقارئ» ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال لي : «اقرأ» فقلت : «ما أنا بقارئ» ، فأخذني فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : «اقرأ» ، فقلت : «ما أنا بقارئ» ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : «اقرأ باسم ربك الذي خلق» حتى بلغ «ما لم يعلم» قال : فرجع بها ترجف فقّوده حتى دخل على خديجة فقال : «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، ثم قال : «يا خديجة ! مالي ؟» وأخبرها الخبر وقال : «قد خشيت على» ، فقالت : كلا ! أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً ! إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ؛ ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قصي وهو عم خديجة أخو أبيها ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي يكتبه بالعربية من الإنجيل ما شاء أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمر - فقالت له خديجة : أي عم ! اسمع من أخيك ، فقال ورقة : يا ابن أخي : ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ! يا ليتني أكون فيها جذعاً ! يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك ! فقال رسول الله ﷺ «أمخرجي هم ؟» قال : نعم ، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وأودى ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ؛ ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً غداً منه مراراً لكي يتردى من رؤوس شواهد الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل كي يلقي نفسه منها فيرى له جبريل ، فقال له : يا محمد ! إنك

رسول الله حقاً ! فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طال عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فيقول له مثل ذلك .

قال أبو حاتم : روى في بدء الوحي عن النبي ﷺ خبران : خبر عن عائشة وخبر عن جابر ، فأما خبر عائشة فقد ذكرناه ، وأما خبر جابر فحدثناه عبد الله ابن محمد بن سالم ببیت المقدس ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ثنا الوليد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن : أى القرآن أنزل أول ؟ قال : « يا أيها المدثر » فقلت : أو « اقرأ » ؟ قال : إني أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ ، قال : « جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى ، فتوديت فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فلم أر أحداً ، ثم نوديت فنظرت إلى السماء فإذا هو فوقى على العرش فى السماء ، فأخذتنى رجفة شديدة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثرونى ، ثم صبوا على الماء ، وأنزل الله عز وجل على « يا أيها المدثر » إلى قوله « فطهر »^(١).

قال أبو حاتم : هذان خبران أوهما من لم يكن الحديث صناعته أنهما متضادان وليس كذلك ، إن الله عز وجل بعث رسوله ﷺ يوم الإثنين وهو ابن أربعين سنة ، ونزل عليه جبريل وهو فى الغار بحراء بـ « اقرأ باسم ربك الذى خلق »^(١) فلما رجع رسول الله ﷺ إلى بيت خديجة ودثروه أنزل الله عليه فى بيت خديجة « يا أيها المدثر »^(١) قُمْ فَأَنْذِرْ^(٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ^(٣) ، من غير أن يكون بين الخبرين تضاد ولا تهاتر ، فكان أول من آمن برسول الله ﷺ زوجته خديجة بنت خويلد ، ثم آمن على بن أبى طالب وصدقه بما جاء به وهو ابن عشر سنين ، ثم أسلم أبو بكر - فكان على بن أبى طالب يخفى إسلامه من

(١) رواه البخارى (٣/١) بإسناده ما نصه « قال ابن شهاب وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن

جابر بن عبد الله الأنصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحي - الحديث »

أبى طالب ، وأبو بكر لما أسلم أظهر إسلامه ، فلذلك اشتبه على الناس أول من أسلم منهما - ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، فكان أبو بكر أعلم قریش بأنسابها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً سهلاً بليغاً أظهر الإسلام ، ودعا إلى الله وإلى رسوله ، فأجابه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم أبو بكر إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا ، ثم أسلم أبو عبيدة ابن الجراح ، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، والأرقم بن أبى الأرقم المخزومي ، وعثمان بن مظعون الجمحي ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وامراته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبى بكر ، وعبد الله وقدامة ابنا مظعون الجمحيان ، وخباب بن الأرت ومسعود بن الربيع القاري وعبد الله بن مسعود ، وعمير بن أبى وقاص^(١) ، وسليط بن عمرو ، وعياش بن أبى ربيعة المخزومي ، وامراته أسماء بنت سلامة التميمية ، وعامر بن ربيعة أبو عبد الله ، وعبد الله بن جحش ، وأبو أحمد بن جحش الأسدي ، وجعفر بن أبى طالب ، وامراته أسماء بنت عميس الخثعمية ، وحاطب^(٢) بن الحارث الجمحي وامراته فاطمة بنت الجليل وحطاب بن الحارث ، وامراته فكيهة ، وصهيب بن سنان ، ومعمار بن الحارث الجمحي ، وسعيد بن الحارث السهمي والمطلب بن أزهر بن عبد عوف ، وامراته رملة بنت أبى عوف ، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد ، وبلال بن رباح مولى أبى بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وامراته أميمة بنت خلف بن أسعد ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة التميمي ، وخالد بن البكير ، وإياس بن البكير ، وعامر بن البكير ، وعبد ياليل

(١) شهد بدرًا واستشهد بها ، أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما .

(٢) وله ترجمة فى الإصابة ٣١٤/١ « حاطب بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي .. مات بأرض

الحبيشة وكان خرج إليها مع امرأته فاطمة بنت الجليل بن عبد الله »

ابن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم .

وفشا ذكر الإسلام بمكة

ودخل في الإسلام الرجال والنساء إرسالاً ، وأنزل الله عز وجل ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١٤) ﴿ ١ ﴾ فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى الصفا ثم صعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه ! فاجتمع إليه الناس فمن رجل يجيء ومن رجل يبعث رسوله ، فقال : « يا بنى عبد المطلب ! يا بنى عبد مناف ! يا بنى فلان ! رأيتمكم لو أخبرتمكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، أصدقتموني ؟ » قالوا : نعم ، قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، ثم قال : « يا معشر قريش ! اشتروا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد مناف ! لا أغنى عنكم من الله من شيء ، يا عباس بن عبد المطلب ! يا صفية عمة رسول الله ﷺ ! يا بنى كعب بن لؤى ! يا بنى هاشم ! يا بنى عبد المطلب ! اشتروا أنفسكم من النار » فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلا لهذا ؟ ثم قام : فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ١ ﴾ ثم نزل النبي ﷺ ، وجعل يدعو الناس في الشعاب والأودية والأسواق إلى الله ، وأبو لهب خلفه والحجارة تنكبه يقول : يا قوم ! لا تقبلوا منه ، فإنه كذاب .

ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد خديجة سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس ابن عبد ود بن النضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، خطبها رسول الله ﷺ إلى وقدان بن حليس عمها ، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت السكران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو من بنى عامر بن لؤى ، وكانت سودة امرأة ثقيلة ثبطة وهى التى وهبت يومها لعائشة وقالت : لا أريد ما تريد النساء ؛ وقد قيل أن النبي ﷺ لم يتزوج على خديجة حتى ماتت .

وزوج رسول الله ﷺ ابنته رقية من عتبة بن أبي لهب ، وأم كلثوم ابنته الأخرى من عتيبة بن أبي لهب ، فلما نزلت ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ أمرهما أبوهما أن يفارقاهما ففارقاهما ، ثم زوج رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ابنته رقية بعد عتبة بن أبي لهب ، ثم مرض أبو طالب فدخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل ، فقالوا : ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول ، ولو بعثت إليه فنهيته ! فبعث إليه فجاءه النبي ﷺ ودخل البيت وبين أبي جهل وبين أبي طالب مجلس رجل ، فخشى أبو جهل أنه إذا جلس إلى جنب أبي طالب يكون أرق عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس ، ولم يجد النبي ﷺ مجلساً قرب عمه فجلس عند الباب ، قال أبو طالب : أى ابن أخى ! ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ؟ فقال النبي ﷺ : «أى عم ! إنى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم العرب وتؤدى إليهم بها العجم الجزية » ، فقال أبو طالب : وأى كلمة هى يا ابن أخى ؟ قال : « لا إله إلا الله » ، فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم ويقولون ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ (١) .

ثم توفي أبو طالب بن (٢) عبد مناف بن عبد المطلب ، فلقى المسلمون أذى من المشركين بعد موت أبي طالب ، فقال لهم النبي ﷺ حين ابتلوا وشطت بهم عشائهم بمكة : « تفرقوا » - وأشار قبل أرض الحبشة ، وكانت أرضاً دفئة ترحل إليها قريش رحلة الشتاء ، أول هجرة فى الإسلام ، فأول من خرج من المسلمين إلى الحبشة عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وعثمان بن

(١) سورة ص آية ٥ .

(٢) فى الطبرى ٢٢٩/٢ « أن أبا طالب وخديجة هلكا فى عام واحد ، وذلك .. قبل هجرته إلى المدينة

بثلاث سنين فعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ » .

مظعون وعامر بن ربيعة معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم ؛ وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ، وسهيل بن وهب بن ربيعة وهو سهيل بن بيضاء ، بيضاء أمه ؛ ثم خرج بعدهم جعفر بن أبي طالب معه امرأته أسماء بنت عميس ، وعمرو بن سعيد بن العاص ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص ومعه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد وعبد الله بن جحش بن رباب ، وأخوه عبد بن جحش معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، وقيس بن عبد الله من بنى أسد بن خزيمة معه امرأته بركة بنت يسار ، ومعيقب بن أبي فاطمة الدوسي ، وعتبة بن غزوان ، وأسد بن نوفل بن خويلد ، ويزيد بن زمعة ابن الأسود بن المطلب وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطليب بن عمير ابن وهب وسويط بن سعد بن حريملة ، وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل وابناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وعامر بن أبي وقاص والمطلب بن أزهري معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة ، وعبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة بن مسعود ، والمقداد بن عمرو ، والحارث بن خالد بن صخر معه امرأته ربيعة بنت الحارث بن جبلة ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب وشماس عثمان بن عبد بن الشريد بن سويد وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة ، ومعتب بن عوف بن عامر بن الفضل ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وعماه قدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر معه امرأته فاطمة بنت الجليل وابناه محمد بن حاطب والحارث بن حاطب وأخوه حطاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب معه ابناه جابر بن سفيان وجنادة بن سفيان ومعه امرأته حسنة وهي أمهما ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان ، وخنيس بن حذاقة بن قيس ، وعبد الله بن الحارث بن قيس ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقيس بن حذاقة بن قيس ، والحجاج بن الحارث

ابن قيس ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقيس بن حذافة بن قيس ، والحجاج
 ابن الحارث بن قيس ومعمار بن الحارث بن قيس ، وبشر بن الحارث بن قيس ،
 وسعيد بن الحارث بن قيس ، والسائب بن الحارث بن قيس ، وعمير بن رثاب
 ابن حذيفة ومحمية بن جزء حليف لهم ومعمار بن عبد الله بن نضلة ، وعدى
 ابن نضلة بن عبد العزى ، معه ابنه النعمان ، وأبو عبيدة بن الجراح بعدهم
 وعامر بن ربيعة معه امرأته ليلى ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس معه امرأته
 سودة بنت زمعة ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، وعبد الله بن
 مخزومة بن عبد العزى بن أبي قيس ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وعمرو بن
 الحارث بن زهير ، وعياض بن زهير بن أبي شداد وربيعة بن هلال بن مالك
 وعثمان بن عبد غنم بن زهير ، وسعد بن عبد قيس بن لقيط ، وعبد الله بن
 شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة جد الزهرى ، فخرجوا حتى قدموا
 أرض الحبشة وأقاموا بها على الطمأنينة ، ثم أن قريشاً اجتمعت فى أن يبعث
 إلى النجاشى حتى يرد من ثم من المسلمين عليها ، فبعثوا عمرو بن العاص
 وعمارة بن الوليد بن ربيعة ، وبعثوا معهما بهدايا كثيرة إليه وإلى بطارقتهم ، فلما
 قدما عليه ما بقى بطريق من بطارقتهم إلا قدما إليه بهديته وسألاه أن يكلم الملك
 حتى يسلمهم إليهما قبل أن يكلمهم ويسمع منهم ، فلما فرغا من بطارقتهم
 قدما إلى النجاشى هداياه فقبلها منهما ، ثم قال له : أيها الملك ! إن قومنا بعثوا
 إليك فى فتيان منهم خرجوا إلى بلادك فارقوا أديان قومهم ، ولم يدخلوا فى
 دينك ولا دينهم ، وقومهم أعلاهم عيناً ، قالت بطارقتهم : صدقاً أيها الملك !
 فغضب النجاشى وقال : لايم الله^(١) إذا لا أدفعهم إليهما ، قوم جاءونى لجئوا
 إلى بلادى حتى أنظر فيما يقولون وأنظر فيما يقول هؤلاء ، فإن كانوا صادقين
 وكانوا كما قال هؤلاء أسلمناهم إليهما ، وإن كانوا على غير ذلك لم ندفعهم
 إليهما ومنعتهم منهما ، فقال عمارة بن الوليد : لم نصنع شيئاً ، لو كان
 دفعهم إلينا من وراء وراء كان ذلك أحب إلينا قبل أن يكلمهم ، ثم إن

(١) ايم الله : كلمة قسم همزتها وصل يقال : رايم الله لأفعلن كذا .

أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا فقال بعضهم لبعض : ما الذى نكلم به الرجل ؟ ثم قالوا : نكلمه والله بالذى نحن عليه وعليه نبينا ! كائناً ما كان فيه ، فدخلوا عليه فقالوا لهم : اسجدوا للملك ، قال جعفر بن أبي طالب : لا نسجد إلا لله ! فقال ^(١) لهم : ما يقول هذان ؟ يزعمان أنكم فارقتم دين قومكم ، ولن تدخلوا فى دينى وأنكم جئتم بدين مقتضب لا يعرف ! فقال جعفر بن أبي طالب : كنا مع قومنا فى أمر جاهلية نعبد الأوثان ، فبعث الله إلينا رسولا منا رجلاً نعرف نسبه وصدقه ووفاءه ، فدعا إلى أن نعبد الله وحده لا نشرك به ، وأمرنا بالصلاة والزكاة وصلة الرحم وحسن الجوار ونهانا عن الفواحش والخبائث ؛ فقال : هل معك شئ مما جاء به ؟ قال : نعم ، فدعا النجاشى أساقفته فنشروا المصاحف حوله ، فقرأ عليهم جعفر بن أبي طالب : ﴿ كَهَيْهَاتَ ۙ (١) ﴾ ^(٢) فبكى النجاشى حتى اخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أنخضوا مصاحفهم ، ثم قال : إن هذا الذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ! فلعمركم لا أرسلهم معكما ، ولا أكاد ولا هم وكان أتقى الرجلين عمارة بن الوليد فقال عمرو بن العاص : والله ! لأجيئنه بما أريد به خضراءهم ، لأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهك الذى تعبد عبد فقال له عمارة بن الوليد : لا تفعل فإن لهم رحماً وإن كانوا قد خالفونا ، قال : أحلف بالله لأفعلن ، فرجع إليه الغد فقال : أيها الملك ! إنهم يقولون فى عيسى قولاً عظيماً فابعث إليهم فاسألهم عنه ، فأرسل إليهم فقال : ماذا تقولون فى عيسى ؟ قالوا نقول فيه ما قال الله عز وعلا وما قال لنا نبينا فقال له جعفر : هو عبد الله وروحه وكلمته ألقاها الله إلى العذراء البتول ، فأدلى النجاشى يده فأخذ من الأرض عوداً وقال : ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود ،

(١) وفى سيرة ابن هشام : « فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى

ولا دين أحد من هذه الملل ؟ »

(٢) سورة مريم آية ١

فنخرت بطارقتة فقال : وإن نخرتم والله ! ثم قال : اذهبوا فأنتم شيوم فى أرضى - يقول : آمنون من شتمكم غرم ، ما أحب أن لى دبراً ذهباً - ودبر هو جبل بالحبشة - وأنى آذيت رجلاً منكم ، وقال : ردوا عليهما هداياهما التى جاءا بها لا حاجة لنا بها ، وأخرجوهما من أرضى فأخرجوا وأقام المسلمون عند النجاشى بخير دار وخير جار ، لا يصل إليهم شئ يكرهونه .

فولد بالحبشة عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ومحمد بن أبى حذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أمة بنت خالد ، وعبد الله بن المطلب بن أزهز ، وموسى بن الحارث بن خالد ، وإخواته : عائشة وزينب وفاطمة بنات الحارث ، فلم يزل المسلمون بأرض الحبشة إلى أن ذكر رسول الله ﷺ الخروج إلى المدينة ، فمنهم من رجع إلى مكة فهاجر مع النبى ﷺ إلى المدينة ، ومنهم من بقى بأرض الحبشة حتى لحق رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة .

وخرج أبو بكر الصديق من مكة مهاجراً إلى أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأريد أن أسبح فى الأرض وأعبد ربى ، فقال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ! أنت تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ! فأنا لك خافر فارجع واعبد ربك بيلدك ، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ! أخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ فلم تكذب قريش ما جاء به ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره وليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلن به فإننا نخشى أن يفتن أبنائنا ونساءنا ، فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر ، فلبث أبو بكر بعد ذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين

وأبناءؤهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، وأفزع ذلك أشراف المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك وابتنى مسجداً بفناء داره ، وأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فانه ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل فإن أبي إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد ينادى بأعلى صوته : أيها الناس ! قولوا : لا إله إلا الله ورجل يتبعه بالحجارة ، قد أدمى كعبيه وعرقوبيه ويقول : يا أيها الناس ! لا تطيعوه ، فإنه كذاب ! قال : قلت : من هذا ؟ قالوا هذا غلام بنى عبد المطلب ، قال فقلت : من هذا الذي يتبعه يدميه ؟ قالوا : عمه عبد العزى أبو لهب .

قال أبو حاتم : كان النبي ﷺ يدعو الخلق إلى الله وحده لا شريك له وكان أبو جهل يقول للناس : إنه كذاب يحرم الخمر ويحرم الزنا ، وما كانت العرب تعرف الزنا ؛ فبينما النبي يصلي في ظل الكعبة إذ قام أبو جهل في ناس من قريش ونحر لهم جزوراً في ناحية مكة ، فأرسلوا فجاءوا بسلاها وطرحوه عليه فجاءت فاطمة وألقته عنه فقال النبي ﷺ : « اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، بأبي جهل بن هشام وعتبة ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط » ثم اجتمعوا يوماً ورسول الله ﷺ يصلي عند المقام وهم جلوس في ظل الكعبة فقام إليه عقبة بن أبي معيط فجعل رداءه في عنقه ثم جره حتى وجب النبي ﷺ لركبته ساقطاً وتصايح الناس وظنوا أنه مقتول ، وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبعي رسول الله ﷺ من ورائه وهو يقول : أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عن النبي ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ يصلي ، فلما قضى صلاته مر بهم وهم جلوس في ظل الكعبة فقال : « يا معشر قريش ! والذي نفس محمد بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح » وأشار بيده إلى حلقه ، فقال له أبو جهل : يا

محمد ! ما كنت جهولاً ! فقال رسول الله « أنت منهم » فقال أبو جهل : ألم أنهك يا محمد ؟ فانتهره النبي ﷺ فقال أبو جهل : لم تنتهرني والله لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني ! فقال جبريل : فليدع ناديه ، ولو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب ؛ فقالت قريش : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه ، فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا : أنت يا أبا الوليد ! فأتى عتبة فقال : يا محمد ! أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ ، فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ ، قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، أما والله ! ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك ، فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش كاهناً ، والله ! ما تنتظر إلا أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفاني ؛ أيها الرجل ! إن كان إنما بك الباء^(١) فاختر أي نساء قريش شئت حتى أزوجك عشراً ، وإن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش مالاً ؛ فقال له رسول الله ﷺ : « أفرغت ؟ قال : نعم فقال رسول الله ﷺ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حَمْدٌ (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) ﴾ حتى بلغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) ﴾ (٢) فقال له عتبة : حسبك حسبك ! ما عندك غير هذا ؛ ثم رجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا تكلمت به ، قالوا فهل أجابك ؟ قال : نعم ، لا والذي نصبها - يعني الكعبة - ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه قال : « أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود » قالوا : ويلك ! يكلمك رجل بالعربية ما تدري ما قال ! قال : فوالله ! ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة ، فكانوا يؤذونه بأنواع

الأذى ورسول الله ﷺ يبلغهم رسالات ربه صابراً محتسباً .
ثم إن الله جل وعلا أراد هدى عمر بن الخطاب ، وكان عمر من أشد قريش على رسول الله ﷺ شغباً وأكثرهم للمسلمين أذى .
وكان السبب في إسلامه أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت تحت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد ، وهم يستخفون بإسلامهم من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله بن النحام قد أسلم وكان يخفى إسلامه ، وكان خباب بن الارت ، يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوماً متوشحاً بسيفه يريد رسول الله ﷺ ، وذكر له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين بين رجال ونساء ومع رسول الله ﷺ حمزة وعلي وأبو بكر في رجال من المسلمين ممن أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج إلى أرض الحبشة ، فلقى نعيم بن النحام ، عمر بن الخطاب فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابي الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلها فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ! أترى أن عبد مناف تاركك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ! قال : وأي أهل بيتي ؟ فقال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك ، فقد أسلما وبايعا محمداً على دينه ، فعليك بهما ! فرجع عمر عامداً لختنه وأخته وعندهما خباب بن الارت ومعه صحيفة فيها طه يقرئها إياهما ، فلما سمعوا حرس عمر تغيب خباب في مخدع لهم ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع حين دنا من البيت قراءتهما عليه ، فلما دخل قال : ما هذه الهيمنة التي سمعت ؟ قالوا له : ما سمعت شيئاً ، قال : بلى والله ! لقد أخبرت أنكما بايعتما محمداً على دينه ، ويطش فختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة لتكفه عن زوجها ففرضها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم ، قد أسلمنا وآمنا بالله

ورسوله ، فاصنع ما بدا لك ! فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ارعوى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأون آنفاً .. أنظر ما هذا الذى جاء به محمد - وكان عمر كاتباً - فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا لنخشاك عليها ، قال : لا تخافى - وحلف لها بآلهته ليردها إليها ، فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه فقالت له : يا أخى ! إنك نجس على شركك وإنه لا يمسه إلا المطهرون ، فقام عمر فاغتسل ، ثم أعطته الصحيفة وفيها « طه » فلما قرأ سطرأ منها قال : ما أحسن هذا الكلام ! فلما سمع خباب ذلك خرج إليه فقال له : يا عمر ! والله لأرجو أن يكون خصك الله بدعوة نبيه ﷺ فإنى سمعته يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ! فقال عمر : دلنى عليه يا خباب حتى آتيه فأسلم ، فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ ، فلما بلغ ضرب عليه الباب ، فلما سمع المسلمون صوته قام رجل فنظر من خلال الباب فرآه متوشحاً بالسيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : أئذن له ، فإن كان يريد خيراً به لناله ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله ﷺ : « أئذن له » ، فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه فى الحجرة فأخذ بحجزته ثم جبذه جبذة عظيمة ، وقال : « ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ » والله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ! فقال له عمر : يا رسول الله ! جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جئت به من عند الله ، قال : فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمراً أسلم ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عمر ! استره » ، فقال عمر : والذى بعثك بالحق لأعلنه كما أعلنت الشرك فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ عند ذلك وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر وحمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ولذلك كان يقول ابن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر .

ثم توفيت خديجة ، فقال النبي ﷺ : « رأيت لخديجة بيتاً في الجنة لا صخب فيه ولا نصب » .

ثم تزوج رسول الله ﷺ عند وفاة خديجة عائشة بنت أبي بكر قبل الهجرة بثلاث سنين في شهر شوال وهي بنت ست^(١) لم يتزوج بكراً غيرها ، وكانت أم عائشة أم رومان^(٢) بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس .

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف المنعة ، وأشرف ثقيف يومئذ عبد ياليل وحبيب ومسعود بن عمرو ، فلما أتاها رسول الله ﷺ دعاهم إلى الله ، فقال أحدهم : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ؟ وقال الآخر هو يمرط ثياب الكعبة : إن كان الله أرسلك - وقال الآخر : إن كان كما تقول - ما ينبغي لي أن أكلمك إجلالاً لك وإن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك ؛ فقال رسول الله ﷺ وقد سمع ما يكره فالتجأ إلى حائط لبنى ربيعة وإذا عتبة وشيبة فيهما رأياه تحركت له رحمها ، فدعوا غلاماً لهما يقال له : عداس - نصرانياً فقالا له : خذ هذا العنب واجعله في هذا الإناء واذهب به إلى ذلك الرجل ، فلما أتاه به عداس وضع رسول الله ﷺ يده في العنب وسمى الله ، فنظره عداس في وجهه وقال : إن هذا لشئ ما يقوله الناس اليوم ! قال : ومن أنت ؟ قال أنا رجل نصراني من أهل نينوى ؟ قال : من قرية يونس بن متى ؟ قال : وما يدريك يونس بن متى ؟ قال : ذلك أخى ، كان نبياً من الأنبياء ؛ فجعل عداس يقبل يديه ورجليه ، ويقول : قدوس ! قال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك ! فلما رجع إليهما فسأله عما قال له ، فقال : لقد أخبرني عن شئ ما يعلمه إلا نبي ! قالوا : يا عداس ويحك ! لا تخذع عن دينك .

(١) وفي الإصابة في ترجمتها : « ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست ، وقيل سبع ، ويجمع بأنها كانت أكملت السادسة ودخلت في السابعة » ودخل بها وهي بنت تسع ، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى كما أخرجه ابن سعد »

(٢) ولها ترجمة في الإصابة ٢٣٢/١ وفيها : « أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب ابن أدينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة امرأة أبي بكر الصديق » .

ثم خرج رسول الله ﷺ لما أيس من الطائف فمر بنخلة فقام يصلى من جوف الليل ، فمر به النفر من الجن أصحاب نصيبين ، فاستمعوا له عامة ليلته فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين ؛ وهم سبعة أنفس .

ثم قدم رسول الله ﷺ مكة يدعوهم إلى الله ويستنصرهم ليمنعوا ظهره حتى ينفذ الله ما بعثه به ، ثم افتقده أصحابه ليلة فباتوا بشر ليلة ، فجعلوا يقولون : استطير أو اغتيل ، وتفرقوا في الشعاب والأودية يطلبونه ، فلقيه بن مسعود مقبلاً من نحو حراء ، فقال : يا نبي الله ! بأبي أنت وأمي ! بتنا بشر ليلة ، قال رسول الله ﷺ : أنا نى داعى الجن فأتيتهم أقرئهم القرآن ، وسألونى الزاد ، فقلت : كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما كان لحماً ، والبعر علف لدوابكم ؛ فلذلك نهى رسول الله ﷺ عن الاستنجاء بالروث والعظم ، لأنه زاد إخواننا من الجن ، وكان ابن مسعود يقول : أرانى رسول الله ﷺ ليلة الجن آثارهم ونيرانهم ، ثم أمر الله عز وجل رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب .

ذكر عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل

أخبرنا الحسن بن عبد الله بن يزيد القطان بالرقعة ثنا عبد الجبار بن محمد بن كثير التميمي ثنا محمد بن بشر اليماني عن أبان بن عبد الله البجلي عن أبان ابن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس قال حدثنى علي بن أبى طالب قال : لما أمر الله رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر الصديق حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة ، قال : وأى ربيعة أنتم ؟ أمن هامتها^(١) أم من لهازمها^(٢) ؟ فقالوا : لا ، بل من هامتها العظمى ، قال أبو بكر : وأى هامتها العظمى أنتم ؟ قالوا : من ذهل الأكبر ، قال أبو بكر : فمنكم عوف الذى

(١) شبه الأشراف بالهامات ، وهو جمع هامة الرأس ، والهامات : جماعة الناس .

(٢) أى من أوساطها ، والهازم أصول اللحيين ، جمع لهزمة بالكسر فاستناره لوسط النسب والقبيلة انظر مجمع بحار الأنوار .

يقال له لا حُرَّ بوادي عوف ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار قالوا : لا ، قال : فمنكم الحوفزان قاتل الملوك سالبها أنفسها ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا ، قال أبو بكر : فليستم إذا ذهلاً الأكبر ، أنتم الأصغر ، فقام إليه غلام من بنى شيبان يقال له دغفل حين بقل وجهه فقال : على سائلنا أن نسأله ؛ يا هذا ! إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً ، فمن الرجل ؟ فقال أبو بكر : أنا من قريش ، فقال الفتى : بغي بغي ، أهل الشرف والرئاسة ، فمن أى القرشيين أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة ، قال : أمكنت والله الرامى من صفاء الثغرة ! فمنكم قصى الذى جمع القبائل من فھر فكان يدعى فى قريش مجمعا ؟ قال : لا قال : فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا ، قال : فمنكم شيبه الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كأن وجهه القمر يضىء فى الليلة الظلماء الداجية ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل السقاية ؟ قال : لا ؛ واجتذب أبو بكر زمام الناقة فرجع إلى رسول الله ﷺ ، فقال الغلام :

صادف درء السيل درئاً يدفعه يهيضه حيناً وحيناً يصدعه^(١) .

أما والله لقد ثبت ! قال : فتبسم رسول الله ﷺ : فقال على : فقلت : يا أبا بكر ! لقد وقعت من الإعرابى على باقعة ! فقال لى : أجل يا أبا الحسن ! ما من طامة إلا و فوقها طامة ، والبلاء موكل بالمنطق ، قال على : ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار ، فتقدم أبو بكر وكان مقدماً فى كل خير فسلم وقال : ممن القوم ؟ فقالوا : من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال : بأبى أنت رأسى يا رسول الله ! ما وراء هذا القوم غر ،

(١) يهيضه ويصدعه أى يكسره ويشقه

هؤلاء غرر قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو وهانيء بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك ، وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً ، كان له غديرتان تسقطان على تريته ، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر ، فقال أبو بكر كيف العدد فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لنزيد على ألف ، ولن يغلب ألف من قلة ! فقال أبو بكر : وكيف المنعة فيكم ؟ قال مفروق علينا الجهد ولكل قوم جد ، قال أبو بكر : كيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ قال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى ، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله ، يدينا مرة ويديل علينا أخرى ، لعلك أخو قريش ! قال أبو بكر : وقد بلغكم أنه رسول الله ﷺ فيها هو ذا ! قال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، قال : فيألي م تدعوا يا أخا قريش ! قال : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله وأن تؤمنى وتنصرونى ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله فكذبت رسله واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد ، فقال مفروق بن عمرو : إلى ما تدعون يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿ قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ﴾ (١) الآية ، قال مفروق : وإلى م تدعوا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ (٢) الآية فقال مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة فقال : وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا ! فقال : قد سمعت مقاتلتك يا أخا قريش ! وإنى أرى إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك لمجلس جلسته إلينا زلة في الرأى وقلة فكر في الحواقب ، وإنما تكون الزلة مع السجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً ولكن ترجع ونرجع وننظر وننظر وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال : وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا ! فقال المثنى : قد سمعت مقاتلتك يا أخا قريش ! والجواب هو جواب هانيء بن قبيصة في تركنا ديننا وإتباعنا إياك على دينك وإنما نزلنا بين ضرتين ، فقال رسول الله

(١) سورة الأنعام الآية ١٥١ .

(٢) سورة النحل الآية ٩٠ .

ﷺ : « ما هاتان الضرتان ؟ » قال : أنهار كسرى ومياه العرب ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً ، وإنى أرى هذا الأمر الذى تدعو إليه مما تكرهه الملوك ، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتكم بالصدق وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه ، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ، ويفرشكم نساءهم ، أتسبحون الله وتقصدونه ؟ » فقال النعمان بن شريك : اللهم نعم ، قال : فتلا رسول الله ﷺ « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً »^(١) ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يد أبى بكر وهو يقول : « يا أبا بكر أية أخلاق فى الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض » .

قال : أبو حاتم : إن الله جل وعلا أمر رسول الله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلى الله وحده ، وأن لا يشركوا به شيئاً ، وينصره ويصدقوه ، فكان يمر على مجالس العرب ومنازلهم ، فإذا رأى قوماً وقف عليهم وقال : « إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وتصدقونى » ؛ وخلفه عبد العزى أبو لهب بن عبد المطلب عمه يقول : يا قوم لا تقبلوا منه ، فإنه كذاب - حتى أتى كندة فى منازلهم فعرض عليهم نفسه ودعاهم إلى الله ، فأبوا أن يستجيبوا له ؛ ثم أتى كلباً فى منازلهم فكلم بطناً منهم يقال له بنو عبد الله ، فجعل يدعوهم حتى أنه ليقول لهم : « يا بنى عبد الله ! إن الله قد أحسن اسم أبيكم ، إني رسوله فاتبعونى حتى أنفذ أمره ، فلم يقبلوا منه ؛ ثم أتى بنى حنيفة فى منازلهم فردوا عليه ما كلمهم به ، ولم يكن من قبائل العرب أعنف رداً عليه منهم ؛ ثم أتى بنى عامر بن صعصعة فى منازلهم فدعاهم إلى الله ، فقال قائل منهم : إن اتبعناك وصدقناك فننصرك الله ثم أظهرك الله على من خالفك أكون لنا الأمر من بعدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء » ، فقالوا : أنههدف نحورنا للعرب دونك

فإذا ظهرت كان الأمر في غيرنا ! لا حاجة لنا في هذا من أمرك .

وكان رسول الله ﷺ يحضر الموسم فيعرض نفسه على من حضر من العرب ، فبلغ رسول الله ﷺ العقبة وإذا رهط منهم رموا الجمرة ، فاعترضهم رسول الله ﷺ وقال : « من أنتم ؟ قالوا : من الخزرج ، قال : « أمن موالى يهود ؟ » قالوا : نعم ، فكلّمهم بالذى بعثه الله به ، فقال بعضهم لبعض : يا قوم ! إن هذا الذى كانت اليهود يدعوننا به أن يخرج فى آخر الزمان ، وكانت اليهود إذا كان بينهم شىء قالوا : إنما ننتظر نبياً يبعث الآن يقتلكم قتل عاد وثمود فتبعه ونظهر عليكم معه ، ثم قالوا لرسول الله ﷺ : نرجع إلى قومنا ونخبرهم بالذى كلّمتنا به ، فما أرغبنا فيك ! إنا قد تركنا قومنا على خلاف فيما بينهم ، لا نعلم حياً من العرب بينهم من العداوة ما بينهم ، وسنرجع إليهم بالذى سمعنا منك ، لعل الله يقبل بقلوبهم ويصلح بك ذات بينهم ويؤلف بين قلوبهم وأن يجتمعوا على أمرك ! فإن يجتمعوا على أمر واحد فلا رجل أعز منك ؛ ثم قدموا إلى المدينة فأفشفوا ذلك فيهم ، ولما رجع حاج العرب كان لبنى عامر شيخ قد كبر ، لا يستطيع أن يوافى معهم الموسم وكان من أمرهم بمكان ، فكانوا إذا رجعوا سألهم عما كان فى موسمهم ذلك ، فلما كان ذلك العام سألهم ، فأخبروه عما قال لهم رسول الله ﷺ ودعاهم إليه ، فوضع الشيخ يده على رأسه وقال : يا بنى عامر ! هل لها من تلاف ؟ هل لذنا بها من مطلب ؟ فوالله ما تقولها إسماعيلى وإنها لحق ! ويحكم ! أين غاب عنكم رأيكم ! .

وسمعت قريش بمكة بالليل صوتاً ولا يرون شخصه يقول :

فإن يسلم السعدان يصبح محمد من الأمر لا يخشى خلاف المخالف

فقلت قريش : لو علمنا من السعدان لفعلنا وفعلنا ، فسمعوا من القائل وهو

يقول :

فيا سعد سعد الأوس كن أنت مانعا ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

اجيبنا إلى داعي الهدى وتمنيا على الله فى الفردوس زلفة عارف

فإن ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات رفارف

«السعدان» يريد به سعد الأوس - سعد بن معاذ، وسعد الخزرج - سعد بن عبادة
 يذكر بيعة العقبة الأولى

حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عون الرازي ثنا عمار بن الحسن ثنا سلمة بن
 الفضل عن ابن إسحاق قال أخبرني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله
 اليزني عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال : كنا
 اثني عشر رجلاً في العقبة الأولى ، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء أن لا
 نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بيهتان
 نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ؛ فمن وفى فله الجنة ، ومن
 غشى من ذلك شيئاً فأمره إلى الله ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له .

قال أبو حاتم : فلما كان الموسم جعل النبي ﷺ يتبع القبائل يدعوهم إلى
 الله فاجتمع عنده بالليل اثنا عشر نقيباً من الأنصار فقالوا : يا رسول الله ﷺ إنا
 نخاف إن جئتنا على حالك هذه أن لا يتهيأ لنا الذي نريد ولكن نبايعك الساعة
 وميعادنا العام المقبل ، فبايعهم النبي ﷺ على أن لا يشركوا بالله شيئاً ، ولا
 يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا بيهتان يفترونه بين أيديهم
 وأرجلهم ، ولا يعصونه في معروف ؛ فمن وفى فله الجنة ، ومن غشى من ذلك
 شيئاً فأمره إلى الله ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه .

وأسماءهم : منهم من بنى النجار ثلاثة أنفس : أسعد بن زرارة بن عدس وهو
 أبو أمامة ، وعوف ومعاذ ابنا الحارث بن رفاعة .

ومن بنى زريق بن عامر بن زريق : رافع بن مالك بن العجلان وذكوان بن
 عبد قيس بن خالدة .

ومن بنى غنم : عوف بن عمر بن عوف بن الخزرج .

ومنهم القوافل : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم وأبو عبد الرحمن بن
 يزيد بن ثعلبة حليف لهم من بلي . ومن بنى سالم بن عوف : عباس بن عبادة

ابن نضلة .

ومن بنى سلمة جعد بن سعيد ، ثم من بنى حرام : عقبة بن عامر بن نابي
وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد .

ومن بنى عبد الأشهل بن جشم : أبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك وعويم^م
ابن ساعدة .

ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة وأخبروهم الخبر وفشا ذكر الإسلام بالمدينة ،
فكان الواحد بعد الواحد من الأنصار يخرج من المدينة إلى مكة ، فيؤمن برسول
الله ﷺ ثم ينقلب إلى أهله ، فيسلم بإسلامه جماعة حتى لم تبق دار من دور
الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام .

ثم اختلف الأوس والخزرج في الصلاة وأبوا أن يترك بعضهم يوم بعضاً ،
فبعث رسول الله ﷺ إلى المدينة مصعب بن عمير مع جماعة ، وذلك أنهم
كتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يبعث عليهم رجلاً من أصحابه يفقههم في
الدين ، فنزل مصعب بن عمير على أسعد بن زرارة ، فكان يأتي به دور الأنصار
فيدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن ، ويفقه من كان منهم دخل في الإسلام ،
وكان إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير على يد مصعب ، وذلك أنه خرج
مع أسعد بن زرارة إلى حائط من حوائط بنى النجار معهما رجال من المسلمين ،
فبلغ ذلك سعد بن معاذ فقال لأسيد بن حضير : ائت هذا الرجل ، فلو لا أنه
مع أسعد بن زرارة وهو ابن خالتي كما علمت كنت أنا أكفيك شأنه ! فأخذ
أسيد بن حضير حربته ثم خرج حتى أتى مصعباً فوقف عليه متشتماً وقد قال
أسعد لمصعب حين نظر إلى أسيد : هذا أسيد ! من سادات قوم ، له خطر
وشرف ، فلما انتهى إليهما تكلم بكلام فيه بعض الغلظة ، فقال له مصعب بن
عمير : أوتجلس فتسمع ؟ فإن سمعت خيراً قبلته ، وإن كرهت شيئاً أو خالفك
أعفيناك عنه ، قال أسيد : ما بهذا بأس ، ثم ركز حربته وجلس ، فتكلم
مصعب بالإسلام وتلا عليه القرآن ، قال أسيد : ما أحسن هذا القول ! ثم أمره

فتشهد شهادة الحق ، وقال لهم : كيف أفعل ؟ فقال له : تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق وتركع ركعتين ، ففعل ورجع إلى بنى عبد الأشهل وثبنا مكانهما ، فلما رآه سعد بن معاذ مقبلاً قال : أحلف بالله لقد رجع إليكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ! فلما وقف عليه قال له سعد : ما وراءك ؟ قال : كلمت الرجلين فكلما نى بكلام رقيق ، وزعما أنهما سيتركان ذلك ، وقد بلغنى أن بنى حارثة قد سمعوا بمكان أسعد فاجتمعوا لقتله وإنما يريدون بذلك إحقارك وهو ابن خالتك ، فإن كان لك به حاجة فأدركه ، فوثب سعد وأخذ الحربة من يده أسيد وقال : ما أراك أغنيت شيئاً ! ثم خرج حتى جاءهما ووقف عليهما متشتماً وقد قال أسعد لمصعب حين رأى سعدا : هذا والله سيد من وراءه ! إن تابعتك لم يختلف عليه اثنان من قومه ، فأبلى الله فيه بلاء حسناً ، فلما وقف سعد قال لأسعد بن زرارة : أجمتنا بهذا الرجل يسفه شبابنا وضعفائنا والله لولا ما بينى وبينك من الرحم ما تركتك وهذا ! فلما فرغ سعد من مقالته قال له مصعب : أو تجلس فتسمع ؟ فإن سمعت خيراً قبلته وإن خالفك شيء أعفيناك ، قال : أنصفت ، فركز حريته ثم جلس ، فكلمه بالإسلام وتلا عليه القرآن ، فقال سعد : ما أحسن هذا ! نقبله منك ونعينك عليه ، كيف تصنعون إذا دخلتم فى هذا الأمر ؟ قال : تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق وتركع ركعتين ، ففعل ، ثم خرج سعد حتى أتى بنى عبد الأشهل ، فلما رأوه قالوا : والله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ! فلما وقف عليهم قالوا : مما جئت ؟ قال يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون رأى فيكم وأمرى عليكم ؟ قالوا أنت خيرنا رأياً ، قال فإن كان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله وحده وتشهدوا أن محمداً رسول الله وتدخلوا فى دينه ، فما أمسى من ذلك اليوم فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا أسلم .

وأول جمعة جمعت بالمدينة

جمعها أبو أمامة أسعد بن زرارة وهم أربعون رجلاً في روضة يقال لها نقيع الخضعات من حرة بنى بياضة ، فكان كعب بن مالك يقول فيما بعد إذا سمع الأذان يوم الجمعة : رحمة الله على أبي أمامة أسعد بن زرارة ! .

شكر الإسراء برسول الله ﷺ

ليلة المهرج

أخبرنا الحسن بن سفيان الشيباني وأحمد بن علي بن المشي التميمي وعمران بن موسى بن مجاشع السخثياني قالوا ثنا هذبة بن خالد القيسي ثنا همام ابن يحيى ثنا قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال : « بينا أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجع إذ أتاني جبريل فشق ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ، يضع خطوة عند أقصى طرفه ، فحملت عليه ، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ! فنعم المجيء جاء ! ففتح ، فلما خلصت إذا فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه ، فرد على السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ! ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، قيل : ما هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ! فنعم المجيء جاء ! ففتح له فلما خلصت إذا نحن بعيسى ويحيى وهما ابنا الخالة ، قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، قال : فسلمت وردا ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ! ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ؟

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل :
 مرحباً به ! فنعم المجيء جاء ! ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا
 يوسف فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح
 والنبي الصالح ! ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟
 قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال :
 نعم ، قيل : مرحباً به ! فنعم المجيء جاء ! ففتح ، فلما خلصت فإذا إدريس ،
 قال : هذا إدريس فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحباً بالأخ
 الصالح والنبي الصالح ! ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، فقيل :
 من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد
 أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ! فنعم المجيء جاء ! ففتح ، فلما
 خلصت إذا بهارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد
 السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ! ثم صعد بي حتى أتى
 السماء السادسة فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟
 قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ! فنعم
 المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ،
 قال : فسلمت عليه فرد وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ! فلما
 تجاوزت بكى ، قال : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل
 الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ، ثم صعد بي حتى أتى السماء
 السابعة فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال :
 محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ! فنعم المجيء جاء !
 ففتحت ، فلما خلصت إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، قال :
 فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ! ثم
 رفعت إلى سدره المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ،
 قال : هذه سدره المنتهى ، قال ، فإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان ،

فقلت : ما هذان يا جبريل قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ؛ ثم رفع إلى البيت المعمور ، ثم أتى بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال : هى الفطره وأنت عليها وأمتك ، ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت بموسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بأربعين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، إنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بثلاثين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، فإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عشراً ، فرجعت إلى موسى ، قال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بعشرين صلاة كل يوم ، قال إن : أمتك لا تستطيع عشرين صلاة وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، ثم رجعت إلى موسى ، فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بعشر صلوات كل يوم ؛ قال : إن أمتك لا تستطيع عشر صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة . فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف

لأمتك ، قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ولكنني أرضى وأسلم ، فلما جاوزت ناداني مناد : أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي .

قال أبو حاتم : أسرى النبي ﷺ إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلى السماء ، وفرض عليه خمس صلوات ، ثم بعث الله جبريل ليؤم رسول الله ﷺ عند البيت ويعلمه أوقات الصلوات ، فلما كان الظهر نودي : إن الصلاة جامعة ، ففرع الناس واجتمعوا إلى نبيهم ، فصلى بهم حين زالت الشمس على مثل الشراك يؤم جبريل محمداً ويؤم محمد الناس ، ثم صلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم صلى به المغرب حين أفطر الصائم ، ثم صلى به العشاء حين غاب الشفق ، ثم صلى به الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم .

ثم صلى به الظهر من الغد حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم صلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثليه ، ثم صلى به المغرب حين أفطر الصائم ، ثم صلى به العشاء حين ذهب ثلث الليل ، ثم صلى به الفجر حين أسفر ، ثم التفت جبريل إلى محمد ﷺ ثم قال : يا محمد ! هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك ، الوقت فيما بين هذين الوقتين .

تذكر بيعة الانتصار بالعقبة الآخرة

رسول الله ﷺ

أخبرنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة ثنا أبو كريب ثنا إدريس عن يحيى ابن سعيد الأنصاري^(١) وعبيد الله بن عمر ومحمد بن إسحاق عن عبادة بن الوليد ابن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمكره والمنشط ، وعلى أثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق حيث ما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم^(٢) .

(١) هو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني من الطبقة الخامسة توفي سنة ١٤٤ هـ أو بعدها أخرج له أصحاب الأصول الستة . انظر تقريب التهذيب ٢ / ٣٤٨ ترجمة ٧٤ .

(٢) ذكره ابن هشام في سيرته (بهامش الروض ١ / ٢٨٠) ما نصه : قال ابن إسحاق فحدثني عبادة ابن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء قال : بايعنا الحديث .

قال أبو حاتم : فلما كان العام المقبل من حيث واعد الأنصار رسول الله ﷺ أن يلقوه من العام المقبل بمكة ، خرج سبعون رجلاً من الأنصار فيمن خرج من أهل الشرك من قومهم من أهل المدينة ، فلما كانوا بذي الحليفة قال البراء^(١) بن معرور بن صخر بن خنساء وكان كبير الأنصار : إني قد رأيت رأياً ما أدرى أتوافقوني عليه أم لا ! قد رأيت ألا أجعل هذه البنية منى بظهر وأن أصلي إليها - يعني الكعبة ، فقالوا له : والله ما هذا برأى ! وما كنا لنصلي إلى غير قبله ، فأبوا ذلك عليه وأبى أن يصلي إلا إليها ، فلما غابت الشمس صلى إلى الكعبة وصلى أصحابه إلى الشام حتى قدموا مكة ، قال البراء بن معرور لكعب بن مالك : والله يا ابن أخي ! قد وقع في نفسي مما صنعت في سفر هذا فانطلت بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعت ! وكانوا لا يعرفون رسول الله ﷺ ، إنما كانوا يعرفون العباس بن عبد المطلب ، لأنه كان يختلف إليهم إلى المدينة تاجراً فخرجوا يسألون عن رسول الله ﷺ بمكة حتى إذا كانوا بالبطحاء سألوا رجلاً عنه فقال : هل تعرفونه ؟ قالوا : لا ، قال : فهل تعرفون العباس بن عبد المطلب ؟ قالوا : نعم ، قال : فإذا دخلتم المسجد فانظروا من الرجل الذي مع العباس جالس فهو هو ، تركته معه الآن ، فخرجوا حتى جاءوا فسلموا عليهما ثم جلسوا ، فقال رسول الله ﷺ للعباس : هل تعرف هذين الرجلين ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور وهذا كعب بن مالك ، فقال له البراء : يا رسول الله ﷺ ! إني صنعت في سفرى هذا شيئاً قد وقع في نفسي منه شيء فأخبرني عنه ، رأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر وصليت إليها ، فعنفني أصحابي وخالفوني ، فقال رسول الله ﷺ : لقد كنت على قبله لو^(٢)

(١) له ترجمه في الإصابة ١ / ١٤٩ وهو أبو بشر ، كان من النفر الذين بايعوا البيعة الأولى بالعقبة ، وهو أول من بايع في قول ابن إسحاق ، وهو أول من استقبل القبلة ، وأول من أوصى بثلاث ماله ، وهو أحد النقباء ..

(٢) في الطبري « وقد خالفني أصحابي في ذلك » .

صبرت عليها - ولم يزد على ذلك^(١) ، ثم خرجوا إلى منى ، فلما كان في
أوسط أيام التشريق ذات ليلة واعدوا رسول الله ﷺ العقبة ، فخرجوا في جوف
الليل ، يتسللون من رجالهم ، ويخفون ذلك من قومهم من المشركين ، فلما
اجتمعوا عند العقبة أتى رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس فكان أول من تكلم
العباس فقال : يا معشر الخزرج ! إن محمداً ﷺ في منعة من قومه وبلاده وقد
منعناه ممن ليس على مثل رأينا فيه وقد أبى إلا الانقطاع إليكم ، فإن كنتم ترون
أنكم توفون له بما وعدتموه فأتهم وما جئتم به ، وإن كنتم تخافون عليه من
أنفسكم شيئاً فالآن فاتركوه ، فإنه في عز ومنعة ، قالوا : قد سمعنا ما قلت ، ثم
تكلم رسول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله ، فأمنوا وصدقوه ، ثم
تكلم البراء بن معرور وأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال : بايعنا ، فقال رسول الله
ﷺ : أبايعكم على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، والنفقة في العسر
واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن لا تخافوا في الله لومة
لائم ، وعلى أن تنصروني وتمنعوني بما تمنعون به أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم
ولكم الجنة ، فبايعوه على ذلك ؛ فقال رجل من الأنصار يقال له عباس بن
عبادة بن نضلة : يا معشر الأنصار ! هل تدرون ما تبايعون عليه هذا الرجل !
إنكم تبايعونه على حرب الأسود والأحمر ، فإن كنتم ترون أنكم لتوفون بما
عاهدتموه عليه فهو خير الدنيا والآخرة فخذوه ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه
إذا كان ذلك فالآن فدعوه فهو خزي الدنيا والآخرة ؛ فقال أبو الهيثم بن
التيهان : يا رسول الله ﷺ ! إن بيننا وبين قومه رحماً ، وإنا قاطعوها فيك ، فهل
عسيت إن نحن بايعناك وأظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فضحك
رسول الله ﷺ وقال : الدم الدم ! الهدم الهدم ! إني منكم وأنتم مني ، أسألكم
من سألتم وأحارب من حاربتم ثم قال لهم رسول الله ﷺ : ابغثوا إلي منكم

(١) كذا ، وفي الطبري « فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ وصلى معنا إلى الشام ؛ قال : وأهله
يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم ، ثم خرجنا
إلى الحج ووعدنا رسول الله ﷺ من أوسط أيام التشريق .

اثنى عشر نقيباً كفولاً على قومهم بما كان منهم ككفالة الحواريين بعيسى ابن مريم ، فقال أسعد بن زرارة : نعم يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : وأنت نقيب على قومك ، فقال : نعم ، فأخذ رسول الله ﷺ منهم اثنى عشر نقيباً ، فكان نقيب بنى مالك بن النجار أبو أمانة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبید بن ثعلبه بن غنم بن مالك بن النجار . وكان نقيب بنى سلمة البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو جابر بن عبد الله . وكان نقيب بنى ساعدة المنذر ابن عمرو بن خنيس وسعد بن عبادة بن دليم . وكان نقيب بنى زريق بن عامر رافع ابن مالك بن العجلان . وكان نقيب بنى الحارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة ابن مالك وسعد بن الربيع بن عمرو . وكان نقيب القوافل عبادة بن الصامت بن قيس . وكان نقيب بنى عبد الأشهل أسيد بن حضير^(١) بن سماك وأبو الهيثم بن التيهان . وكان نقيب بنى عمرو بن عوف سعد بن خيثمة بن الحارث .

فقال عباس بن عبادة بن نضلة : والله يا رسول الله ! لئن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيا فئنا ! فقال رسول الله ﷺ : لم أؤمر بذلك ، ارجعوا إلى رحالكم ، فرجعوا إلى رحالهم وهم سبعون رجلاً ، فلما أصبحوا غدت عليهم قريش قالوا : يا معشر الخزرج ! إنه قد بلغنا عنكم شيء لا ندرى أحق هو أم باطل ، إنه لأبغض قوم إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، فجعل من كان من المشركين من قومهم يحلفون بالله ما علمنا ولا فعلنا ، وصدقوا . قال كعب بن مالك : فنظرت إلى عبد الله بن عمرو بن حرام فقلت : يا أبا جابر ! أنت شيخ من شيوخنا وسيد من ساداتنا ألا تتخذ نعلًا مثل نعلي هذا الفتى من قريش - يريد الحارث بن هشام ، فلما سمعه الحارث خلعهما ورمى بهما إليه فقال : البسهما ، قال كعب : قال : والله صالح ! ولئن صدق لأسلبنه .

فرجع الأنصار إلى المدينة ورجع رسول الله ﷺ إلى مكة ، وكانت هذه البيعة في ذى الحجة قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بثلاثة أشهر .

(١) أسيد بن حضير هذا الصحابي كان عندما يقرأ القرآن تظلمه الملائكة وتسمع القرآن لحسن صوته وتلاوته . انظر ترجمته في صفه الصفوة لابن الجوزي .

فلما علمت قريش أن القوم قد عاقدوه ورأت من اتبعه من الأنصار اجتمع نفر من أشراف كل قبيلة ودخلوا دار الندوة ليدبروا أمرهم في رسول الله ﷺ ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : رجل من أهل نجد سمعت بما اجتمعتم له فأردت أن أحضركم ولن يعد منكم منى رأى ونصح ، قالوا : أجل ، ثم قال : انظروا في أمر هذا الرجل ، فقال بعضهم : احبسوه في وثاق تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فإنما هو كأحدهم ؛ قال النجدي : ما هذا برأى فيخرجنه من محبسه وليوشكن أن يثبوا عليكم حتى يأخذوه من بين أيديكم ثم لا آمن أن يخرج من بلادكم ، انظروا في غير هذا ، قال قائل : اخرجوه من بين أظهركم ، فإنه إذا خرج غاب أذاه وشره ، وأصلحتم أمركم بينكم ، وخليتم بينه وبين ما هو فيه ؛ قال النجدي : ما هذا برأى ألم تروا حسن حديثه و حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذ القلوب بما يسمع منه ، ولئن فعلتم استعرض ولا آمن أن يدخل على كل قبيلة فيقبل منه ما جاء به ، ثم يسيره إليكم حتى ينزع أمركم من أيديكم فيخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم ، انظروا رأياً غير هذا ، قال أبو جهل : والله ! لأشيرن برأى عليكم ما أراكم أبصرتموه بعد ، قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلاماً شاباً ثم نعطيه سيفاً صارماً حتى يضربوه ضربة رجل واحد ، فإذا تفرق دمه في القبائل فلا أظن أن بنى هاشم يقدر على حرب قريش كلها ، فإذا أرادوا ذلك قبلوا العقل^(١) واسترحنا منه ، ثم أصلحتم أمركم فاجتمع ملككم على ما كنتم عليه من دين آبائكم ؛ فقال النجدي : القول ما قال هذا الفتى ، لا رأى غيره ، ففارقوا على ذلك .

وأناه جبريل وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم ، فأمر النبي ﷺ علياً فتغشى برداً له أحمر حضرمياً فبات في مضجعه ، واجتمعت قريش لرسول الله ﷺ عند باب بيته يرصدونه ، فخرج رسول الله ﷺ في يده حفنة من تراب فرماها في وجوههم ، فأخذ الله بأعينهم عن رسول الله ﷺ ، فباتوا رصداً على بابه وانطلق رسول الله ﷺ لحاجته ، فخرج عليهم من

(١) قبلوا العقل أى قبلوا الدية

الدار خارج فقال : ما لكم ؟ قالوا : ننتظر محمدا ، قال : قد خرج عليكم ، فانصرفوا يائسين ينفض كل واحد منهم التراب عن رأسه ؛ قال أبو بكر الصديق ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! أخرجوا نبيهم ، ليهلكن ! فنزلت ﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٣٩) فأمره الله بالقتال وفرض عليه الجهاد وهي أول آية نزلت في القتال ثم أمر الله جل وعلا رسول الله ﷺ بالهجرة إلى يثرب .

تذكر هجرة رسول الله ﷺ إلى يثرب

أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة (٢) اللخمي ثنا ابن أبي السري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما حرتان » ، فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر رسول الله ﷺ ، ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين ، وتجهز أبو بكر مهاجراً ، فقال له رسول الله ﷺ : على رسلك ، فإني أرجو أن يؤذن ، فقال أبو بكر : وترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال : نعم ، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ لصحبته وعلف راحلتين عنده ورق السمر أربعة أشهر ؛ قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوماً في بيتنا في نحر (٣) الظهر فقال قائل لأبي : هذا رسول الله ﷺ مقبل متقنعا ، في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، قال أبو بكر : فداه أبي وأمي ! إن جاء به في هذه الساعة إلا لأمر ! قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن ، فأذن له فدخل ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : « أخرج من عندك » ، قال أبو بكر : إنما هو أهلك بأبي أنت يا رسول الله ! فقال رسول الله

(١) سورة الحج آية ٣٩ .

(٢) ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥٥ في ترجمة « محمد بن المتوكل بن عبد الرحمن

ابن حسان الهاشمي مولاهم أبو عبد الله بن السري الحافظ العسقلاني » فيمن روى عنه .

(٣) أي في أول وقتها .

ﷺ : « فإنه قد أذن لي بالخروج » ، فقال أبو بكر : فالصحبة بأبي أنت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم » ، فقال أبو بكر : بأبي أنت يا رسول الله ! خذ إحدى راحلتَي هاتين ، فقال رسول الله ﷺ : « بالثمن » ، قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر من نطاقها فأوكت به الجراب ، فلذلك كانت تسمى ذات النطاق ، ولحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل يقال له : ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليال .

قال أبو حاتم : لما أمر الله جل وعلا رسوله ﷺ بالهجرة استأجر رسول الله ﷺ رجلاً من بنى الديل وهو من بنى عدى هادياً خريئاً - والخريت : الماهر بالهداية - قد غمس حلقاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش ، فأمناه ودفعنا إليه راحلتيهما وأوعدها بغار ثور بعد ثلاث ، وخرج ﷺ وأبو بكر حتى أتيا الغار في جبل ثور كمنا فيه ، وخرج المشركون يطلبونهما حتى جاءوا إلى الجبل وأشرفوا على الغار ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ! لو أبصر أحدهم تحت قدمه^(١) لأبصرنا ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما » ، فأعمى الله^(٢) أعينهم عن رسول الله ﷺ ، فلما أيسوا رجعوا ، ومكث رسول الله ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاث ليال ، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر الصديق وهو غلام شاب ثقف نخس ، فيدلج^(٣) من عندهما بسحر ،

(١) وفي السيرة ٢ / ٤ « وفي الصحيح عن أنس قال : قال أبو بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ وهما في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدمه » .

(٢) وفي السيرة ٢ / ٤ « وروى أيضاً أنهم لما عمى عليهم الأثر جاءوا بالقافة فجعلوا يقوفون الأثر حتى انتهوا إلى باب الغار وقد أثبت الله عليه ما ذكرنا في الحديث قبل هذا ، فعندما رأى أبو بكر رضي الله عنه القافة اشتد حزنه على رسول الله ﷺ وقال : إن قتلت فإنما أنا رجل واحد ، وإن قتلت أنت هلكت الأمة ، فعندها قال له رسول الله ﷺ : « لا تحزن إن الله معنا » ألا ترى كيف قال : لا تحزن ! ولم يقل : لا تخف ، لأن حزنه على رسول الله ﷺ شغله عن خوفه على نفسه ، ولأنه أيضاً رأى ما نزل برسول الله ﷺ من النصب وكونه في ضيقة الغار مع فرقة الأهل ووحشة الغربة ، وكان أرق الناس على رسول الله ﷺ وأشفقهم عليه فحزن لذلك .

(٣) يقال أدلج القوم وأدلج : ساروا الليل كله أو في آخره .

فيصبح بمكة مع قريش كبائت بها ، فلا يسمع أمراً يكاد به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط للكلام ؛ ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منيحة عن غنم^(١) فيريحها^(٢) عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رسل^(٣) ، يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث ، ثم خرج النبي ﷺ بعد ثلاث ، معه أبو بكر وعامر بن فهيرة والدليل ، فأخذ بهم الدليل، طريق الساحل فاجتنوا^(٤) ليلتهم حتى أظهروا^(٥) وقام الظهيرة رمى أبو بكر بصره هل يرى ظلاً يأوون إليه ، فإذا هم بصخرة فانتبهوا إليها فإذا بقية ظلها ، فسوى أبو بكر ثم فرش لرسول الله ﷺ ثم قال : اضطجع يا رسول الله ! فاضطجع ، ثم ذهب ينظر هل يرى من الطلب أحداً ، فإذا هو براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي يريدون من الظل ، فسأله أبو بكر : لمن أنت يا غلام ، قال : لفلان - رجل من قريش ، فعرفه أبو بكر فقال : هل في غنمك من لبن ؟ قال : نعم ، فقال : هل أنت حالب لى ؟ قال : نعم ، فأمره فاعتقل شاة من غنمه وأمره أن ينفض عنها من الغبار ، فحلب له كثبة من لبن ، وكان معه إداوة لرسول الله ﷺ على فمها خرقة ، فصب اللبن حتى برد أسفله ثم حلاها ، فأنتهى بها إلى رسول الله ﷺ وقد استيقظ فقال : اشرب يا رسول الله ! فشرب وشرب أبو بكر ، فقال أبو بكر : قد أتى الرجل يا رسول الله ! قال : « لا تحزن » ، والقوم يطلبونهم ، قال^(٦) سراقه بن مالك بن جعشم : جاءنا رسل

(١) وفي الطبري « كان لأبي بكر منيحة من غنم » يقال : منحه الناقة وكل ذات لبن ، إذا جعل له وبرها ولبنها وولدها ، فهي المنحة والمنيحة .

(٢) وفي الطبري « يروح بثلث الغنم » .

(٣) أى تمهل وتؤدة ورفق ، يقال « على رسلك يا رجل » أى على مهلك وتأن .

(٤) أى استتروا .

(٥) يقال : أظهر - إذا سار أو دخل في الظهيرة وهي حد انتصاف النهار .

(٦) وفي السيرة ٢ / ٦ « قال ابن إسحاق وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقه بن جعشم قال : لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم » .

كفار قريش يجعلون^(١) في رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فقال سراقه : فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بنى مدلج إذ أقبل رجل فقال : يا سراقه ! إني رأيت أنفاً أسودة بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه ، قال سراقه : فعرفت أنهم هم فقلت لهم : إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في مجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحطت بزجة الأرض حتى أتيت فرسي ، فركبتها ودفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم ، فعرد^(٢) بي فرسي فخررت عنها ، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي ، فاستخرجت منها الأزام فاستسقيت بها فأخرج أم لا ! فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي وعصيت الأزام ، فقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت فلم تكن تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستسقيت بالأزام ، فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جثتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم بأخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم بالزاد والمتاع فلم يرزأني^(٣) ولم يسألاني إلا أنهما قالوا : أخف علينا ، فسألته أن يكتب لي كتاب موادة وأمن ، فأمر أبا بكر ، فكتب^(٤) لي في رق^(٥) من آدم ، قال سراقه : والله

(١) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٥٠ . وكانت قريش قد جعلت لمن يأتي بالنبي ﷺ دية ، فتبعهم سراقه بن مالك بن جشم المدلجي فلحقهم وهم في أرض صلبة ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ! قد أدركنا الطلب ، قال : « لا تحزن » .

(٢) أي هرب وفر .

(٣) أي لم يأخذ مني شيئاً .

(٤) في سيرة ابن هشام « قال قلت تكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك قال : « اكتب له يا أبا بكر » فكتب لي كتاباً في عظم أو في رقعة أو في خرقة .

(٥) الرق جلد رقيق يكتب فيه .

لأعمى على من ورأى من الطلب ، وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك ستمر على إيلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك ، فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا في إيلك وغنمك ، وانطلق راجعاً إلى أصحابه ، ومضى رسول الله ﷺ فلقى الزبير بن العوام في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأباً بكر ثياباً بيضاء .

ثم ساروا إلى خيمتي أم معبد^(١) الخزاعية ، وكانت امرأة برزة^(٢) جلدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة ثم تسقى وتطعم ، فينالونها تمرأ ويشترون ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، فإذا ، القوم مرملون مستنون ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر خيمتها فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت هي أجهد من ذلك ، قال «أتأذنين لي أن ، أحلبها » ؟ قالت : نعم بأبي أنت وأمي ! إن رأيت بها حلباً فاحلبها ، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله عليه وقال : « اللهم ! بارك لها في شاتها » ، فتفاجت^(٣) ودرت واجترت ، فدعا بإناء لها يربض الرهط ، فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء^(٤) ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقا أصحابه فشربوا حتى رووا وشرب آخرهم ، وقال : « ساقى القوم آخرهم شرباً » ، فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل حتى أراضوا^(٥) ، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء ، فغادره^(٦) عندها ثم ارتحلوا عنها ، فقل ما لبثت فجاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً له حفلاً^(٧) عجافاً يتساوكن^(٨) هزلاً ، مخهن قليل ، لا نقي بهن .

(١) اسمها عاتكة بنت خالد - راجع الروض ٢ / ٨ .

(٢) برز برازة : فاق أصحابه فضلاً أو شجاعة فهو برز وهي برزة .

(٣) أي صارت لها فجوة . (٤) أي ارتفع فوقه الزبد .

(٥) أي رووا . (٦) أي تركه . (٧) جمع حافل ، فقال ناقة أو شاة حافل : كثير لبنها

(٨) من الدلائل لأبي نعيم : أي يسرن سيراً ضعيفاً

فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين لك هذا والشاء عازب ولا حلوبة في البيت ؟ فقالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، قال : والله إنى أراه صاحب قريش الذى نطلبه ، صفيه لى يا أم معبد ! قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضأة مليح الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبهُ ثجلة^(١) ولم تزره صلعة ، وسيم جسيم ، قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف^(٢) ، وفى صوته صهل ، أحور أكحل ، أزج أقرن ، رجل شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع ، وفى لحيته كثائة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، كأن منطقته خرزات نظم يتحدثون ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا يتثنى من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا ، وله رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تسارعوا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند^(٣) ، قال : هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ! لو كنت وافقت لالتحمت إلى أن أصحب ، ولأفعلنه إن وجدت إلى ذلك سبيلاً . وأصبح صوت بمكة عالياً يسمعون ولا يدرون من يقوله ، وهو يقول^(٤) :

جزي الله رب الناس خير جزائه	رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به	فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم	به من فعال لا تجازى وسودد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها	فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

(١) من الدلائل لأبى نعيم أى عظم البطن .

(٢) من وطف أى كثر شعر حاجبيه وعينيه .

(٣) من الدلائل لأبى نعيم ، وفنده : خطأ رأيه وضحفه .

(٤) راجع الروض ٢ / ٧ والكامل لابن الأثير ٢ / ٥٠ لما ذكر عن أسماء بنت أبى بكر فى جزائها : لا

أدرى ، حين سألها أبو جهل ، فلطم خدها لطمه طرح قرطها حتى أتى رجل من الجن من أسفل

مكة يتبعونه يسمعون صوته ولا يرون شخصه وهو يقول .

دعائها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزيد
فغادره رهناً لذيها لحالب يرددها في مصدر ثم مورد

فأجابه جساء بن ثابت

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم
ترحل عن قوم فضلت عقولهم
وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا
نبي يرى مالا يرى الناس حوله
وان قال في يوم مقالة غائب
ليهنيء أبا بكر سعادة جدّه
ليهنيء بنى كعب مقام فتاتهم
وقد سر من يسرى إليه ويغتدى
وحلّ على قوم بنور مجدّد
عمى وهداة يهتدون بمهتدى
ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد
بصحبتة من يسعد الله يسعد
ومقعدا للمؤمنين بمرصد

فلما سمع المسلمون الأبيات خرج المسلمون سراعاً فوجاً فوجاً يلحقون
برسول الله ﷺ فأخذوا على خيمة أم معبد .

وسمع المسلمون بالمدينة بخروج النبي ﷺ من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة
إلى الحرة فينتظرون قدومه حتى يردّهم حرّ الظهيرة فكان أول من قدم عليهم
من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار بن قصي ، فقالوا : ما فعل
رسول الله ﷺ ؟ قال : هو وأصحابه على إثرى ، ثم أتاهم بعده عمرو بن أم
مكتوم الأعشى أخو بني فهر ، فقالوا : ما فعل من وراءك رسول الله وأصحابه ؟
فقال : هم الآن على أثرى ، ثم أتاهم بعده عمار بن ياسر وسعد بن أبي وقاص
وعبد الله بن مسعود وبلال ، ثم أتاهم عمر بن الخطاب في عشرين راكباً ،
وكان رسول الله ﷺ حيث خرج من الفار سلك بهم الدليل أسفل من مكة ،
ثم مضى بهم حتى جاوز بهم الساحل أسفل عسفان ، ثم استجاز بهم على
أسفل أمج^(١) حتى عارض بهم الطريق ، ثم أجاز بهم فسلك بهم الخرار ، ثم

(١) بالجيّم وفتح أوله وثانيه بلد من أعراض المدينة - راجع معجم البلدان .

أجاز بهم ثنية المرة ، ثم سلك بهم القفا ، ثم أجاز بهم مدلجة لفف ، ثم استبطن بهم مدلجة لفف ، ثم استبطن بهم مدلجة مجاج ، ثم سلك مرجح من ذى العضوين ثم بطن ذى كشد ، ثم أخذ بهما الجداجد ثم الأجرد ، ثم سلك بهم بطن أعداء ثم مدلجة تعهن^(١) ثم العبايد^(٢) ثم الفاحة ثم العرج ثم بطن العائر^(٣) ثم بطن ريم ، ثم رحلوا من بطن ريم ونزلوا بعض حرار المدينة ، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ويعثوا رجلاً من أهل البادية يؤذن بهم الأنصار ، فجاء البدوى وأذن بهم الأنصار ، وصعد رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فنظر إلى رسول الله ﷺ مبيضين ؟ فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب ! هذا جدكم الذى تنتظرون ! فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة وهم خمسمائة رجل من الأنصار ، فتلقى الناس والعواتق فوق الأجاجير ، والصبيان والولائد يقولون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع^(٤)

وأخذ الحبشة يلعبون بحراهم لقدوم رسول الله فرحاً بذلك .

ذكر قدوم النبى ﷺ المدينة

أخبرنا أبو خليفة ثنا عبد الله بن رجاء أنا إسرائيل^(٥) عن أبى إسحاق قال سمعت البراء يقول : اشترى أبو بكر من عازب رجلاً بثلاثة عشر درهماً فقال أبو بكر لعازب مر البراء : فليحمله إلى أهلى ، فقال له عازب : لا حتى تحدثنى

(١) من سيرة ابن هشام والروض ، فيه : « مدلجة تعهن - بكسر التاء والهاء والتاء فيه أصلية ، وتعهن صخرة يقال لها أم عفى عرفت بامرأة كانت تسكن هناك فمر بها النبى ﷺ واستسقاها فلم تسقه فدعا عليها فمسخت صخرة فهي تلك الصخرة فيما يذكرون » .

(٢) من سيرة ابن هشام ، وفى الروض « العبايد كأنه جمع عباد ، وقال ابن هشام : هى العبايب كأنه جمع عباب » وفى الأصل « العنايد » كذا .

(٣) من سيرة ابن هشام وفيه « فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة ويقال ثنية الغائر » .

(٤) تمامه بهامش الخصائص ١ / ١٩٠ : أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع .

(٥) هو إسرائيل بن يونس بن أبى إسحاق السبعمى الهمداني أبو يوسف الكوفى قال ابن حجر ثقة تكلم

فيه بلا حجة من الطبقة السابعة مات سنة ١٦٠ هـ وأخرج له أصحاب الأصول الستة

قال الذهبي : إسرائيل أحد الاعلام اعتمده البخارى ومسلم فى الأصول وهو ثبت كالأسطوانة فلا يلتفت إلى تضعيف من ضعفه . انظر تقريب التهذيب ١ / ٦٤ ترجمة ٤٦٠ .

كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم؟ فقال: ارتحلنا من مكة - فذكر حديث الرجل، وقال: حتى أتينا المدينة فتنازعوا أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: إني أنزل الليلة على بنى النجار وأحوال عبد المطلب أكرمهم بذلك، فخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعار البيوت، والغلمان والخدم يقولون: جاء محمد! جاء رسول الله ﷺ! فلما أصبح انطلق فنزل حيث أمر.

قال أبو حاتم: لما أمسى رسول الله ﷺ الليل عدل بهم فنزل على بنى النجار أحوال عبد المطلب، لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو كانت من بنى عدى بن النجار، فلما أصبح ﷺ نزل حمزة بن المطلب وعلى بن أبي طالب وأبو مرثد وابنه مرثد وأبو كبشة وزيد بن حارثة على كلثوم بن الهمدم العمري أخى بنى عمرو بن عوف، ونزل أبو بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله وصهيب ابن سنان على خبيب بن إيساف، ونزل عمر وزيد ابناً الخطاب وعمر وعبد الله ابنا سراقة وعبد الله بن حذافة وواقد بن عبد الله، وخولى بن أبي خولى وعياش ابن ربيعة وخالد وعافل وإياس بن البكير على رفاعه بن عبد المنذر، ونزل عبيدة والطفيل والحصين بنو الحرب ومسطح بن أثاثة وسويط مولى أبي سعد وكليب ابن عمير وخباب بن الأرت على عبد الله بن سلعة العجلاني، ونزلت زينب بنت جحش وجدامة بنت جندل وأم قيس بنت محصن، وأم حبيبة بنت نباتة وأممية بنت رقيش وأم حبيبة بنت جحش وأم سخبرة بنت نعيم على سعد بن خيثمة، وعشى رسول الله ﷺ المسلمون وأقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً مسلمون، وأقام رسول الله ﷺ فى بنى عوف بقاء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس المسجد بقاء وصلى فيه تلك الأيام، فلما كان يوم الجمعة خرج على ناقته القصوى يوم الجمعة يريد المدينة، واجتمع عليه الناس فأدركته الصلاة فى بنى سالم بن عوف، فكانت أول جمعة^(١)

(١) وفى سيرة ابن هشام فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلها فى المسجد الذى فى بطن الوادى « وادى رانواء » .

جمعها رسول الله ﷺ بالمدينة ، ثم جعل رسول الله ﷺ يمر بدور الأنصار فيدعونه للنزول ويعرضون عليه المؤاساة فيجزئهم النبي ﷺ خيراً حتى مر على بنى سالم ، فقام عتب بن مالك في أصحاب له فقالوا له : يا رسول الله ! أقم في العدد والعدة والمنعة ، فقال النبي ﷺ : « خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة ، ثم مر بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادة وأبو دجاجة^(١) والمنذر بن عمرو وداود^(٢) راودوه على النزول ، ابن لبيد وراودوه على النزول ، فقال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، ثم مر على بنى عدى بن النجار فقال أبو سليط بن أبي خارجة : عندنا يا رسول الله ! فنحن أخوالك - وذكروا رحمهم ، فقال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، وأقبلت الناقة حتى انتهت به إلى مرید التمر وهو يومئذ لغلामين يتيمين من بنى النجار في حجر أسعد بن زرة اسمهما سهل وسهيل ابنا رافع ابن أبي عمرو وكان المسلمون بنوا مسجداً يصلون فيه وهو موضع مسجده اليوم ، فلما انتهت به الناقة إلى المسجد بركت ، فنزل عنها رسول الله ﷺ وقال : هذا إن شاء الله المنزل ! وجاء أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد بن كليب فأخذ برحله وجاء أسعد بن زرة فأخذ بزمام راحلته ، ثم سأل رسول الله ﷺ عن المرید ، فقال معاذ بن عفراء : هو لغلामين يتيمين وأنا مرضيهما عنه ، فدعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمرید ليتخذه مسجداً ، فقالا : بل نهبه لك ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبل منهما هبة حتى ابتاعه منهما ، فلما خرج رسول الله ﷺ من المسجد قالوا : يا رسول الله ، المرء مع موضع رحله ، فنزل على أبي أيوب الأنصاري ومنزله في بنى غنم بن النجار ، ثم أخذ رسول الله ﷺ والمسلمون في بناء المسجد ، وكان رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن :

هذا أبر ربنا وأظهر

هذا الحمال لا حمال خبير

فاغفر للأنصار والمهاجرة

اللهم إن الخير خير الآخرة

(١) اسمه « سماك بن خرشة راجع الإصابة ٧ / ٥٧ .

(٢) الأنصاري المازني ، قيل : اسمه عمرو ، راجع الإصابة ٧ / ٥٧ .

وكان عمار بن ياسر جعداً قصيراً وكان ينقل اللبن وقد أغبر صدره فقال له رسول الله ﷺ : يا ابن سمية ! تقتلك الفئة الباغية وقدم طلق بن علي على رسول الله ﷺ وكان يعين المسلمين في بناء المسجد . فكان النبي ﷺ يقول : قربوا الطين من اليمامي فإنه من أحسنكم به مسكاً ، ومات أسعد بن زرارة والمسجد يبنى ، أخذته الشهقة^(١) ، ودفن بالبقيع ، وهو أول من دفن بالبقيع من المسلمين فكان النبي ﷺ نازلاً على أبي أيوب حتى فرغ من المسجد وبنى له فيه مسكن ، فانتقل رسول الله ﷺ حين فرغ من المسجد ومسكنه إليه ، ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ليقتفل سودة بنت زمعة زوجته وبناته ، وبعث أبو بكر الصديق عبد الله بن أريقط إلى عبد الله بن أبي بكر أن يقدم بأهله ، فلما قدم ابن أريقط على عبد الله بن أبي بكر خرج عبد الله بعيال أبي بكر : عائشة وعبد الرحمن وأم رومان أم عائشة وكان البراء بن معرور مات في صفر قبل قدوم النبي ﷺ المدينة بشهر وأوصى عند موته أن يوجه إذا وضع في قبره إلى الكعبة ففعل به ذلك ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى على قبره ، وولد مسلمة بن مخلد^(٢) ؛ وكان آخر الأنصار إسلاماً بنو واقف وبنو أمية وبنو وائل ، وكانت الأنصار كل واحد منهم يهدي لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة تيساً ، وكانت أم سليم لم يكن لها ما تهدي فأنت بانبها أنس إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ! ابني هذا يخدمك وليس عندي ما أهديه ، فادع الله له ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم ! أكثر ماله وولده .

ثم دخل رسول الله ﷺ دار أنس بن مالك وكان أنس^(٣) له عشر سنين حيث

(١) والشهقة : كالصيحة ، يقال شهق فلان وشهيق وشهقة فمات والشهيق : الأنين الشديد المرتفع جداً (لسان العرب) وفي سيرة ابن هشام والروض « هلك في تلك الأشهر أبو أمية أسعد بن زرارة والمسجد يبنى أخذته الذبحة أو الشهقة » .

(٢) له ترجمة في الإصابة : ٦ / ٩٧ وفيها : « وأخرج أبو نعيم أيضاً من طريق وكيع عن موسى بن علي عن أبيه عن مسلمة بن مخلد قال : ولدت حين قدم النبي ﷺ المدينة وقبض النبي ﷺ وأنا ابن عشر سنين » .

(٣) له ترجمة في الإصابة : ١ / ٧١ وفيها « صح عنه أنه قال : قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين ، وأن أمه أم سليم » .

قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فكانت أمهاته يحثنه ، فلما دخل داره حلب له من داجن وشاب له لبنها بماء يسير في الدار ، وأبو بكر عن شماله وأعرابي عن يمينه ، فتأوله رسول الله ﷺ الأعرابي وقال : الأيمن فالأيمن ، وكانت الصلاة ركعتين ركعتين فرآهم رسول الله ﷺ متنفلين فقال : « يا أيها الناس ! اقبلوا فريضة الله » فأقرت صلاة المسافر وزيد في صلاة المقيم^(١) وذلك لا ثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الآخر بعد قدومه عليه السلام المدينة بشهر .

ووعك أصحاب رسول الله ﷺ وعكاً شديداً فدخلت عائشة على أبي بكر وهو يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أقرب من شراك نعله

ثم دخلت على عامر بن فهيرة وهو يقول :

كل امرئ مدافع^(٢) طوقه الشور يحمي جلده بروقته^(٣)

فدخلت على بلال وهو يقول :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بواد وحولى إذ خر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

وكان بلال يقول : اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام كما أخرجونا من مكة ، فأخبرت عائشة النبي ﷺ بما رأت من وعكهم ، فقال النبي ﷺ : اللهم ! حبب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة ، وبارك لنا فيها كما باركت لنا في مكة ، وبارك في صاعها ومدها وانقل وباءها إلى مهيعة وهي الجحفة .

(١) وفي الطبري « وفي هذه السنة زيد في صلاة الحضر فيما قيل ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين . وذلك بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة بشهر في ربيع الآخر لمضي اثنتي عشرة ليلة » .

(٢) في السيرة « مجاهد » .

(٣) زاد في السيرة بيتاً قبله : « لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حمله من فوقه » .

ودخل رسول الله ﷺ المسجد وقد حمى الناس وهم يصلون قعوداً ، فقال
النبى ﷺ : صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ، فختم الناس الصلاة
قياماً ، ثم قال النبى ﷺ : « اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما بمكة من البركة !
ثم أراد رسول الله ﷺ أن يؤاخى بين المهاجرين والأنصار فى شهر رمضان ،
فدخل المسجد فجعل يقول : أين فلان بن فلان ؟ فلم يزل يعدهم ويبعث إليهم
حتى اجتمعوا عنده ، فقال : إني أحدثكم بحديث فاحفظوه وحدثوا من بعدكم
إن الله اصطفى من خلقه خلقاً - ثم تلا هذه الآية « اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ
الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ » (١) ، خلقاً يدخلهم الجنة ، وإني مصطفى منكم
أحب أن أصطفيه ، ومؤاخ بينكم كما آخى الله بين الملائكة ، قم يا أبا بكر !
فقام فجاء بين يديه ، فقال : إن لك عند يدا الله يجزيك بها ، ولو كنت
متخذاً خليلاً لاتخذتك خليلاً ، وأنت عندى بمنزلة قميصى فى جسدى -
وحرك قميصه ، ثم قال : ادن يا عمر ! فدنا فقال : لقد كنت شديد الثغب
علينا يا أبا حفص فدعوت الله أن يعز الدين بك أو بأبى جهل ، ففعل الله ذلك
بك وكنت أحبهما إلى الله ، فأنت معى ثالث ثلاثة من هذه الأمة ! ثم تنحى
وآخى بينه وبين أبى بكر ؛ ودعا عثمان بن عفان فقال : ادن يا عثمان ! ادن
يا أبا عمرو ، فلم يزل يدنو حتى ألزق ركبته بركبته ، ثم نظر إلى السماء فقال :
سبحان الله العظيم ! ثم نظر إلى عثمان فإذا إزاره محلولة فزرها عليه ثم قال :
اجمع لى عطفى ردائك على نحرى ، فإن لك شأنأ عند أهل السماء ، أنت ممن
يرد على الحوض وأوداجه تشخب دماً ؛ ثم دعا عبد الرحمن بن عوف فقال :
ادن يا أمين الله ! يسلط الله على مالك بالحق ، أما ! إن لك عندى دعوة قد
أخرتها ، فقال : خرلى ، فقال : أكثر الله مالك ! ثم تنحى وآخى بينه وبين
عثمان .

ثم دعا طلحة والزبير فقال : ادنوا منى ، فدنوا منه ، فقال : « أنتما حوارى

(١) سورة الحج آية ٧٥ .

كحوارى عيسى بن مريم ! ثم أخى بينهما » .

ثم دعا سعد بن أبى وقاص وعمار بن ياسر فقال : « يا عمار ! تقتلك الفئة الباغية ، ثم أخى بينهما » .

ثم دعا عميراً أبا الدرداء وسلمان الفارسي فقال : « يا سلمان ! أنت منا أهل البيت ، وقد آتاك الله العلم الأول والعلم الآخر ، ثم قال : ألا أنشدك يا أبا الدرداء قال : بأبى أنت وأمى بلى ، قال : إن تنقدهم فينقدوك ، وإن تتركهم لا يتركوك ، فأقرضهم عرضك ليوم نترك ، واعلم أن الجزاء أمامك ، ثم أخى بينهما ، ثم نظر فى وجوه أصحابه فقال : ابشروا وقرؤا عينا ، فأنتم أول من يرد على الحوض ، وأنتم فى أعلى الغرف ، ونظر إلى عبد الله بن عمر فقال : الحمد لله الذى يهدى من الضلالة من أحب » .

فقال على بن أبى طالب : يا رسول الله ! ذهب روحى فانقطع ظهري حين رأيته ففعلت بأصحابك ما فعلت ، فإن كان من سخطة على فلک العتبي والكرامة ! قال : والذى بعثنى بالحق ! ما أخرجتك إلا لنفسى ، وأنت منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ، وأنت أخى ووارثى قال : يا رسول الله ! ما أرت منك ؟ قال : ما ورثت الأنبياء قبلى ، قال : وما ورثت الأنبياء قبلك ؟ قال : كتاب الله وسنة نبيهم ، وأنت معى فى قصرى فى الجنة مع فاطمة ابنتى ، ثم تلا رسول الله ﷺ « إخواناً على سرر متقابلين » (١) .

ومات الوليد بن المغيرة بمكة وأبو أحيحة بالطائف ، بلغ المسلمين نعيهما ، وولد عبد الله بن الزبير فى شوال ، فكبر المسلمون وكانوا يخافون أن يكون اليهود سحرت نساءهم ، وكان أول مولود ولد من المهاجرين بالمدينة ، وهنىء به أبو بكر والزبير ، ولم ترضعه أسماء بنت أبى بكر حتى أتت به النبى ﷺ ، فأخذته ووضعته فى حجره فحنكه بتمررة ، فكان أول شيء دخل بطنه ريق رسول الله ﷺ ثم سماه عبد الله .

ثم عقد رسول الله ﷺ اللواء لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف على ستين من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار أحد ، هي أول راية عقدها ^(١) بالمدينة ، وبعثه إلى بدلن رابع ، فبلغ ثنية المرة بالقرب من الجحفة ، فالتقوا على ماء يقال له أحياء ^(٢) ، وأمير السرية أبو سفيان بن حرب في مائتين من المشركين ، فلم يكن منهم إلا الرمي بالرمي ، ثم انحاز المسلمون على رامية ، وانحاز ^(٣) من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو بن الأسود وقد قيل : عتبة بن غزوان ، ثم انصرفوا من غير أن يسلوا السيوف ، وقد قيل : إن المشركين أميرهم كان مكرز بن حفص بن الأخيف ، وكان حامل اللواء لعبيدة ابن الحارث مسطح بن أثانة .

ثم عقد رسول الله ﷺ اللواء لحمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكباً كلهم من المهاجرين ، بعثه إلى ساحل البحر من قبل العيص من أرض الجهينة ليتعرض لعير قريش ، فلقى أبا جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهني وكان حليفاً للفريقين ، فانصرف الفريقان من غير قتال ، وكان حامل لواء حمزة يومئذ أبو مرثد .

ثم بنى رسول الله ﷺ بعائشة وهي بنت تسع على رأس ثمانية أشهر من هجرته وذلك في شوال ، وكان تزوج بها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وهي ابنة ست ، فأهديت إلى النبي ﷺ ومعه البهاء ، ولم يزوج من النساء بكرة غيرها .

ثم عقد رسول الله ﷺ اللواء لسعد بن أبي وقاص في عشرين رجلاً يريد العير

(١) وقال ابن الأثير « وقال بعضهم : كان لواء أبي عبيدة أول لواء عقده وإنما اشتبه ذلك لقرب بعضها ببعض » .

(٢) في معجم البلدان « الأحياء جمع حي ، من أحياء العرب ، أوحى ضد الميت ، قال ابن إسحاق : غزا عبدة بن الحارث بن المطلب الأحياء ، وهو ماء أسفل من ثنية المرة ... » .

(٣) قال ابن الأثير في الكامل « وكان المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان مسلمين وهما بمكة ، فخرجا مع المشركين يتوصلان بذلك ، فلما لقيهم المسلمون انحازا إليهم » .

فى ذى القعدة ، فخرجوا على أقدامهم فكانوا يكفون بالنهار ويسرون بالليل حتى أصبحوا لحرار صبح خامسة وقد سبقهم العير قبل ذلك بيوم فانصرفوا ، وكان حامل اللواء يومئذ لسعد المقداد بن عمرو .

وجاء رسول الله ﷺ أبو قيس بن الأسلت فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، فقال : ما أحسن ما تدعو إليه ! انظر فى أمرى ثم أعود إليك ، فلقبه عبد الله بن أبى فقال : كرهت والله حرب الخزرج ! فقال أبو قيس : لا أسلم سنة ، فمات فى ذى الحجة .

السنة الثانية من الهجرة

حدثنا عبد الله بن محمد بن المداينى ثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ فوجد اليهود يصومون عاشوراء فقال لهم : ما هذا ؟ قالوا : يوم عظيم ! نجى الله فيه موسى وأغرق فرعون فيه وقومه ، فصامه موسى شكراً لله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ : « أنا أولى بموسى وأحق بصيامه منكم ، فصامه وأمر بصيامه » .

قال^(١) : وجد رسول الله ﷺ اليهود يصومون يوم عاشوراء فى أول قدومه المدينة وهو أول السنة الثانية من الهجرة ، فسألهم فأخبروه أن الله نجى موسى فى ذلك اليوم وأغرق آل فرعون فصامه موسى شكراً لله ، فأمر رسول الله ﷺ بصيامه وقال : أنا أولى بموسى ، فصامه (ﷺ) والمسلمون .

ثم زوج رسول الله ﷺ ابنته فاطمة علياً فى صفر ، وقال له : « أعطها شيئاً » ، فقال : ما عندى يا رسول الله شيء ، قال : « فأين درعك الحطمية ؟ فبعث إليها بدرعه » .

وقد روى فى تزويجها أخبار فيها طول تؤدى إلى مسلك القصص فتتكتب

(١) أى أبو حاتم

عن ذكرها لعلمى بعدم صحتها من جهة النقل .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة الأبواء ، وهي أول غزوة غزاها بنفسه ، وبين الأبواء وودان ستة أميال ، خرج رسول الله ﷺ في المهاجرين ليس فيهم أنصارى ، وذلك في شهر ربيع الأول على رأس سنة من مقدمه المدينة ، واستخلف سعد بن عباد بن ذليم وكان حامل لوائه حمزة بن عبد المطلب ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، والأبواء جبل ، وودان والأبواء بينهما الطريق ، كلاهما ورد رسول الله ﷺ ، وفي هذه الغزاة وادع رسول الله ﷺ مخشى بن عمرو الضمري .

ثم غزا رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه إلى ناحية رضوى يريد غير قريش فيها أمية بن خلف .

واستخلف على المدينة سعد بن معاذ ، وكان يحمل لواءه سعد بن أبي وقاص ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً .

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص في سبعة نفر أو ثمانية حتى انتهى إلى الخرار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيداً^(١) . وكان سرح في المدينة يرعى في الحمى فاستاقه كرز بن جابر الفهري ، فخرج رسول الله ﷺ في إثره في المهاجرين ، وكان حامل لوائه علي بن أبي طالب .

واستخلف على المدينة زيد بن حارثة ، وطلب رسول الله ﷺ حتى بلغ بدرأ ، فلم يلحقه وفاته كرز فرجع إلى المدينة ، وهذه الغزوة تسمى غزوة بدر الأولى .

ثم ولد النعمان بن بشير في جمادى الأولى ، فحملته أمه عمرة بنت رواحة إلى رسول الله ﷺ ، فحنكه رسول الله ﷺ ، وهو أول مولود من الأنصار ولد بعد قدوم النبي ﷺ المدينة .

(١) في الطبري ٢ / ١٢٦٥ : عقد رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص إلى الخرار لواء أبيض يحمله المقداد بن عمرو في ذي القعدة .

ثم بعث رسول الله ﷺ في رجب عبد الله بن جحش في اثني عشر نفساً من المهاجرين ليس فيهم أنصاري ، وكتب له كتاباً وقال : أمسك كتابك فإذا سرت يومين فأنشره فانظر ما فيه ، ثم امض . وخرج مع عبد الله بن جحش أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة حليف بني عدى بن كعب ، وسعد بن أبي وقاص ، وسهيل بن بيضاء ، وعتبة بن غزوان وواقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدى بن بيضاء ، وخالد بن البكير حليف بني عدى ، وعكاشة بن محصن ، فسار عبد الله بن جحش ليلتين على ما أمره رسول الله ﷺ ، ثم فتح الكتاب فإذا فيه : سر حتى تنزل نخلة على اسم الله ، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على السير معك ، وامض فيمن تبعك منهم حتى تقدم بطن نخلة فترصد بها غير قريش . فلما قرأ الكتاب قال : لست بمستكره أحداً منكم ، فمن كان يريد الشهادة فليحض ، فإني متاضى لأمر رسول الله ﷺ ؛ فمضى ومضى القوم معه حتى إذا كانوا يبحران معدن بالحجاز فوق الفرع - أضل عتبة بن غزوان وسعد بن أبي وقاص بغيراً فتخلفا في طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش حتى أتى المكان الذي أمره رسول الله ﷺ ، فوجد غير قريش فيها عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة ، فلما رأى أصحاب العير القوم هابوهم وحلزوهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رآه قال عمار : لا بأس عليكم ! وأمنوا ، فاستشاروا أصحاب رسول الله ﷺ في أمرهم ، وكان آخر يوم من رجب .

فقال المسلمون : إن أخرنا عنهم هذا اليوم دخلوا الحرم فامتنعوا ، وإن أصبناهم أصبناهم في الشهر الحرام ، فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة ، والحكم بن كيسان ، وأعجزهم نوفل بن عبد الله بن المغيرة ؛ واستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله ﷺ ، فوقف رسول الله ﷺ العير ولم يأخذ منها شيئاً وحبس الأسيرين ، وقال لأصحابه : ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ، فسقط في أيدي القوم

وظنوا أنهم هلكوا ؛ وقالت قريش : استحل بهذا الشهر الحرام ، قد أصاب فيه الدم والمال ، فأنزل الله فيما كان قول رسول الله ﷺ وما عظم في أنفس أصحابه وما جاؤوا به ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ ﴾ - إلى قوله : ﴿ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (١) يريد أنهم كانوا يفتنونكم في دينكم وأنتم في حرم الله حتى تكفروا بعد إيمانكم ، فهذا أكبر عند الله من أن تقتلوه في الشهر الحرام . مع كفرهم وصدهم عن سبيل الله وإخراجكم منه ، فلما نزل القرآن بذلك أخذ رسول الله ﷺ العير ، وأما الأسيران فإن الحكم أسلم وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان ففاداه رسول الله ﷺ ورجعوا به مكة ، ومات بها مشركاً .

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى ذى العشيرة في المهاجرين ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وكان حامل لوائه حمزة بن عبد المطلب حتى بلغ بطن ينبع ، فوادع بها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ثم رجع . وكان النبي ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة فقال له عمر بن الخطاب : يا رسول الله ! لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى ! فأنزل ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ (٢) ، وقال السفهاء من الناس : من اليهود ﴿ مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ (٣) فأنزل الله ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ (٤) الآية ، فصرفت القبلة إلى الكعبة في الظهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان ؛ فكانت صلاته نحو بيت المقدس بعد قدومه المدينة سبعة عشر شهراً (٥) وثلاثة أيام ، فخرج رجل بعدما صلى فمر على قوم من الأنصار وهم ركوع في صلاة العصر نحو بيت

(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٤ .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٢ .

(٤) سورة البقرة آية ١٤٢ .

(٥) في الطبرى : عن ابن إسحاق قال : صرفت القبلة على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة .

المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه قد وجه إلى الكعبة ،
فانحرف القوم حتى توجهوا إلى الكعبة .

ثم أنزل الله جل وعلا فريضة الصوم في شعبان ، فلم يأمرهم رسول الله ﷺ
بعد فرض رمضان بصيام عاشوراء ولا نهاهم عنه .

ثم كانت غزوة بدر

خرج رسول الله ﷺ في شهر رمضان لاثنتي عشرة ليلة خلت منه يريد
اعتراض عير قريش ومعه المهاجرون والأنصار ، وضرب بعسكره قبل أن يخرج
من المدينة ببئر أبي عينة ، وعرض أصحابه ورد من استصغر منهم ، فكان ممن رد
في ذلك اليوم من المسلمين عبد الله بن عمر ورافع بن خديج والبراء بن عازب
وزيد بن ثابت وأسيد بن حضير ، وكان عمير بن أبي وقاص يستر في ذلك اليوم
لأن لئلا يراه النبي ﷺ ، فقال له سعد : ما لك يا أخي ؟ قال : إني أخاف أن
يراني النبي ﷺ فيستصغرنى فيردنى ! لعل الله أن يرزقنى الشهادة ؛ فرآه رسول
الله ﷺ فرده ، فبكى بكاءً شديداً فأجازه رسول الله ﷺ ، وقتل بيدر شهيداً .

ثم رحل رسول الله ﷺ من بئر أبي عينة في ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً ،
منهم أربعة وسبعون رجلاً من المهاجرين وسائرهم من الأنصار ، وكان لهم من
الإبل سبعون بعيراً يتعاقب النفر البعير الواحد ، فبعث رسول الله ﷺ طلحة بن
عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل على طريق الساحل إلى الحوران
يتجسسان خبر العير .

ورأت عاتكة بنت عبد المطلب بمكة رؤيا أفزعته فبعثت إلى العباس فقالت :
يا أخي ! لقد رأيت البارحة رؤيا أفظعتنى فاكتم على ، قال : وما رأيت ؟
قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته :
ألا ! انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ، فإذا الناس قد اجتمعوا إليه فدخل
المسجد والناس يتبعونه ، فبيناهم حوله إذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم

خرج بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت ، فما بقى بيت بمكة ولا دار إلا دخلها منها فلقمة ، قال العباس : والله ! إن هذه لرؤيا فاكتمئها ولا تذكرها .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان له صديقاً فذكرها له ، فذكرها الوليد لأبيه ، ففشا الحديث بمكة ، فقال أبو جهل : ما يرضى بنو عبد المطلب أن يتنبأ رجالهم حتى تتنبأ نساؤهم .

وكان أبو سفيان بن صخر أقبل من الشام فى غير لقريش عظيمة فيها أموالهم وتجاراتهم وفيها ثلاثون - وقيل : أربعون - رجلاً من قريش ، منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهرى .

وكان أبو سفيان يتحسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان ، فأصاب خبراً من الركبان أن محمداً قد نفر فى أصحابه ، فحذر عند ذلك واستأجر ضمضم ابن عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتى قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها ، فدخل ضمضم فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة مكة وهو يصرخ ببطن الوادى وقد جدع بعيه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش ! اللطيمة ! اللطيمة ! قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها أو لا تدركوها ، الغوث ! الغوث ! فتجهزت قريش سراعاً ، إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً ، وخرجت تريد العير .

ولما بلغ رسول الله ﷺ الصفراء - بينها وبين المدينة ثلاث ليال - بعث عدى ابن أبى الزغباء الجهنى حليف بنى النجار وبسبس بن عمرو الجهنى حليف بنى ساعدة قدامه إلى مكة ، فلما نزلا الوادى أناخ إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شناً لهما يستسقيان فيه ، وعلى الماء إذ ذاك مجدى بن عمرو الجهنى ، فسمع عدى وبسبس جارىتين من جوارى جهينة وهما يتلازمان فقالت الملزومة لصاحبتها : إنما يأتى العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم وأقضيك الذى على ،

فقال مجدى : صدقت وخلص بينهما ؛ فلما سمع بذلك عدى وسبس ركباً راحلتيهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه ، وأقبل أبو سفيان وقد تقدم العير حتى ورد الماء حذراً من الذى كان يخافة ، فقال لمجدى بن عمرو : وهل أحسست أحداً ؟ فقال : والله ! ما رأيت أحداً إلا أنى رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعاد بعيريهما ففته فإذا فيه النوى ، فقال : هذا والله علائف يثرب ! فرجع وضرب وجوه عيره فساحل بها وترك بدرأ يساراً وانطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخزومة رؤيا فقال : أنا بين النائم واليقظان رأيت رجلاً قد أقبل على فرس له حتى وقف ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف - وفلان وفلان ، ثم ضرب فى لبة بعيره وأرسله فى العسكر ، فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمه ، فبلغ أبا جهل رؤياه فقال : هذا نبى آخر من بنى المطلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا ! فلما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش ، قال : إنكم خرجتم لتمنعوا غيركم وأموالكم وقد نجاهما الله فارجعوا ، فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدرأ ! - وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق - فنقيم عليه ثلاثاً وننحر الجزور ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، فتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ؛ ثم رحلت قريش حتى نزلت العدو القصوى من بدر.

ولما بلغ رسول الله ﷺ عرق الظبية دون بدر استشار الناس فقال : أشيروا على أيها الناس ! فقام أبو بكر فقال وأحسن ، ثم قام عمر فقال مثل ذلك ، ثم قام المقداد بن الأسود فقال : يا رسول الله ! امض بنا لأمر الله فنحن معك ، والله لا نقول لك مثل ما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا ﴾

قَاعِدُونَ (٢٤) ﴿١﴾ . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والذي بعثك بالحق ! لو سرت بنا إلى برك الغماد (٢) لجالدنا معك من دونه حتى تنتهي إليه فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير .

ثم قال : أشيروا علي أيها الناس ! وإنما يريد رسول الله ﷺ الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس (٣) ، قال سعد بن معاذ : كأنك يا رسول الله إنما تريدنا ! قال : أجل ، فقال سعد : قد آمننا بك وصدقناك ، وشهدنا بما جئت به أنه الحق ، وأعطيناك موثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة ، فامض بنا يا نبي الله لما أردت فنحن معك ، والذي بعثك لو ! استعرضت هذا البحر وخضت بنا لخضناه معك ما بقي منا رجل ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا بعض ما تقر به عينك ! فسر بذلك رسول الله ﷺ ، ثم ركب ورجل من أصحابه قدام الجيش ، ومضى حتى وقف على شيخ قريباً من بدر فقال له : أيها الشيخ ! ما بلغك عن محمد وأصحابه ؟ فقال : ما أنا مخبرك حتى تخبرني من أنت ! قال رسول الله ﷺ : « إذا أخبرتنا أخبرناك من نحن » ، فقال الشيخ : أذاك بذاك ؟ قال : « نعم » ، فقال الشيخ : بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن يكن الذي أخبرني صدقتي فهم اليوم بكذا وكذا - بالمنزل الذي كان فيه رسول الله ﷺ ؛ وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن يكن الذي أخبرني صدقتي فهم اليوم بكذا وكذا - بالمنزل الذي هم فيه ، ثم قال : بمن أنت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نحن من ماء » ؛ ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى أصحابه .

(١) سورة المائدة آية ٢٤ .

(٢) بفتح الباء وكسرهما وضم الغين وكسرهما ، وهي موضع باليمن .

(٣) وزاد في السيرة ٢ / ٦٤ « وإنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ! إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دورنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم ، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ .. إلخ » .

وأصاب على بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص راوية لقريش وفيها غلام لبنى العاص و غلام لمنبه بن الحجاج ، فأتوا بهما رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ قائم يصلى ، فقالوا لهما : من أنتما ؟ فقالا : نحن سقاة قريش ، بعثونا لنسقى لهم الماء ، فكره القوم خبر قريش ورجوا أن يكونا لأبى سفيان ، فقالوا لهما : من أنتما ؟ ألا لأبى سفيان ؟ فأنكرا فضربوهما ، فلما آذوهما قالا : نحن لأبى سفيان ، فأمسكوا عنهما ؛ فانصرف رسول الله ﷺ من صلاته وأقبل عليهم فقال : إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما ! والله إنهما لقريش ! ثم دعاهما فقال : لمن أنتما ؟ فأخبراه ، ثم قال : أين قريش ؟ قالا : خلف هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى من الوادى ، قال : وكم هم ؟ قالا : هم كثير ، قال : ما عددهم ؟ قالا : ما ندرى ، قال : فكم تنحرف فى اليوم ؟ قالا : يوما عشراً ويوما تسعاً ، فقال رسول الله ﷺ : « هم بين التسعمائة إلى الألف ، ثم قال لهما : فمن فيهم من أشرف قريش ؟ » فسميا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فى رجال من قريش ، وكان الذى ينحرف لقريش تسعة رهط من بنى هاشم : العباس بن عبد المطلب ، ومن بنى عبد شمس : عتبة بن ربيعة ، ومن بنى نوفل : الحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل ، ومن بنى عبد الدار : النضر بن الحارث ، ومن بنى أسد : حكيم بن حزام ، ومن بنى مخزوم : أبو جهل بن هشام ، ومن بنى جمح : أمية بن خلف ، ومن بنى سهم : منبه بن الحجاج ، ومن بنى عامر ابن لؤى : سهيل بن عمرو .

ثم أقبل رسول الله ﷺ على المسلمين فقال : « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها ، وبعث الله السماء فأصاب رسول الله ﷺ والمسلمين ماء لبدلهم الأرض ، وأصاب قريشاً ماء لم يقدرُوا أن يرتحلوا معه » .

ثم رحل رسول الله ﷺ بالمسلمين وقال لهم : « سيروا على بركة الله ، فإنه قد وعدنى إحدى الطائفتين ، فكأننى أنظر إلى مصارع القوم ، ثم مضى يبادر

قريشاً إلى الماء حتى إذا جاء أدنى من ماء بدر نزل به ، فقال حباب بن المنذر ابن الجموح أحد بني سلمة : يا رسول الله ! أرايت هذا المنزل ؟ أمزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الحرب والرأي والمكيدة ، قال : فإن هذا ليس لك بمنزل ، فانهض حتى نأتى أدنى قليب القوم فنزله ثم نغور ما سواه من القلب ثم نبني حوضاً فنملأه ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله ﷺ : « قد أشرت بالرأى ، ثم نهض رسول الله ﷺ وسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل وبني حوضاً على القلب وقذفوا فيه الآنية ، ثم أمر بالقلب فغورت ، فقال سعد بن معاذ : يا نبي الله ! ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كان علينا يا نبي الله جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام وما نحن بأشد حياءً لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير ، وبني له عريش ، فقعده فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وارتحلت قريش حين أصبحت ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال : « اللهم ! هذه قريش قد أقبلنا بخيلائها وفخرها ، تخادك وتكذب رسلك ، اللهم ! فنصرك الذى وعدتني ! اللهم ! فاحنهم الغداة » . ورأى رسول الله ﷺ عتبة بن ربيعة على جمل له أحمر فقال : « إن يك فى أحد من القوم خير ففى صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشد » ، فلما نزلت قريش أقبل نفر منهم حتى أقبلوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم ابن حزام ، فقال النبي ﷺ : دعوهم بما شرب رجل منهم شربة إلا قتل غير حكيم بن حزام .

فلما اطمأنت قريش بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا احزر لنا محمداً وأصحابه ، فاستحال عمير بن وهب بفرس حول العسكر ، ثم رجع إليهم فقال : ثلاثمائة رجل يزدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، ولكن امهلونى حتى أنظر هل

لهم من كمين أو مدد ، فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ما رأيت شيئاً ولكني رأيت يا معشر قريش البلاء يا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع^(١) ، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ! ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منا ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم ، فلما سمع بذلك حكيم بن حزام مشى في الناس حتى أتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد ! أنت كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ! فهل لك أن لا تزال تذكر بخير آخر الدهر ! قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك ، قال : قد فعلت أنت على بذلك ، إنما هو حليفى فعلى عقله - يعنى عمرو بن الحضرمي - وما أصيب من ماله ، ولكن أنت ابن الحنظلية ، فإني لا أخشى على الناس غيره - يعنى أبا جهل ، ثم قام عتبة فقال : يا معشر قريش ! إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه ، والله ! لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه الرجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بينه وبين محمد وسائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألقاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون ؛ فجاء حكيم بن حزام أبا جهل فوجده قد نثل درعاً له من جرابها وهو يهتثها فقال : يا أبا الحكم ! إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا ، فقال أبو جهل : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ! ثم قال أبو جهل : اللهم ! اقطعنا الرحم وأتانا بما لا نعرف فاجنه الغداة ! ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك عتبة يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت نارك بعينك ، والله ما ذلك بعتبة ولكنه قد عرف أن ابنه فيهم وأن محمداً وأصحابه إنما هم أكلة جزور وقد رأيتم نأركم فقم فاثقل مقتل أخيك ، فقام عامر بن الحضرمي ثم صرخ : واعمره ! واعمره ! فحميت الحرب وحمى

(١) يقال سم ناقع : بالغ وقاتل .

الناس واستوثقوا فأفسد على الناس الرأي الذى دعاهم إليه عتبة ، فلما بلغ عتبة قول أبى جهل قال : سيعلم المصفر إسته من انتفخ سحره ! ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها رأسه ، فما وجد فى الجيش بيضة تسعه من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتم على رأسه بعمامة له ، وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومى وكان رجلاً شرساً فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ! فلما خرج يريد الحوض خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطنّ قدميه بنصف ساقه وهو دون الحوض فخبأ إلى الحوض فاقتحم فيه واتبعه حمزة بضربة أخرى ققتله فى الحوض .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، فلما دنا إلى الصف دعا إلى البراز ، فخرج إليه فتية ثلاثة من الأنصار : عوف ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - وابن رواحة ، فسألهم فقالوا : رهط من الأنصار ، فقال عتبة : أكفاء كرام ، ما لنا بكم حاجة ، إنما نريد قومنا ، ثم نادى مناديهم : يا محمد ! اخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فقال رسول الله ﷺ « قم يا حمزة بن عبد المطلب ! قم يا على بن أبى طالب ! قم يا عبيدة بن الحارث ! وكان أسن القوم فبارز عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز على بن أبى طالب الوليد بن عتبة » .

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، ولم يمهل على الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلى على عتبة واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقال رسول الله ﷺ « لأصحابه أن لا تحملوا حتى آمركم ، وهو فى العريش مع أبى بكر ، ليس فى العريش معه غيره ، وهو يناشد الله ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ، وأبو بكر يقول : يا رسول الله ! أقصر من مناشدتك الله ، فإن الله موفيك بما وعدك ، وشجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقللهم فى أعينهم حتى طمعوا

فيهم ، وخفق رسول الله ﷺ خفقة وهو في العرش ثم انتبه ثم قال : ابشر يا أبا بكر! هذا جبريل معتمر بعمامة يقول : أتاك نصر الله وعونه ، فبعث الله الملائكة مسومين ، فكان أبو أسيد مالك بن ربيعة شهد بدرأ قال بعد أن ذهب بصره : لو كنت معكم ببدر الآن ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة ! لا أشك ولا أمتري ؛ ولم تقا تل الملائكة فى غزاة إلا ببدر ، وإنما كانت تنصر وتعين ، وكانت عليهم عمائم بيض قد أرسلوها فى ظهورهم .

ثم أخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصى بيده وخرج من العرش فاستقبل القوم وقال : شأهت الوجوه ! ثم نفخهم بها ثم قال : « الذى نفسى بيده ! لا يقاتلهم رجل اليوم فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » ! فقال عمير بن الحمام أحد بنى سلمة وفى يده تمرات : يا رسول الله ! أ رأيت إن قاتلت حتى قتلت مقبلاً غير مدبر ما لى ؟ قال : لك الجنة ، فألقى التمرات من يده وتقدم فقاتل حتى قتل .

ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : احملوا ، ومن لقى العباس منكم فليدعنه ، فإنه أخرج مستكراً ، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وترك العباس ! والله لئن لقيته لألجمنه السيف ! فبلغ رسول الله ﷺ قوله فقال لعمر : « يا أبا حفص ! أ يضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف » ؟ فقال عمر : دعنى أضرب عنقه يا رسول الله ! والله لقد نافق ! فكان أبو حذيفة بعد ذلك يقول : ما أنا بأمن من تلك الكلمة التى قلت ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عنى الشهادة - فقتل يوم اليمامة شهيداً . وكان العباس قد أسلم بمكة ولكنه كان خاف قومه فيكتم إسلامه فحمل أصحاب رسول الله ﷺ على المشركين فلم يكن إلا الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر منهم ، فلما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله ﷺ فى وجه سعد ابن معاذ الكراهة ، فقال له ﷺ : « والله يا سعد ! لكأنك تكره ما يصنع الناس » ! فقال : أجل يا رسول الله ﷺ ! قال : « كانت هذه أول وقعة أوقعها الله

بأهل الشرك ، فكان الإثخان في القتل أعجب إلى من استبقاء الرجال ؛ وكان ذلك يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، والمسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر نفساً ، منهم أربعة وسبعون رجلاً من قريش والمهاجرين ، وسائرهم من الأنصار ، والمشركون تسعمائة وخمسون مقاتلاً ، فقتل من المسلمين في ذلك اليوم من قريش ستة أنفس : من بنى المطلب عبيدة بن الحارث بن المطلب ، ومن بنى زهرة بن كلاب : عمير بن أبي وقاص أخو سعد و ذو الشمالين ابن عبد عمرو بن نضلة حليف لهم من خزاعة ، ومن بنى عدى بن كعب : عاقل بن البكير حليف لهم من بنى سعد بن ليث ومهجع مولى عمر ، ومن بنى الحارث بن فهر : صفوان بن بيضاء .

وقتل من الأنصار من بنى عمرو بن عوف : سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر . ومن بنى الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث وهو الذي يقال له ابن فسحم . ومن بنى سلمة : عمير بن الحمام . ومن بنى حبيب بن عبد الحارثة بن مالك بن غضب بن جشم : رافع بن المعلى . ومن بنى النجار : حارثة بن سراقبة بن الحارث . ومن بنى غنم بن مالك بن النجار : عوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء .

فجميع من استشهد من بنى قريش والأنصار أربعة عشر رجلاً .

وقتل على بن أبي طالب في ذلك اليوم الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وقتل طعيمة بن عدى بن نوفل أخا طعمة ، فلما علاه بالسنة قال : والله لا تخلصنا في الله بعد اليوم أبداً ؛ وشارك حمزة في قتل عتبة بن ربيعة ، وقتل عامر بن عبد الله الأنماري حليف بنى عبد شمس ، وقتل النضر بن الحارث بن كلدة أحد بنى عبد مناف ، وقتل العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، وقتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة .

فجميع من قتل من المشركين في ذلك اليوم أربعة وسبعون رجلاً وأسر مثل

ذلك :

ثم أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس أبو جهل فسمع معاذ بن عمرو بن الجموح وهو يطلبه جماعة من المشركين يقولون : أبا الحكم ! لا يصلون إليك ، فلما سمعها علم أنه أبو جهل ، جعله من شأنه وقصد نحوه ، فلما أمكن منه حمل عليه وضربه ضربة فقطع قدمه بنصف ساقه ، وكان عكرمة بن أبي جهل ابنه معه فحمل على معاذ ، فضربه ضربة على عاتقه طرح يده فتعلقت بجلدة من جنبه وترك أبا جهل ، وأجهضه القتال فقاتل عامة يومه وإنه يسحب يده خلفه بجلدة منه ، فلما آذته وضع عليها قدمه حتى طرحها ، وعاش بعدها بلا يد حتى كان زمن عثمان . ومر معوذ بن عفراء بأبي جهل وهو مطروح فضربه حتى أثر فيه وتركه وبه رمق .

ثم مر عبد الله بن مسعود فوجده بأخر رمق فعرفه فوضع رجله على عاتقه ثم قال : أخزاك الله يا عدو الله ! قال : وبماذا أخزاني هل إلا رجل قتلتموه ! أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ فقال ابن مسعود : لله ولرسوله ، ولما رآه أبو جهل قد وطى عنقه قال له : لقد ارتقيت يا رومي الغنم مرتقى صعباً ! فاحتز عبد الله رأسه ثم جاء به فقال : يا رسول الله ! هذا رأس عدو الله أبي جهل ، فقال النبي ﷺ : « الله الذي لا إله غيره » ؟ فقال ابن مسعود : نعم ، والله الذي لا إله غيره ! فحمد الله رسول الله ﷺ على ذلك : وكان عبد الرحمن بن عوف صديقاً لأمية بن خلف بمكة : أرغبت عن اسم سماك أبوك ؟ فيقول : نعم فيقول أمية : فإنني لا أعرف الرحمن^(١) ، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ، فقال له عبد الرحمن : قل ما شئت ، قال فأنت عبد الإله ، فكان يسميه بمكة عبد الإله ، فمر به عبد الرحمن بن عوف في المعركة وهو واقف ومعه ابنه ، ومع عبد الرحمن

(١) وكان اسمه عبد عمرو قبل الإسلام ، فتسمى حين أسلم عبد الرحمن - كذا في الكامل والسيرة

أدرع يحملها ، فلما رآه أمية بن خلف قال : عبد عمرو ! فلم يجبه عبد الرحمن ، قال : يا عبد الإله ! فقال : نعم ، فقال : أنا خير لك من هذه الأدرع التي معك ، فقال عبد الرحمن : نعم والله هو الله إذا فطرح عبد الرحمن الأدرع وأخذ بيده ويد ابنه ، فقال له أمية بن خلف : يا عبد الإله ! من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : ذلك حمزة بن عبد المطلب ، فقال : ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل ، فبينما عبد الرحمن يقودهما إذ رآهما بلال فقال : رأس الكفر أمية بن خلف ! لا نجوت إن نجا ! فقال عبد الرحمن : أسمع يا ابن السوداء قال : لا نجوت إن نجا ! ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف ! لا نجوت إن نجا ! فأحاط به المسلمون وعبد الرحمن يذب عنه ، فخالف رجل بالسيف فضرب رجل ابنه فوقع ، فقال عبد الرحمن : انج بنفسك ، فوالله ما أغنى عنك شيئا ! فعلاهم المسلمون بأسيا فهم حتى فرغوا منهما ، فكان عبد الرحمن يقول بعد ذلك : يرحم الله بلالا ! اذهب أدرعي و فجعني بأسيري . وأسر أبو اليسر كعب بن همرو العباس بن عبد المطلب وأوثقه ، فبات رسول الله ﷺ تلك الليلة ساهرا ، فقليل له^(١) فقال : سمعت حنين العباس في وثاقه ، فأطلق من وثاقه ، فقال المسلمون : يا رسول الله ! عليك بالغير ليس دونها شيء ، فناداه وهو أسير : لا يصلح ! فقال رسول الله ﷺ : (ولم ؟ قال : لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك) .

ثم قال النبي ﷺ للمسلمين : (ماتقولون في هؤلاء الأسرى) ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ! قومك وأهلك استبقهم واستأنهم ، لعل الله أن يتوب عليهم ، وقال عمر : كذبوك وأخرجوك قدمهم قدمهم فأضرب أعناقهم ! قال رسول الله ﷺ (إن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾^(٢) ، وإن مثلك يا عمر مثل نوح قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا ﴾^(٣)) .

(١) وفي الكامل « فقال له أصحابه : يا رسول الله ! مالك لا تنام ؟ »

(٢) سورة إبراهيم آية ٣٦

(٣) سورة نوح آية ٢٦

ثم نادى منادى رسول الله ﷺ : من أسراًم حكيم فليخل سبيلها فإن رسول الله ﷺ أمنها ، و كان أسرها رجل من الأنصار و كتفها بذؤابتها ، فلما سمع منادى رسول الله ﷺ .

ثم أمر رسول الله ﷺ بالقلب فطرح فيه جيف المشركين ، ثم وقف عليهم فقال ! يا أهل القلب ! هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربي حقاً فقال المسلمون : يا رسول الله ! تنادى قوماً قد ماتوا ؟ فقال رسول الله ﷺ : (لئن كنتم تسمعونها لقد سمعوها) . ثم قام رسول الله ﷺ يعرضهم ثلاثاً .

و بعث رسول الله ﷺ بالفتح إلى أهل المدينة ، فبعث عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية ، و زيد بن حارثة إلى أهل السافلة ؛ فقدم زيد المدينة والناس يسرون على ابنة رسول الله ﷺ رقية التى كانت تحت عثمان ، فكان عثمان استأذن رسول الله ﷺ فى التخلف عن بدر ليقيم على امرأته رقية وهى علية ، فأذن له رسول الله ﷺ فى ذلك و ضرب له بسهمه وحده ، فلما فرغوا من دفنها أتاهم الخبر بفتح الله المسلمين ، فجاء أسامة بن زيد أباه ، وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وزمعة بن الأسود و العاص بن هشام ، فقال : يا أبتاه ! أحق هذا ؟ فقال : نعم ، يا بنى ! فقال المنافقون : ما هذا إلا أباطيل ، فلم يصدقوه ؟ حتى جىء بهم مصفرين مغللين .

و كان أول من قدم مكة من قريش بالخبر بمصائبهم الحيسمان بن جابس ابن عبد الله المدلجى فقبل له ما وراءك ؟ فقال : قتل عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة و أبو الحكم بن هشام و أمية بن خلف ؛ فقال صفوان بن أمية بن خلف : و الله إن يعقل هذا بما يقول فسلوه عنى ، فقال : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذلك جالس فى الحجر ! و قد و الله رأيت أباه وأخاه حين قتلا .

ثم قدم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مكة ، و كان أبو لهب قد

تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام ، فلما رأى أبو لهب بن الحارث مقبلاً قال : هلم يا ابن أخي فعندك الخبر فجلس إليه و الناس قيام عليهما ، فقال : يا ابن أخي ! كيف كان أمر الناس ؟ قال : لا شيء والله ! إن هو إلا لقينا القوم فمئناهم أكتافنا حتى قتلونا كيف شاءوا وأسرونا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك ما لت الناس لأننا لقينا رجالاً يبضا على خيل بلق بين السماء والأرض ، والله لا يقوم له شيء فعاش أبو لهب بعد هذا الخبر سبعة أيام ورماه الله بالعدسة فمات فدفنوه بأعلى مكة ، وكانت قريش لا تبكى على قتلها مخافة أن يبلغ رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم .

ولما وقع بأيدي المسلمين ما وقع من المشركين اختلفوا فكانوا ثلاثاً : فقال الذين جمعوا المتاع : قد كان رسول الله ﷺ نفل كل امرئ ما أصاب^(١) ، وقال الذين كانوا يطلبون العدو : والله ! لولا نحن ما أصبتموه ، ونحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم ، وقال الحرس الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف إليه العدو : والله ! ما أنتم أحق به منا ، لو أردنا أن

(١) كذا ، وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ٣ / ١٥٩ أقوالاً مختلفة في تفسير آية ﴿ يسئلونك عن الأنفال ﴾ وفيه : أخرجه أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في سننه عن أبي أمامة قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال : فينا - أصحاب بدر - نزلت حين اختلفنا في النفل ، فسألت فيه أخلاقنا ، فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ ، فقسمه . رسول الله ﷺ بين المسلمين عن براء - يقول : عن سواء . وبإسناده عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدر فالتقى الناس فهزم الله العدو فانطلقت طائفة في آثارهم منهزمون يقتلون ، وأكببت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق بها منا ، نحن نفينا عنها العدو ومزناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ : لستم بأحق بها منا ، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به ، فنزلت ﴿ يسئلونك عن الأنفال ﴾ ... عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال النبي ﷺ : « من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا ، فأما المشيخة فثبثوا تحت الرايات ، وأما الشبان فتسارعوا إلى القتل والغنائم ، فقالت المشيخة للشبان : أشركونا معكم فإننا كنا لكم رداً ، ولو كان منكم شيء للجأتم إلينا ، فاخصموا إلى النبي ﷺ ، فنزلت ﴿ يسئلونك عن الأنفال ﴾ .

نقبل العدو حين منحونا أكتافهم وأن نأخذ المتاع حين لم يكن أحد دونه فعلنا! ولكننا خفنا على رسول الله ﷺ كرة العدو فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا ! وذلك أن النبي ﷺ قال لهم : من صنع كذا فله كذا ، فتنازعوا في ذلك شباب الرجال وبقيت الشيوخ تحت الرايات ، فلما كان القائمون جاؤا يطلبون الذى جعل لهم رسول الله ﷺ فقال الشيوخ : لا تستأثروا علينا ، فإننا كنا وراءكم وكنا تحت الرايات ، ولو أنا كشفنا لكشفتم إلينا ، فتنازعوا فأنزل الله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ (١) إلى آخر السورة ، فانتزع الله ذلك من أيديهم وجعله إلى رسول الله ﷺ ، فولى رسول الله ﷺ الغنائم عبد الله بن كعب المازنى

ثم رحل رسول الله ﷺ من بدر بعد ثلاث يريد المدينة وحمل الأسارى معه ، فلما انحدر من بدر إذا بطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد قد أقبلوا من الحوران ، فضرب لهما النبي ﷺ بسهميهما وأجرهما ، فلما (٢) بلغ النبي ﷺ الصفراء وبينهما وبين المدينة ثلاث ليال أمر بقتل النضر بن الحارث وكان أسيراً ، قتله على بن أبى طالب فلما بلغ عرق الظبية قتل عتبة بن أبى معيط فقال لرسول الله ﷺ : من للصبية يامحمد ، فقال النبي ﷺ : « النار » .

ثم قسم الغنائم بين الناس بالصفراء ، وبين الصفراء وبين بدر سبعة عشر ميلاً ، قسمها على من حضر بدرأ وأخذ سهمه مع المسلمين .

ثم إن رسول الله ﷺ أقبل إلى المدينة قبل الأسارى بيوم ثم قدم بالأسارى يوم الثانى ، فلما بلغوا الروحاء لقيهم المسلمون يهنؤونهم بفتح الله عليهم ، فقال سلمة بن سلامة بن وقش ما الذى تهنئون به ! والله إن لقينا إلا عجائز صلحاً كالبدن المعلقة ننحرها ! فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : (يا ابن أخى ! أولئك الملاء من قريش) .

(١) سورة الأنفال ، آية ١ .

(٢) فى الأصل « فما » خطأ ، وفى السيرة « حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء » .

ثم قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب : افد نفسك و بنى أخيك عقيل بن أبى طالب و نوفل بن الحارث ، و حليفك عتبة بن عمر أحد بنى الحارث بن فهر ، فإنك ذو مال يا رسول الله إني كنت مسلما و لكن القوم استكروهوني ، فقال رسول الله ﷺ : (الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكر حقاً فالله يجزيك بذلك فأما ظاهر أمرك فكان علينا فافد نفسك و قد كان رسول الله ﷺ أخذ منه عشرين أوقية من ذهب ، فقال العباس : يا رسول الله ! فاحسبها من فدائي ، قال : لا ذلك شيء أعطانا الله منك فقال العباس : فإنه ليس لي مال ، فقال رسول الله ﷺ (فأين المال الذي وضعت به بمكة حين خرجت عند أم الفضل بنت الحارث فليس معكم أحد فقلت لها : إن أصبت في سفرى فللفضل كذا و لقثم كذا و لعبد الله كذا) قال : فوالذي بعثك بالحق ! ما علم بهذا أحد من الناس غيرى وغيرها ، و إني لأعلم أنك رسول الله .

ثم بعث قريش في فك الأسارى جبير بن مطعم إلى رسول الله ﷺ فقتل النبي ﷺ من قتل منهم و فادى من فادى منهم ، و من لم يكن له مال من عليهم ، و فادى من كان من العرب فيهم بأربعين أوقية ، من كان منهم من الموالى بعشرين أوقية في غزوة بدر ، و نزلت ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم ﴾ إلى قوله : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً ﴾ (١) فقال النبي ﷺ لم تحل الغنائم لقوم سود الرؤوس من قبلكم ، و ذلك أن الله جل و علا رأى ضعفكم فطيها لكم ، و كانت الغنائم فيما قبل تنضد فتجىء النار فتأكلها .

ذكر عباد و تسمية من شهد بدرًا

مع رسول الله ﷺ

أخبرنا الحسن بن سفيان أنبأنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا يزيد بن هارون أنا حماد بن سلمة (٢) عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة قال

(١) سورة الأنفال آية : ٦٩ .

(٢) هو حماد بن سلمة بن دينار البصرى ، أبو سلمة . ثقة عابد أثبت الناس في ثابت ، و تغير حفظه في آخره من كبار الطبقة الثامنة ، مات سنة ١٦٧ هـ أخرج له : البخارى و مسلم و أصحاب السنن الأربعة . انظر تقريب التهذيب ١ / ١٩٧ ترجمة ٥٤٢ .

: قال رسول الله ﷺ : إن الله أطلع على أهل بدر فقال : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » (١) .

قال شهد بدرا مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ثلاثمائة وثلاثة عشر نفساً عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر وإني ذاكر ما يحضرني من أساميهم على قبائلهم ، لكيلا يبعد على سالك سبيل العلم الوقوف على أساميهم إن وفقه الله لذلك .

فنبداً من ذلك من شهد منهم بدرا من قريش ، ثم من بنى هاشم ومن بنى المطلب ابني عبد مناف : حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف عم رسول الله ﷺ ، وعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس الكلبي ، وأنسة مولى رسول الله ﷺ وأبو كبشة مولى رسول الله ، وأبو مرثد كنان بن حصين ابن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن ظريف بن جلان بن غنم ابن غنى بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، وابنه مرثد بن أبي مرثد حليفاً حمزة بن عبد المطلب وحصين بن الحارث بن المطلب ، ومسطح ابن أناة بن المطلب ، ومن بنى تيم بن مرة بن كعب : أبو بكر الصديق واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وبلال ابن رباح مولى أبي بكر ، و عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، و طلحة بن عبيد ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، لم يحضر بدرا ، كان النبي ﷺ بعثه لتجسس الخبر فوافاهم وقد فرغ النبي ﷺ من بدراً وضرب له بسهمه .

و من بنى عدى كعب بن لؤى : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، وأخوه زيد بن الخطاب بن نفيل و مهجع مولى عمر بن الخطاب و هو أول قتيل قتل

(١) وقد أخرجه الترمذى فى جامعه ٢ / ٤٠٦ فى تفسير سورة المحتجة .

ببدر و عامر بن ربيعة ، ، وعمرو بن سراقه بن المعتمر بن أنس بن أذاة بن رباح ابن عدى بن كعب ، وأخوه عبد الله بن سراقه ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ، و خولى بن أبى خولى ، و عاقل بن البكير وإياس بن البكير ، و خالد بن عبد البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد وإياس بن لبث ، و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، لم يحضر بدرأ ، كان مع طلحة ، بعثهما رسول الله ﷺ يتجسسان خير العير فوافيا ، وقد فرغ رسول الله ﷺ من بدر فضرب لهما بسهميهما وأجرهما .

و من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، تخلف بالمدينة عن رسول الله ﷺ على امرأته رقية ، و كانت عليلة ، أذن له رسول الله ﷺ فى ذلك ، وضرب له بسهمه وأجره ؛ وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

و من حلفائهم : عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، و عكاشة بن محصن بن حرثان ابن قيس بن مرة بن كبير بن غنم ، و شجاع بن وهب بن ربيعة ، وأخوه عقبة ابن وهب بن ربيعة ، و زيد بن رقيش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم ، و أبو سنان أخو عكاشة بن محصن بن حرثان ، و ابنه سنان بن أبى سنان و محرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن أكثم بن عمرو بن بكير بن عامر بن غنم و مالك بن عمرو .

و من زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب ، و سعد بن أبى وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وعمير بن أبى وقاص بن أهيب أخو سعد .

و من حلفائهم المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد، ومسعود ابن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن الهون بن خزيمة من القارة وذو الشمالين بن عبد عمرو ابن نضلة بن غبشان بن سليم بن مالك بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن خزاعة ، وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمع بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعد بن هذيل ، وخباب بن الأرت ، وصهيب^(١) بن سنان بن عبد عمرو بن الطفيل بن عامر بن جندلة .

و من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى ، و حاطب بن أبى بلتعة ، وسعد مولى حاطب .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب ابن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة، و خباب عتبة بن غزوان.

و من بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى ، و كان صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر قتل يوم أحد ، و سويط بن سعد بن حرمة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصى

و من بنى مخزوم بن يقظة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، و شماس بن عثمان بن الشريد بن هرمى بن عامر بن مخزوم ، و الأرقم بن أبى الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، و عمار بن ياسر و معتب بن عامر بن الفضل بن عفيف .

(١) قال ابن هشام « وصهيب مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو ، ويقال إنه رومى ، إنما كان أسيراً فى الروم فاشترى منهم ، وجاء فى الحديث عن النبى ﷺ صهيب الروم » ، وفيه « قال ابن إسحاق صهيب ابن سنان من النمر بن قاسط » انظر الإصابة .

و من بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى : عثمان بن مظعون بن حبيب بن حذافة بن جمح ، وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون بن حبيب و معمر بن الحارث بن حبيب بن وهب .

و من بنى سهم بن عمرو بن هصيص : خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم .

و من بنى عامر بن لؤى : ابن غالب بن مالك بن حسل ، وعبد الله بن مخزومة بن عبد العزى بن أبي القيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ، وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وسعد بن خولة حليف له .

و من بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله ابن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، وسهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، وأخوه صفوان بن وهب وهما ابنا بيضاء أمهما ، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن أهيب .

فجميع من شهد بدرًا من المهاجرين و من ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره من قريش ثلاثة وثمانون رجلاً .

و ممن شهد بدرًا من الأنصار ثم من بنى عبد الأشهل بن جشم بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، وعمرو بن النعمان بن امرئ القيس أخوه ، والحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع بن امرئ القيس ، وسعد بن زيد بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل ، وسلمة ابن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل ، وعباد بن بشر بن

وقش و سلمة بن ثابت بن وقش و رافع بن يزيد بن كرز بن السكن بن زعوراء
ابن عبد الأشهل ، و الحارث بن خزيمة بن عدى بن أبي غنم بن سالم بن
عوف بن عمرو بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، و محمد بن مسلمة بن
خالد بن عدى بن مجدع بن حارثة بن الحارث حليف لهم ، و سلمة بن أسلم
ابن حريش بن عدى بن مجدعة حليف لهم ، و أبو الهيثم بن التيهان اسمه
مالك ، و عبيد بن التيهان حليف لهم ، و عبد الله بن سهل .

و من بنى سواد بن كعب : قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر ، و عبيد بن
أوس بن مالك بن سواد .

و من بنى رزاح بن كعب : نصر بن الحارث ، و عبد الله بن طارق ،
و معتب بن عبيد حليفان لهم .

و من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس
مسعود بن سعد بن عامر بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ،
و أبو عيس اسمه عبد الرحمن بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة
ابن حارثة بن الحارث ، و أبو بردة بن نيار و اسمه هانيء حليف لهم .

و من بنى عمرو بن عوف ثم من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن
عمرو بن عوف : عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح و أبو الأفلح قيس بن عصمة
ابن مالك بن أمية بن ضبيعة ، و معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف ،
و عمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف ، و سهل بن حنيف بن واهب
ابن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو .

و من بنى أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : مبشر بن
عبد المنذر بن زهير ، و سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن
أمية ، و عويم بن ساعدة بن قيس ، و رافع بن عنجدة ، و عبيد بن أبي عبيد ،
و ثعلبة بن حاطب ، و قد قيل إن أبا لبابة بن عبد المنذر و الحارث بن حاطب

شهدا بدرأ .

و من بنى عبید بن زید بن مالك : أنیس بن قتادة بن ربیعة بن خالد بن الحارث بن عبید و سالم مولى بنت یعار و هو الذى یقال له سالم مولى أبی حذيفة بن عتبة ، و كانت بنت یعار تحت أبی حذيفة بن عتبة .

و من حلفائهم : معن بن عدی بن الجد بن عجلان ، و ربیع بن رافع بن زید بن حارثة بن الجد بن عدی بن العجلان ، و قد قیل : إن عاصم بن عدی ابن الجد بن العجلان رده النبى ﷺ و ضرب له بسهمه .

و من بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبد الله بن جبیر بن النعمان . وعاصم ابن قیس ، و أبو ضیاح بن ثابت ، و سالم بن عمیر ، و الحارث بن النعمان بن أبی خزمة ، و خوات بن جبیر بن النعمان .

و من بنى جحجی بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف : النذر بن محمد ابن عقبة بن أحیحة بن الجلاح بن الحریش بن جحجی ، و أبو عقیل بن عبد الله بن ثعلبة بن بیحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أنیف حلیف له .

و من بنى غنم بن السلم بن امرئ القیس بن مالك بن الأوس بن حارثة : سعد بن خیشمة ، و المنذر بن قدامة ، و مالك بن قرامة ، و ابن عرفجة و تمیم مولى بنى غنم بن سلم .

و من بنى معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : جابر بن عتيك ابن الحارث بن قیس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية ، و النعمان بن عصر حلیف له من بلى ، و مالك بن نميلة حلیف لهم .

و من بنى الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القیس بن ثعلبة ، و خارجة بن زید بن أبی زهير بن مالك بن امرئ القیس ، و خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القیس .

و من بنى زيد بن مالك بن ثعلبة : بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاص بن زيد بن مالك ، و سبيع بن قيس بن عيشة بن مالك ، و عبادة بن قيس ، و سماك بن سعد ، و عبد الله بن عباس ، و يزيد بن الحارث بن قيس و هو الذى يقال له ابن فسحم .

و من بنى جشم بن الحارث : عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد ابن الحارث بن الخزرج الذى رأى النداء فى النوم ، و أخوه حريث بن زيد بن ثعلبة ، و خبيب بن إساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم ، و سفيان بن بشر .

و من بنى جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : زيد بن المرى بن قيس ابن عدى بن أمية بن جدارة ، و تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة ، و عبد الله بن عمير بن حارثة .

و من بنى الأبحر بن عوف : عبد الله بن الربيع بن قيس بن عمرو بن عمرو بن عباد بن الأبحر .

و من بنى عوف بن الخزرج : عبد الله بن أبى بن مالك بن الحارث بن عبيد ابن مالك ، و أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك .

و من بنى جزء بن عدى بن مالك بن سالم : زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء ، و رفاعة بن عمرو بن زيد و عقبه بن وهب بن كلدة ، و عامر ابن سلمة بن عامر حليفان لهم ، و معبد بن عباد بن قشعر بن المقدم بن سالم ابن غنم و يكنى معبد أبا خميص ، و عامر بن البكير حليفة .

و من بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : نوفل بن عبد الله ابن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم ، و مليل بن وبرة ابن خالد بن العجلان بن زيد و عتبان بن مالك ، عمرو بن العجلان ، و عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان .

و من بنى قربوس بن غنم : أمية بن لوزان بن سالم بن ثابت بن هزال بن عمرو بن قربوس .

و من بنى أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ، وأخوه أوس بن الصامت .

و من بنى دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم : النعمان بن مالك بن ثعلبة بن -عد وهو من الذين يقال لهم القواقل^(١).

و من بنى مرضخة بن غنم بن عوف : مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضخة بن غنم .

و من بنى لوزان بن غنم : الربيع بن إياس بن عمرو بن غنم بن أمية بن لوزان ، و ورقة بن إياس ، و عمرو بن إياس .

و من حلفائهم : المجذذ بن زياد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة وعباد الخشخاش بن عمرو بن زمزمة وعبد الله بن ثعلبة بن خزمية بن أصرم ونحاب بن ثعلبة بن خزمية وعتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية حليف لهم .

و من بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : أبو دجانة واسمه سماك بن أوس ابن خرشة بن لوزان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة .

و من بنى البدن : عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج ، وأبو أسيد مالك بن ربيعة بن البدن ، و مالك بن مسعود .

و من بنى طريف بن الخزرج : عبد الله بن حق بن أوس بن وقش بن ثعلبة ابن طريف . و من حلفائه : كعب بن حمار بن ثعلبة بن خالد ، و يسبس بن عمرو ، و ضمرة ، و زياد .

و من بنى جشم بن الخزرج : خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، و تميم مولى خراش بن الصمة ، و عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب ، و عمير

(١) جمع قوقل بمعنى أرتق (القاموس المحيط ٤ / ٣٩) .

ابن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب ، و الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب ، و معاذ بن عمرو بن الجموح ، و معوذ ابن عمرو بن الجموح ، و خلاد بن عمرو بن الجموح ، و عقبة بن عامر بن نابیء بن زيد بن حرام ، و حبيب بن الأسود مولا هم و ثابت بن ثعلبة بن زيد ابن الحارث بن حرام وهو الذى يقال له الجذع ، و عمير بن الحارث بن ثعلبة .

و من بنى عبید بن عدی بن غنم : عبد الله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء ، و بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء ، و سنان بن صيفی بن صخر بن خنساء ، و الطفيل بن النعمان بن خنساء ، و عبد الله بن حمير و خارجة بن حمير حليفان لهم من أشجع .

و من بنى النعمان بن سنان بن عبید بن عدی بن غنم : جابر بن عبد الله ابن رثاب بن النعمان بن سنان ، و عبد الله بن عبد مناف بن النعمان بن سنان ، و خلیدة ، بن قيس بن النعمان بن سنان .

و من بنى خنساس : جبار بن صخر بن أمية بن خنساس ، و یزید بن النذر بن سرح بن خنساس ، و عبد الله بن النعمان بن بلدمة بن خنساس ، و الضحاک بن حارثة بن زيد بن ثعلبة ، و سواد بن زريق بن ثعلبة ، و معبد بن قيس بن صخر ابن حرام ، و عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام .

و من بنى سواد بن غنم بن كعب : سليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو ابن سواد ، و قطبة بن عامر بن حديدة ، و یزید بن عامر بن حديدة أبو المنذر ، و عنترة مولى سليم بن عمرو .

و من بنى عدی بن نابی بن عمرو بن سواد بن كعب : معاذ بن جبل بن عمرو بن عائذ بن عدی بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد بن على بن أسد ابن ساردة بن تیزید بن جشم ، و عبس بن عامر بن عدی بن نابی ، و ثعلبة بن غنمة بن عدی ، و أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد ،

وعبد الله بن أنيس ، و عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب ،
وسهل بن قيس بن أبي كعب بن القين بن كعب .

و من بنى زريق بن عامر بن زريق : سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد ،
والحارث بن قيس بن خالد بن مخلد ، وجبير بن إياس بن خالد بن مخلد ،
وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق ، وأسعد بن يزيد بن الفاكه
ابن زيد بن خلدة بن عامر ، والفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة ،
وعائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وأخوه معاذ بن ماعص ، ومسعود بن
سعد بن قيس بن خلدة .

و من بنى العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق : رفاعه بن رافع بن مالك
ابن العجلان ، وأخوه خلاد بن رافع ، وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان .

و من بنى بياضة بن عامر بن زريق : زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر
ابن عدى بن أمية بن بياضة ، وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن
بياضة ، ورخيلة بن ثعلبة بن عامر بن بياضة ، وخالد بن قيس بن مالك بن
العجلان بن عامر بن بياضة ، وخليفة بن عدى بن عمرو ومالك بن عامر بن
فهير بن بياضة .

و من بنى حبيب بن عبد حارثة : رافع بن المعلی بن لوزان بن حارثة بن
عدى بن زيد بن ثعلبة بن زيد مائة بن حبيب بن عبد حارثة .

و من بنى النجار وهو تيم الله بن ثعلبه بن عمرو بن الخزرج : أبو أيوب خالد
ابن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم .

و من بنى عمرو بن عبد عوف : عمارة بن حزم بن زيد بن لوزان ، وسراقة
ابن كعب بن عبد العزى بن غزية ، وثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن
عسيرة .

و من بنى عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك : حارثة بن النعمان بن رافع بن

زيد بن عبيد ، وسليم بن قيس بن قهد واسم قهد خالد بن قيس بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة .

ومن بنى عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك : سهيل بن رافع بن أبي عمرو ابن عائذ بن ثعلبة ، وعدى بن أبي الزغباء حليف لهم .

ومن بنى زيد بن ثعلبة بن غنم : مسعود بن أوس بن زيد ، وأبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة ، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد .

ومن بنى سواد بن مالك بن غنم : عوف بن الحارث ، ومعوذ بن الحارث ، ومعاذ بن الحارث ، ورفاعة بن الحارث بن سواد وأمهم عفراء ، والنعمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد ، وعامر بن مخلد بن الحارث بن سواد ، وعبد الله بن قيس بن زيد بن سواد ، وقيس بن عمرو بن قيس ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعصيمة ، ووديعة بن عمرو حليفان لهم .

ومن بنى عامر بن مالك بن النجار ثم من بنى عمرو بن مبدول : ثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك ، وسهل بن عتيك بن النعمان بن عمرو ابن عتيك ، والحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك كسره بالروحاء فرجع فضرب له النبي ﷺ بسهمه .

ومن بنى قيس بن عبيد بن زيد : أبي بن كعب بن قيس بن عبيد ، وأنس ابن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد .

ومن بنى عدى بن عمرو بن مالك بن النجار : أبو طلحة واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى ، وأوس بن ثابت بن النذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة ، وأبو شيخ بن ثابت بن النذر أخوه .

ومن بنى عدى بن النجار ثم من عدى بن عامر بن غنم بن النجار : حارثة ابن سراقه بن الحارث بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر وعمرو بن ثعلبة ابن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر ، وعمرو أبو خارجة بن قيس

ابن مالك بن عدى بن عامر و سليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك
ابن عدى ، و أبو سليط اسمه أسيرة ، و ثابت بن الخنساء بن عمرو بن مالك
ابن عدى ، و عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك بن عدى ، و سواد
ابن غزبة بن و هيب حليف لهم .

و من بنى حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار : أبو الأعور
كعب بن الحارث بن ظالم بن عيس بن حرام بن جندب و قيس بن السكن بن
قيس بن زعور بن حرام ، و سليم بن ملحان ، و حرام بن ملحان و اسم ملحان
مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب .

و من بنى مازن بن النجار ثم من بنى عوف بن مبدول : قيس بن أبي
صعصعة و اسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول ، و عبد الله بن
كعب بن عمرو بن عوف و عصيمة حليف لهم .

و من بنى ثعلبة بن مازن : قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب بن
الحارث بن ثعلبة بن مازن .

و من بنى مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار : النعمان بن
عبد عمرو بن مسعود بن عبد الأشهل ، و الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود ،
و سليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة أخوهما لأمههما ، و جابر بن
خالد بن عبد الأشهل بن حارثة و سعد بن سهل بن عبد الأشهل .

و من بنى قيس بن مالك : كعب بن زيد بن مالك بن كعب بن حارثة ،
و بجير بن أبي بجير حليف لهم .

فجميع من شهد بدرأ من المسلمين مع رسول الله ﷺ ثلاثمائة و ثلاثة عشر
رجلاً ، ثلاثة و ثمانون رجلاً من المهاجرين و ستون رجلاً من الأوس ، و مائة
و سبعون رجلاً من الخزرج .

ثم كان قتل عصماء ، و العصماء هذه بنت مروان من بنى أمية بن زيد ،

زوجها زيد بن الحصن الخطمي ، كانت تحرض على المسلمين و تؤذيهم
وتقول الشعر ، فجعل عمير^(١) بن عدى عليه نذراً لعن رد الله رسوله سالماً من
بدر ليقتلنها ، فلما قدم النبي ﷺ المدينة بعد فراغة من بدر عدا عمير بن عدى
على عصماء فدخل عليها في جوف الليل لخمس ليال بقين من رمضان
فقتلها ، ثم لحق يانبي ﷺ ؛ فصف مع الناس و صلى معه الصبح و كان ﷺ
يتصلخهم ، إذا قام يريد الدخول إلى منزله فقال لعمير بن عدى : أقتلت
عصماء ؟ قال : يا رسول الله ! هل على في قتلها شيء ؟ فقال رسول الله ﷺ :
« لا ينتطح فيها عنزان » .

و مات أبو قيس بن الأسلت في آخر شهر رمضان .

ثم خطب النبي ﷺ قبل الفطر بيوم^(٢) ، و أمرهم بركاة الفطر قبل أن
يغدوا إلى المصلى ، ثم خرج^(٣) رسول الله ﷺ إلى الفضاء و العنزة ركزت بين
يديه و صلى إليها من غير أذان و لا إقامة ركعتين ، ثم خطب خطبتين بينهما
جلسة و كانت العنزة^(٤) للزبير بن العوام أعطاها إياه النجاشي ، فوهبها للزبير
لرسول الله ﷺ .

(١) له ترجمة في الإصابة ٥ / ٣٤ وفيه : عمير بن عدى بن خرشة ... وكان أبوه عدى شاعراً وأخوه
الحارث بن عدى قتل بأحد وهو الأنصاري ثم الخطمي ، ذكره ابن السكن في الصحابة وقال هو
البصير الذي كان رسول الله ﷺ يزوره في بني واقف ويشهد بدرأ لضرارته ، وقال ابن إسحاق كان أول
من أسلم من بني خطمة وهو الذي قتل عصماء بنت مروان ..

(٢) في الطبري ٢ / ٢٦٦ : أمر الناس بإخراج زكاة الفطر وقيل إن النبي ﷺ خطب الناس قبل الفطر
يوم أو يومين وأمرهم بذلك .

(٣) كذا ، وفي الطبري : خرج إلى المصلى بهم صلاة العيد وكان ذلك أول خروجه خرجها بالناس إلى
المصلى لصلاة العيد .

(٤) كذا ، وفي الطبري : فيما ذكر : حملت العنزة إلى المصلى فصلى إليها وكانت للزبير بن العوام
كان النجاشي وهبها له فكانت بين يديه في الأعياد وهي اليوم فيما بلغني عند المؤذنين بالمدينة .

ثم كانت غزوة بني قينقاع

فى شوال ، و ذلك أن المسلمين لما قدموا المدينة و ادعتهم اليهود أن لا يعينوا عليهم أحداً ، فلما قفل رسول الله ﷺ من قتل بدر ورجع إلى المدينة أظهروا البغى و قالوا : لم يلق محمد أحداً من يحسن القتال ، لو لقينا للقى عندنا قتالاً لا يشبه قتالهم ، فأنزل الله ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ ﴾ (١)

فصار رسول الله ﷺ إليهم ، يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب ، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، حتى أتاهم فحاصروهم خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد ، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فكتفوا وأراد قتلهم ، فكلمه فيهم عبد الله بن أبى وأخذ بجمع (٢) درع رسول الله ﷺ و قال : ما أنا بمرسلك : حتى تهبهم لى فقال النبى ﷺ : « خلوا عنهم » ثم أمر بإجلالهم . و غنم رسول الله ﷺ و المسلمون ما كان لهم من مال ، و كانوا صاغة لم يكن لهم الأرضوان و لا قراب ، فأخذ رسول الله ﷺ سلاحهم و آلة صياغة ، و ولى أكثر ذلك لرسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ، ثم أمر رسول الله ﷺ عبادة بن الصامت أن يجليهم و يخرجهم بداريهم من الدنية ، فمضى بهم عبادة حتى بلغوا ذباب و أجلاهم . و هذه الغنيمة أول خمس خمسها رسول الله ﷺ فى الأسلام ، أخذ منهم صفيه وخمسه ، و قسم أربعة أخماساً على المسلمين .

(١) سورة الأنفال آية ٥٨ .

(٢) وفى الطبرى ٢ / ٢٩٧ : فحاصروهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه فقال له عبد الله بن أبى ابن سلول حين أمكنه الله منهم : يا محمد أحسن فى موالى ، فأعرض عنه النبى ﷺ ، قال فأدخل يده فى جيب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ أرسلنى - وغضب رسول الله ﷺ حتى رآوا فـ وجهه ظلالاً - يعنى تلوناً ، قال : « ويحك أرسلنى » ا قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى موالى أربعمئة سحار و ثلاثمئة دارع ، قد منعولى من الأسود والأحمر تحصدهم فى غداة واحدة وإنى والله لا آمن وأخشى التواتر ، فقال رسول الله ﷺ « هم لك » .

ثم كانت غزوة السويق

في ذى القعدة . و ذلك أن أبا سفيان لما رجع من الشام بالخير و أفلت بها نذر أن النساء و الدهن عليه حرام حتى يطلب ثأره من محمد ﷺ و أصحابه ، فخرج في مائتي راكب حتى أتى بني النضير و سلك التجدية و دق على حبي ابن أخطب بابه ، فأبى أن يفتح له ، و دق على سلام من مشكم ففتح له فقراه و سقاه خمرأ و أخبره سلام بأخبار النبي ﷺ و أخبار المدينة .

فلما كان في السحر خرج فمر بالعريض ، فإذا رجل معه أجير له معبد بن عمرو من المسلمين فقتلهم و جرق ألباناً هناك و تبنأ و رأى أن يمينه قد بر ؛ فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ فخرج رسول الله ﷺ في أثره في مائتي رجل من المهاجرين و الأنصار ، و استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، فأعجزهم أبو سفيان و كان هو و أصحابه عامة زادهم السويق ، فجعلوا يلقون السويق يتخفون بذلك ، فسميت هذه الغزوة (غزوة السويق) و رسول الله ﷺ في أثرهم ، فلما أعجزهم و لم يلحقهم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة .

ومات أبو السائب عثمان بن مظعون في ذى الحجة^(١) . ثم ضحى رسول الله ﷺ فخرج بالناس إلى المصلى ، و هي أول ضحية ضحى رسول الله ﷺ ، ذبح كبشين أملحين أقرنين بيده ، و وضع رجله على صفاحهما وسمى و كبر ، وضحى المسلمون معه . ثم بنى علياً بفاطمة بنت رسول الله ﷺ في ذى الحجة .

السنة الثالثة من الهجرة

أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى ثنا أبو يعلى بالموصل ثنا إسحاق بن إبراهيم ابن أبي إسرائيل ثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله يقول قال النبي ﷺ : « من تكعب بن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله و رسوله » ! فقال له

(١) زاد في الطبري : « فدفنه رسول الله ﷺ بالبقيع ، و جعل عند رأسه حجراً علامة لقبره » .

محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله أتأذن لي أقول شيئاً ؟ قال : (بلى) ، فأتاه فقال إن هذا سألنا صدقة في أموالنا ، قال أيضا : والله قال فإننا قد اتبعناه فنكره أن ندعه حتى ننظر إلى أى شيء يصير شأنه ، وإنى قد أتيتك استسلفك ، قال : فارهنوا نسائكم ، قالوا : كيف نرهنك نساءنا ؟ و كنت أجعل العرب ، قال فارهنوني أبناءكم ، قالوا كيف نرهنك أبناءنا ؟ تسب الدهر وتغير ، فيقال : رهين بوسق أو وسقين ، ولكننا نرهنك اللامة أى السلاح ، فأتاه ومعه أبو عيس بن جبر والحارث بن أوس بن معاذ و عباد بن بشر و أبو نائلة ، فقال لهم محمد بن مسلمة : إني ممس رأسه و ممسكه ، فإذا قلت اضربوا فأضربوا . فقال له محمد بن مسلمة : أتأذن رأسك ؟ فقال : نعم فمس وقال : ما أطيبك و ما أطيب ريحك ! قال : عندي فلانة و هى أعظم نساء العرب ، ثم قال له : أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال : نعم فمس رأسه حتى استمكن منه ، قال لهم : اضربوه ، فضربوه حتى قتلوه ، فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه .

قال : خرج كعب بن الأشرف إلى مكة فقدمها ووضع رجله عند المطلب ابن أبي وداعة السهمي وجعل ينشد الأشعار ويحرض الناس على رسول الله ﷺ و يبكي على قتلى بدر من أصحاب القليب ، ثم رجع إلى المدينة ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : من لكعب بن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله و رسوله ! فقال محمد بن مسلمة : أنا إن تأذن أن أقول يريد كذباً في الحرب فأذن له رسول الله ﷺ ، فخرج محمد بن مسلمة و معه أربعة نفر : أبو عيس بن جبر ، و عباد بن بشر بن وقش ، و أبو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش ، و الحارث بن أوس بن معاذ بن أخى سعد بن معاذ ! فانتبهوا إلى كعب بن الأشرف و هو فى أطعم من أطام المدينة ، فقال له محمد بن مسلمة : إن محمداً يأخذ صدقة أموالنا و أراد المال منه ثم قال له : أتيتك أستسلفك فأرهن السلاح ، ثم جاء بفمير رأسه ، فلما استمكن منه ضربه و ضربه حتى قتل ، و احتزوا رأسه و جاءوا به إلى النبي ﷺ .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة قرقرة الكدر ، حامل لواءه علي بن أبي طالب ، واستخلف علي المدينة ابن أم مكتوم ، ثم رجع ولم يلق كيداً .
ثم زوج رسول الله ﷺ أم كلثوم ابنته الأخرى من عثمان بن عفان في أول شهر ربيع الأول .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة بذي أمر في شهر ربيع الأول ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذا أمر عسكر به ذا من غطفان ، أصاب رسول الله ﷺ مطر قبل ثوبه ، ثم نزع ثيابه فعلقها على شجرة ليستجفها ونام تحتها ، فقال غطفان لدعشور بن الحارث و كان شجاعاً : تفرد محمد من أصحابه وأنت لا تجد أخلى منه الساعة ! فأخذ سيفاً صارماً ثم انحدر ورسول الله ﷺ مضطجع ينتظر جفوف ثيابه ، فلم يشعر إلا بدعشور بن الحارث واقف على رأسه بالسيف وهو يقول : من يمنعك مني يا محمد ؟ فقال رسول الله ﷺ : الله ! ودفعه جبريل في صدره فوق السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ السيف ، ثم قام على رأسه و قال : من يمنعك مني ؟ قال : لا أحد ، فقال له رسول الله ﷺ : (قم فاذهب لشأنك) فلما ولي قال : أنت خير نبي يا محمد ! قال رسول الله ﷺ : « أنا أحق بذلك منك » فلما سمعت الأعراب من غطفان برسول الله ﷺ لحقت بذي الجبال ، فلما أعجزوه رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة .

و ولد السائب بن يزيد ابن أخت نمر .

وغزا رسول الله ﷺ في شهر جمادى الأولى بحران معدن بناحية الفرع ، ثم رجع رسول الله ﷺ ولم يلق كيداً .

ثم كانت سرية الفريضة

و ذلك أن قريشاً قالت : قد عور علينا محمد متجرنا وهو على طريقنا ، وإن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا ؛ فقال أبو زمعة بن الأسود بن المطلب : أنا أدلكم على رجل يسلك بكم طريقاً ينكب عن محمد وأصحابه ، لو سلكها

مغمض العينين لا هتدى فقال صفوان بن أمية : من هو ؟ قال فرات بن حيان العجلي و كان دليلاً ، فاستأجره صفوان بن أمية و خرج بهم في الشتاء و سلك بهم على ذات عرق ثم على غمرة ، فلما بلغ الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث زيد ابن حارثة في جمادى الأولى ، فاعترض العير فظفر بها ، و أفلت أعيان القوم و أسر فرات بن حيان العجلي ، كان له مال كثير و أواقى من فضة ، فقسم رسول الله ﷺ الغنائم على من حضر الواقعة و أخذ الخمس عشرين ألفاً ، و أطلق رسول الله ﷺ فرات بن حيان فرجع إلى مكة .

ثم تزوج رسول الله ﷺ بحفصة بنت عمر بن الخطاب ، قال عمر بن الخطاب : لما تأبمت حفصة^(١) لقيت عثمان بن عفان فعرضتها عليه ، فقال : إن شئت زوجتك حفصة ، قال : سأنظر في ذلك ، فمكث ليال ثم لقيني فقال : بدأ بي أن لا أتزوج يومى هذا ؛ قال عمر : فلقيت أبا بكر فقلت له : إن شئت زوجتك حفصة ! فصمت أبو بكر و لم يرجع إلى بشيء ، فكنت على أبى بكر أوجد منى على عثمان ، ثم مكثت ليال فخطبها إلى رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال : لعلك وجدت في نفسك ؟ فقلت : نعم ، فقال أبو بكر : لم يمنعني أن أرجع إليك فيها بشيء إلا أن النبي ﷺ قد كان ذكرها فلم أكن أفشى سره ، و لو تركها قبلتها .

ثم تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة من بنى هلال التى يقال لها أم المساكين ، و دخل بها حيث تزوجها في أول شهر رمضان ، و كانت قبله تحت الطفيل بن الحارث فطلقها ؛ ثم ولد الحسن بن على بن أبى طالب فى

(١) لها ترجمة فى الإصابة ٨ / ٥٠ وفيها : حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين هى أم المؤمنين .. و كانت قبل أن يتزوجها النبي ﷺ عند خنيس بن حذافة و كان ممن شهد بدرأ و مات بالمدينة فانقضت عدتها فعرضها عمر على أبى بكر فسكت فعرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت النبي ﷺ فقال : ما أريد أن أتزوج اليوم ، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فقال : يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، و يتزوج عثمان من هو خير من حفصة ، فلقى أبو بكر عمر قال : لا تجد على فإن رسول الله ﷺ ذكر حفصة فلم أكن أفشى سر رسول الله ﷺ ، و لو تركها لتزوجتها ، و تزوج رسول الله ﷺ حفصة بعد عائشة .

النصف من شهر رمضان ، وعق عنه رسول الله ﷺ بكبشين وحلق رأسه ، وأمر أن يصدق بوزن شعره فضة على الأوقاص^(١) من المساكين .

ثم كانت غزوة أحد

وذلك أن أبا سفيان لما رجع بغيره إلى مكة قال عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعكرمة بن أبي جهل ورجال من قريش ممن أصيب آبائهم وأبنائهم وإخوانهم ببدر : يا معشر قريش ! إن محمد قد وترككم وقتل خياركم ، فأعينونا على حربه لعلنا أن ندرك منه بعض ما أصاب منا ! فاجتمعت قريش على المسير إلى رسول الله ﷺ بأحايشها ومن أطاعها من قبائل مكة وغيرها ، وخرجوا معهم بالظعن ، فخرج أبو سفيان بن حرب بهند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بيرة ابنة مسعود بن عمرو وهي أم عبد الله بن صفوان ، وخرج عمرو بن العاص بريطة ابنة منبه بن الحجاج السهمي وهي أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة بسلافة بنت سهيد أحد بنى عروة بن عوف مع نسوة غيرهن ، ودعا جبير بن مطعم غلامه وحشيا فقال : إن قتلت عم محمد حمزة بعمى طعيمة بن عدى فأنت عتيق . فخرجت قريش تريد رسول الله ﷺ حتى نزلوا بعين جبل يبطن السبخة على شفير الوادي مما يلي المدينة وهم ثلاثة آلاف رجل ، معهم من الخيل مائتا فرس ، ومن الظعن خمسة عشر امرأة ، فقال رسول الله ﷺ لما سمع بهم : « إني رأيت فيما يرى النائم في ذباب سيفي ثلعة ، ورأيت بقرة نحرت ، ورأيت كأنني أدخلت يدي في درع حصينة ، فتأولتها المدينة » . وكره رسول الله ﷺ الخروج إليهم ، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول : يا رسول الله ﷺ ! لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا إلى عدو قط

(١) الأوقاص أي الزعائف ، وهي الطائفة من كل شيء ، يقال : أئانا أوقاص من بني فلان - انظر تاج

العروس (وقص) .

إلا أصاب منا ، و ما دخلها علينا إلا أصبناه . فقال رجل من المسلمين ممن كان فاتهم بدر : يا رسول الله ، لا يرون أنا جينا عنهم أو ضعفنا ، فقال عبد الله ابن أبي : يا رسول الله ! أقسم فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وإن دخلوا علينا قاتلهم الرجال في وجوههم و رماهم النساء و الصبيان بالحجارة من فوقهم . فلم يزل برسول الله ﷺ فلّس لامته ثم خرج عليهم ، و قد ندم الناس و قالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ و لم يكن لنا ذلك ، ثم قالوا يا رسول الله استكرهناك و لم يكن لنا ذلك ، إن شئت فاقعد صلى الله عليك ! فقال رسول الله ﷺ (ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل) ! فخرج رسول الله ﷺ في شوال يوم السبت في ألف رجل ، و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، و صلى المغرب بالشيخين في طرف المدينة و قد قيل : بالشوط . ثم عرض المقاتلة فأجاز من أجاز ورد من رد ، فكان فيمن رد زيد بن ثابت و عبد الله بن عمر و أسيد بن ظهير و البراء بن عازب و عرابة بن أوس الحارثي و أبو سعيد الخدري . و أجاز سمرة بن جندب ، و أما رافع بن خديج فإن رسول الله ﷺ استصغره ، فقام على خفين و تطاول على أطرافه ، فلما رآه رسول الله ﷺ أجازاه . و كان دليل النبي ﷺ أبو حثمة الحارثي . فقال عبد الله بن أبي لمن معه : أطاعهم رسول الله ﷺ و عصاني ، و الله ما ندرى على ما نقتل أنفسنا معه ، أيها الناس ارجعوا ! فعزل من العسكر ثلاثمائة رجل ممن تبعه و رجع بهم المدينة .

و مضى رسول الله ﷺ في سبعمائة رجل و سلك حرة بنى حارثة ثم نزل حتى مضى بالشعب من أحد في عدوة الوادي و جعل ظهره إلى أحد ، و قال : (لا يقاتلن أحد حتى أمره) .

ثم أمر رسول الله ﷺ على الرماة عبد الله بن جبير أحد بنى عمرو بن عوف ، و هم خمسون رجلاً ، و قال : « انضح عنا الخيل لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت علينا أو لنا فائت مكانك ، لا تؤتينا من قبلك » ! ثم ظاهر رسول الله ﷺ

ﷺ في درعين ، وأعطى اللواء على بن أبي طالب^(١) ، وقال من يأخذ مني هذا السيف بحقه ؟ قال أبو دجانة سماك بن خرشة وماحقه يارسول الله قال تضرب به العدو حتى ينحني ، فقال : يا رسول الله ! أنا آخذه بحقه ، فأعطاه إياه وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ، وكان إذا أعلم بعصاة له حمراء ويعصب بها رأسه ، فإذا رأوا ذلك علموا أنه سيقاقل ، فأخذ السيف من رسول الله ﷺ وأخرج عصاة فعصب بها رأسه ثم أخذ يتبختر بين الصفين ، فقال رسول الله ﷺ : (إنها لمشية ييغضها الله إلا في هذا الموطن) . وتعبأت قريش ، وجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وقال أبو سفيان بن حرب لأصحابه : إنكم قد ولستم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا مالت مالو فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهموا به وتواعدوه وقالوا : نحن نسلم إليك ستعلم كيف نصنع ! وجاءت هند بنت عتبة والنسوة اللواتي معها يحرضنهم على القتال وتقول فيما تقول :

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير دامق

وأول من خرج من المشركين أبو عامر بن أمية في الأحابيش وقال : يا معشر الأوس ! أنا أبو عامر ! قالوا : فلا أنعم الله بك عينا ، ثم راضخ المسلمين بالحجارة وقاتلهم قتالاً شديداً ، وقاتل أبو دجانة في رجال من المسلمين حتى حميت الحرب وأنزل الله النصر وكشفهم المسلمون عن معسكرهم ، وكانت الهزيمة عليهم ، فلم يكن بين أخذ المسلمين هنداً وصواحبها إلا شيء يسير ، وقتل على بن أبي طالب طلحة وهو حامل لواء قريش ، وأبا الحكم بن الأخنس بن شريق ، وعبيد الله بن جبير بن أبي زهير ، وأميرة بن أبي حذيفة ابن المغيرة . وأخذ اللواء بعد طلحة أبو سعد فرماه سعد بن أبي وقاص فقتله ، وبقي اللواء صريعاً لا يأخذه أحد ، فتقدم رجل من المشركين يقال له صؤاب

(١) في الطبري ٣ / ١٤ : أعطى رسول الله ﷺ اللواء رجلاً من قريش يقال له مصعب بن عمير .

فأخذ اللواء وأقامه لقريش ، فكر المسلمون عليه حتى قطعوا يديه ثم قتل ، وصرع اللواء .

فلما رأى الرماة الذين خلف رسول الله ﷺ أن المشركين قد انهزموا وتركوا مصافهم يريدون النهب وخلوا ضهور المسلمين للخيـل ، وأتاهم المشركون من خلفهم وصرخ صارخ : ألا أن محمداً قد قتل ! فانكشف المسلمون فصاروا بين قتيل وجريح ومنهزم حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ وأصيب رباعيته ، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم » .

ثم قام زياد بن السكن في خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً حتى قتلوا ، وكان آخرهم زياد بن السكن فأثبتته الجراحة ، وجاء المسلمون فأجهضوهم عنه ، فقال رسول الله ﷺ : « ادنوه مني » ! فوسده قدمه حتى مات في حجره ، وترس أبو دجانة دون رسول الله ﷺ بنفسه . فكانت النبل تقع في ظهره وهو ينحنى عليه حتى كثرت فيه النبل . وقاتل مصعب ابن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، أصابه ابن قميثة الليثي وهو يظن أنه رسول الله ﷺ .

ثم رجع إلى قريش وقال : قتلت محمداً ! والتقى حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان فاستعلى حنظلة أبا سفيان بالسيف ابن شعوب أن أبا سفيان قد علاه حنظلة بالسيف ضربه فقتله ، فقال رسول الله ﷺ « إن صاحبكم لتغسله الملائكة »^(١) وخرج حمزة بن عبد المطلب فمر به سباع بن عبد العزى الخزاعي وكان يكنى أبا نيار ، فقال : هلم يا ابن مقطعة البطور فالتقيا فضربه حمزة فقتل ، ثم جعل يرتجز ومعه سفيان إذ عثر دابته فسقط على قفاه وانكشف الدرع عن بطنه ، فانتزع وحشى^(٢) حربته فهزها ورماها فبقر بها بدنه ثم أخذ

(١) ولهذا سُمي حنظلة بن أبي عامر بغسيل الملائكة

(٢) هو غلام جبير بن مطعم - كما في الطبري .

حربته وتنحاه .

وقد انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة ابن عبيد الله ورجال من المهاجرين والأنصار قد أسقطوا ما في أيديهم وألقوا بأيديهم فقال^(١) ما يجلسكم ؟ قالوا قتل رسول الله ﷺ ؛ قال : فما تصنعون بالحياة بعده ! قوموا فموتوا على ما مات عليه ! ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل ، ووجد فيه سبعون ضربة بالسيف والرمح .

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ حيث كانت الهزيمة كعب بن مالك ، قال : عرفت عينيه تزهزان من تحت المغفر فناديت بصوتى : يا معشر المسلمين ! أبشروا فهذا رسول الله ﷺ ! فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا إليه ، فيهم : أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وسعد والحارث بن الصمة ، فكان رسول الله ﷺ يناول النبل سعداً ويقول : « ارم فذاك أبى وأمى » .

ثم أدرك رسول الله ﷺ أبى بن خلف وهو يقول : يا محمد لا نجوت إن نجوت : فقال القوم : يا رسول الله ! أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : « دعوه » ! فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ثم انتفض بها انتفاضة ثم استقبله وطعنه بها فمال عن فرسه ، وقد كان أبى بن خلف يلقي رسول الله ﷺ بمكة فيقول : إن عندى العود أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه فيقول رسول الله ﷺ : « بل أنا أقتلك إن شاء الله » . فرجع أبى بن خلف إلى المشركين وقد خدشته حربه رسول الله ﷺ خدشاً غير كبير ، فقال : قتلنى والله محمد ، فقالوا : ذهب والله فؤادك والله إن بك من بأس ، فقال : إنه قد كان يقول بمكة : إني أقتلك ، والله ! لو بصق على لقتلنى ، فمات بسرف وهم قافلون إلى مكة .

فانتهى رسول الله ﷺ بمن معه من أصحابه إلى الشعب^(٢) ، ومر على بن أبى طالب حتى ملأ درفته من المهراس ، وجاء بها إلى رسول الله ﷺ ، فأراد رسول

(١) بفتح السين وكسر الراء موضع على ستة أميال من مكة - انظر معجم البلدان ٥ / ٧١ .

(٢) الشعب : الطريق الضيق بين جبلين (ج) شعاب .

الله ﷺ شربه فوجد له ريحاً فعافه فلم يشرب منه ، و غسل عن وجهه الدم و صب على رأسه و قال : « اشتد غضب الله على من دمى وجه رسول الله ﷺ . ثم نهض رسول الله ﷺ إلى الصخرة ليعلوها ، فلما ذهب لينهض لم يستطيع ذلك ، فجلس طلحة تحته فنهض رسول الله ﷺ حتى استوى على الصخرة ، ثم قال : « أوجب طلحة الجنة » !

و كانت هند و اللاتي معها جعلن يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الآذان و الأناف حتى اتخذت هند قلائد من آذان المسلمين و أنفهم و بقرت عن كبد حمزة فلاكته فلم تستصفه فلفظته ، ثم علت صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها بشعر لها طويل أكره ذكره . فقتل من المسلمين سبعون رجلاً في ذلك اليوم ، منهم أربعة من المهاجرين . و كان المسلمون قتلوا اليمان^(١) أبا حذيفة و هم لا يعرفونه ، فأمرهم رسول الله أن يخرجوا ديتة . و قتل من المشركين ثلاثة و عشرون رجلاً .

ثم أن أبا سفيان أراد الانصراف فصرخ بأعلى صوته : الحرب سجال أعل هُبَل يوم ييوم بدر ، فقال رسول الله ﷺ ثم ناحية : « الله أعلى و أجل لا سواء ! قتلانا في الجنة و قتلاكم في النار » . فقال أبو سفيان : يا عمر أنشدكم الله أقتلنا محمداً ؟ فقال : اللهم لا و إنه ليسمع كلامك . فقال أنت أصدق عندي من ابن قمئة ، و لكن موعدكم بدر ، فقال رسول الله ﷺ : « هو بيننا وبينكم »^(٢)

(١) وفي الطبري ٣ / ٢٥ : لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد وقع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة ابن اليمان وثابت بن وقش بن زعزعة في الأظام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبالك ما تنتظر ؟ فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلا ظمأ ، حمار إنما نحن هامة اليوم أو غد أفلا نأخذ أسيافاً ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله عز وجل يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ ! فأخذوا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر بن اليمان فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبى ! قالوا : والله إن عرفناه وصدقوا . قال حذيفة الله لكم وهو أرحم الراحمين ! فأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فتصدق حذيفة بديتة على المسلمين فزاده رسول الله ﷺ خيراً .

(٢) في الطبري ٣ / ٢٤ : فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه قل : « نعم هي بيننا وبينك موعد » .

رحل أبو سفيان بالمشركين ، فقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب : أخرج في آثار القوم ، فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأنجزتهم فخرج في آثارهم فرآهم قد اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة ، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره .

و فرغ الناس لقتلاهم ، و خرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده و مثل به ، فوقف عليه و قال : « لو لا أن تحزن صفية أن تكون سنة بعدى ما غيبته و لتركته حتى فى بطون السباع و الطير ، ولئن أظهرنى الله عليهم لأمثلن »^(١) فأنزل الله « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا »^(٢) ، ثم أمر رسول الله ﷺ فسجى ببرده .

ثم قال ﷺ : (من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع ، أفى الأحياء هو أم فى الأموات) ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ﷺ ! فنظره فوجده جريحاً فى القتلى و به رمق فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر فى الأحياء أنت أم فى الأموات ، فقال أنا فى الأموات ، أبلغ رسول الله ﷺ عنى السلام و قل له إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبي عن أمة ، وأبلغ قومك السلام ، و قل لهم إن سعد يقول لكم إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم و فيكم عين تطرف ثم مات ؛ فجاء إلى رسول الله ﷺ وأخبره .

و احتمل الناس قتلهم ، فأمر رسوله الله ﷺ أن يدفنوهم حيث صرعوا بدمائهم وأن لا يغسلوا و لا يصلى عليهم ، فكان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد ، و يقول : « أيهم أكثر أخذاً للقرآن » ؟ فإذا أشير إليه

(١) زيد فى الطبرى « بثلاثين رجلاً منهم . فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغظه على ما فعل بعمد قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم يوماً من الدهر لننحشان بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط »

(٢) سورة النحل آية ١٢٦ .

بأحدهما قدمه في اللحد ، و قال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . قال : انظروا عمرو بن الجموح و عبد الله بن عمرو فإنهما كان منتصافين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد .

ثم قال ﷺ : « إن الله جعل أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة و تأكل من ثمارها ، و تأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم و مأكلهم و سقياهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع ربنا بنا » فأُنزل الله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) . و كان ابن عمير لم يترك إلا بردة واحدة ، فكانوا إذا غطوا رأسه بدت رجلاه ، و إذا غطوا رجليه بدا رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : « غطوا رأسه و اجعلوا على رجليه شيئا من الإذخر » .

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة بمن معه من المسلمين ، فمر بدار من دور الأنصار فسمع البكاء على قتلاهم ، فقال : « لكن حمزة لا بواكى له ! فلما سمع سعد بن معاذ و أسيد بن حضير أمرا نساء عبد الأشهل أن يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ ، فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن قال : « اجعلن » .

ثم ناول على بن أبي طالب سيفه فاطمة و قال : اغسلى عن هذا دمه ، فو الله ! لقد صدقني اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : لكن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدق معك سهل بن حنيف و أبو دجانة .

فلما كان ثاني يوم أحد أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب القوم ، فخرج رسول الله ﷺ و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، و قال : « لا يخرج معنا إلا من حضر يومنا بالأمس ، و كان أكثر أصحاب رسول الله ﷺ جرحى . فمر على رسول الله ﷺ معبد بن أبي الخزاعي و كانت خزاعة مسلمهم و مشركهم عيبة رسول الله ﷺ بتهامة فقال : و الله يا محمد ! لقد عز علينا ما أصابك و لوددنا أن الله كان أعفأك منهم . ثم خرج فلحق أبا سفيان بالروحاء

(١) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

ومن معه من قريش و قد أزمعوا الرجوع إلى رسول الله ﷺ وقالوا : رجعنا قبل أن نصطلم أصحاب محمد ، نرجع فنكر على بقيتهم ؛ فلما رأى أبو سفيان معبداً مقبلاً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه في طلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً ؛ قال : ويلك ما تقول ! والله لقد أجمعنا الكرة على أصحابه لنصطلمهم . قال فأنى والله أنكهاك عن ذلك بهم عليكم من الجد بشيء ما رأيته يقوم على قوم قط ، فسأه ذلك .

و مر بأبي سفيان ركبة من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فاخبروا محمداً أنا قد أجمعنا الكرة عليه وعلى أصحابه لنصطلمهم .

ثم رحل أبو سفيان راحلاً إلى مكة ، و مر الركب برسول الله ﷺ فأخبروه بما قال أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ والمسلمون : حسبنا الله ونعم الوكيل ! فأنزل الله جل وعلا في ذلك ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) لما صرف عنهم من لقاء عدوهم ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ (٢) الآية فأقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد ثلاثاً ، ثم انصرف إلى المدينة .

السنة الرابعة من الهجرة

أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصاري قال أنا أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بشر معونة ثلاثين صباحاً ، يدعو على رعل وذكوان وعصية ، قال أنس : فأنزل الله في الذين قتلوا ببئر معونة قراناً حتى نسخ « بلغوا عنا قومنا إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه » .

قال في أول هذه السنة كانت غزوة بئر معونة ، و ذلك أن أبا براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة قدم المدينة فأهدى لرسول الله ﷺ فرسين وراحلتين فقال

(١) سورة النساء آية ١٧٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٧٥ .

رسول الله ﷺ « لا أقبل هدية مشرك فعرض رسول الله ﷺ الإسلام فلم يسلم وقال : يا محمد ! لو بعثت معي رجالاً من أصحابك إلى نجد رجوت أن يستجيبيوا لك ؛ فقال رسول الله ﷺ « إنني أخاف عليهم من أهل نجد » فقال أبو براء : أنا لجار فابعثهم فليدعوا الناس إلى ما أمرك الله به فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الساعدي في أربعين راكباً ، وقد قيل في سبعين رجلاً من الأنصار ، حتى نزلوا ببئر ممنة وهي بئر أرض بنى عامر وحره بنى سليم ، ثم بنشوا حرام بن ملحان من بنى النجار بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل فلما أتاه فلم ينظرني به حتى عدا عليه فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيئوا بما دعاهم إليه وقالوا : لن نخفر أبا براء إنه قد عقد لهم عقداً . فاستصرخ عليهم قبائل من سليم : رعلأ وذكوان وعصية ، فأجابوا إلى ذلك ، فخرج حتى غشى القوم في رجالهم فأحاطوا بهم ، فلما رآهم المسلمون أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد ، فإنهم تركوه وبه رمق .

و كان في المسلمين عامر بن فهيرة طعنه جبار بن سلمى الكلابي^(١) بالرمح ، ثم طلب في القتلى فلم يوجد جثته ، فمن ذلك قيل : رفع عامر بن فهيرة إلى السماء .

و كان في سرحهم ابن أمية ورجل من الأنصار من بنى عمرو بن عوف^(٢) فلم ينشئهما بمصايب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : إن لهذا الطير لشأناً ! فأقبلا لينظر فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة ، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية : ماذا ترى ؟ قال أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره ، فقال الأنصاري : لكني ما كنت لأرغب عن موطن قتل فيه هؤلاء ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل . ورجع عمرو بن أمية حتى قدم رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فدعا النبي ﷺ على رعل وذكوان وعصية ثلاثين صباحاً ، فأنزل الله فيهم « بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه »

(١) هو عمرو بن أمية ، انظر الطبري ٣ / ٣٤ والمغازي ١ / ٣٤٨ .

(٢) اسمه الحارث بن الصمة - كما في المغازي .

ثم كانت غزوة الرجيع في صفر

أميرها مرثد بن أبي مرثد ، فيها قتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح و خالد ابن البكير و أسر خبيب بن عدى و زيد بن الدثنة ، و خرجوا بهما إلى مكة و باعوهما .

ثم كانت غزوة بني النضير

و كان السبب فى ذلك أن عمرو بن أمية لما انفلت من رعل و ذكوان و عصية و جاء إلى رسول الله ﷺ و أخبره بقتل أصحاب بئر معونة لقيته فى الطريق رجلان من بنى عامر ، و قد كان معهم عهد من رسول الله ﷺ و جوار لا يعلم عمرو بذلك ، فلما نزلا سألهما عمرو : من أنتما ؟ قالا : رجلان من بنى عامر ، فأمهلهم حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب ثأره من بنى عامر بما أصابوا من أصحاب بئر معونة : فلما أخبر رسول الله ﷺ قال : « بئس ما عملت قد كان لهما منى جوار » . و كتب عامر بن الطفيل إلى رسول الله ﷺ إنك قد قتلت رجلين لهما منك جوار فابعث بديتهما ، فأنطلق رسول الله ﷺ إلى قباء ثم إلى بنى النضير ليستعين فى ديتها و معه نفر من المهاجرين ، فجلس رسول الله ﷺ إلى مجلسهم فاستند إلى جدار هناك فكلّمهم ، فقالوا : أنى لك أن تزورنا ، يا أبا القاسم ! نفعل ما أحببت ، فأقم عندنا حتى تتعدى وتأمروا ، بينهم ، فقال عمرو بن جحاش بن عمرو بن كعب : يا معشر بنى النضير ! و الله لا تجددونه أقرب منه الساعة ! أرقى على ظهر هذا البيت فأدلى عليه صخرة فأقتله بها ، فنهاهم سلام بن مشكم فعصوه . وصعد عمرو بن جحاش ليدحرج الصخرة ، و أخبر الله جلا و علا رسوله فقام كأنه يريد حاجة ، و انتظر أصحابه من المسلمين فأبطأ عليهم ، و جعلت اليهود تقول : ما حبس أبا القاسم ! فلما أبطأ على المسلمين انصرفوا ، فقال كنانة بن صوريا : جاءه والله الخبر الذى هممتم به ! فلقي أصحاب النبى ﷺ رجلاً مقبلاً من المدينة فقالوا : أرايت رسول الله ﷺ ؟ فقال رأيتُه داخلاً المدينة ، فانتبهوا إليه

وهو جالس في المسجد فقالوا : يا رسول الله ! انتظرناك فمضيت وتركنا ، فقال : « همت اليهود بقتلي ، ادعوا لي محمد بن مسلمة » فأتى بمحمد ، فقال : « اذهب إلى اليهود فقل لهم : اخرجوا من المدينة ، لا تسكنوني و هممت بما هممت من الغدر .

فجاءهم محمد بن مسلمة فقال لهم : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تظعنوا من بلاده فقالوا : يا محمد ! ما كنا نظن أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس ، فقال محمد بن مسلمة : تغيرت القلوب ومحا الإسلام العهود ، فقالوا : نتحمل ؛ فأرسل إليهم عبد الله بن أبي : لا تخرجوا فإن معي ألفى رجل من العرب يدخلون معكم ، و قريظة تدخل معكم . فبلغ الخبر كعب بن أسد صاحب عهد بني قريظة ، فقال ، لا ينقض العهد رجل من بني قريظة وأنا حي .

فأرسل حيي بن أخطب إلى رسول الله ﷺ و كان من سادات بني النضير : إنا لا نفارق ديارنا فاصنع ما بدا لك ! فكبر رسول الله ﷺ والمسلمون وقال : حاربت يهود

ثم زحف إليهم رسول الله ﷺ يحمل لواءه على بن أبي طالب ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، حتى أتاهم فحاصروهم خمسة عشر يوماً ، وقطع نخلهم و حرقها ، و كان الذي حرق نخلهم وقطعها عبد الله و عبد الرحمن ابن كعب أبو ليلى الحرائي من أهل بدر ، فقطع أبو ليلى العجوة ، وقطع ابن سلام اللون ، فقال رسول الله ﷺ : « لم قطعتم العجوة ؟ » قال أبو ليلى : يا رسول الله ! كانت العجوة أحرق لهم وأغيط ، فنزل ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا ﴾ (١) ، فاللينة ألوان من النخل ، والقائمة على أصولها العجوة ، فنادوا: يا محمد ! قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما لك وقطع النخل وتحرقتها .

ثم تربصت اليهود نصرة عبد الله بن أبي إياهم ، فلما لم يجيء وقذف الله

فى قلوبهم الرعب صالحو رسول الله ﷺ على أن يحقن لهم دماءهم وله الأموال ، ويتجلون من ديارهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم . فاحتملوا ما استقلت به الإبل ، حتى أن كان الرجل منهم يهدم بيته فيضع بابه على ظهر بعيره فينطلق به ، وخرجوا إلى خيبر و ذلك قوله ﴿ يَخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ (١) .

ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلاً : يامين بن عمير بن كعب ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما ، فأحرزاهما ، فقسم رسول الله ﷺ غنائمهم على المهاجرين ، فأنزل الله سورة الحشر إلى آخرها .

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ثم بعث رسول الله ﷺ أبا سلمة بن عبد الأسد إلى ماء لبنى أسد فقتل عروة بن مسعود الأنصارى و غنم نعماً وشاء ، ورجع إلى المدينة .

ومات عبد الله بن عثمان بن عفان وهو ابن ست سنين ، فصلى عليه رسول الله ﷺ ، ونزل فى حفرة عثمان بن عفان . ثم ولد الحسين بن على ابن أبى طالب لليالى خلون من شعبان .

ثم كانت بدر الموعدة

وذلك أن أبا سفيان لما انصرف من أحد قال لرسول الله ﷺ : موعذك بدر الموسم ، وكان بدر موضع سوق لهم فى الجاهلية ، يجتمعون إليها فى كل سنة ثمانية أيام ، فلما قرب الميعاد جهز رسول الله ﷺ لغزوة الموعدة .

وكان نعيم بن مسعود الأشجعى قد اعتمر و قدم على قريش فقالوا : يا نعيم من أين وجهك ؟ قال : من يثرب ، قالوا : هل رأيت لمحمد حركة ؟ قال : نعم تركته على هيئة الخروج ليغزوكم و ذلك قبل أن يسلم نعيم ، فقال له أبو سفيان : يا نعيم ! إن هذا عام جذب ولا يصلحنا إلا عام غيDAQ ترعى فيه الإبل

الشجر ونشرب اللبن ، وقد جاء أوان موعد محمد . فالحق بالمدينة فثبطهم وأخبرهم أننا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا حتى يأتي الخلف منهم ، ولك عشر فرائض أضعها لك على يد سهيل بن عمرو ! فجاء نعيم سهيلاً فقال : يا أبا يزيد ! تضمن لي هذه الفرائض وانطلق إلى محمد فأثبطه ؟ فقال : نعم .

فخرج نعيم حتى أتى المدينة ، فوجد الناس يتجهزون فجلس لهم ويقول : هذا ليس برأى قدموا عليكم في عقر دوركم وأصابوكم فتخرجون إليهم ، ليس هذا برأى ، ألم يجرح محمد بنفسه ! ألم يقتل عامة أصحابه ! فثبط الناس عن الخروج حتى بلغ رسول الله ﷺ ، قال : « والذي نفسي بيده ! لو لم يخرج معي أحد خرجت وحدي » .

ثم خرج رسول الله ﷺ والمسلمون في شهر رمضان ، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، ومع المسلمين تجارات كثيرة ، حتى وافوا بدر الموعد فأصابوا بها سوقاً عظيماً ، وريحوا لدرهم درهماً ، ولم يلقوا عدواً ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة .

ثم تزوج رسول الله ﷺ بأم سلمة بنت أبي أمية في شوال ، ودخل بها في ذلك الشهر ، وكانت قبله تحت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي .

ثم رجم رسول الله ﷺ يهودياً ويهودية تحاكماً إليه وكانا محصنين .

وأمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود وقال : إني لا آمن أن يدلوا كتابي ! فتعلم زيد بن ثابت ذلك في خمسة عشر يوماً .

ثم كانت سرية الخزرج إلى إسلام بن أبي الحقيق

وذلك أنه كان مما صنع الله به لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ في الإسلام قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا

مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك ، فلما أصابت الأوس كعب بن الأشرف قالت الخزرج : من رجل في العداوة لرسول الله ﷺ ككعب ابن الأشرف^(١) فذكروا اسلام بن أبي الحقيق بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم ونهاهم عن قتل النساء والولدان . فخرج عبد الله بن أنيس ومسعود بن سنان وأبو قتادة بن ربعي بن بلدمة بن سلمة وخزاعي بن أسود حليف لهم من اسلم ، حتى قدموا خيبر فدخلوا على سلام بن أبي الحقيق داره ليلاً ، ولم يبق في الدار بيت إلا أغلقوه ، ثم صعدوا في درجة إلى عليه له فضربوا عليه ، فخرجت امرأته وقالت : من أنتم ؟ قالوا نفر من العرب أردنا الميرة ، فقالت : هو ذاك في البيت ، فدخلوا عليه وغلّقوا الباب عليهم ، فما دلهم عليه إلا بياضه في ظلمة البيت وكان أبيض وكانه قبطني ، فابتدروه بأسيافهم ، وتحامل عليه عبد الله بن أنيس فوضع سيفه في بطنه ، وهتفت امرأته ، وخرجوا . وكان عبد الله بن عتيك أمير القوم وكان في بصره شيء ، فسقط من الدرجة فوثقت يده وثأ شديداً .

فلما قدموا على رسول الله ﷺ وأخبروه ، واختلفوا في قتله وادعى كل واحد منهم أنه قتله فقال رسول الله ﷺ : هاتوا سيوفكم ، فأعطوه ، فنظر فقال : سيف عبد الله بن أنيس هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

السنة الخامسة من الهجرة

حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عون الدماثي ثنا عمار بن الحسن الهمداني ثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس حدثني سلمان الفارسي من فيه قال : كنت رجلاً مجوسياً من أهل حي من أهل أصبهان ، وكان أبي دهقان قريته ، وكنت أحب الخلق إليه فما زال به حبه إياي حتى حبسني في البيت كما

(١) في السيرة : قالت الخزرج : والله لا يذمبون بها فضلاً علينا أبداً ، قال : فتذاكر وأمن رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف .

تحتبس الجارية ، و كنت قد اجتهدت فى الجوسية حتى كنت قطن النار الذى يوقدها لا يتركها نخبو ساعة ، و كانت لأبى ضيعة فيها بعض العمل ، بنى أبى بنياناً له فى داره فدعانى فقال : أى بنى إنى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى فاذهب إليها فاطلعيها ، و أمرنى فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لى : و لا تحتبس عنى فإنك إن احتبست عنى كنت أهم عندى مما أنا فيه ، فخرجت فمررت بكنيسة النصرى و هم يصلون فيها ، فسمع أصواتهم و دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فوالله ! ما زلت قاعداً عندهم وأعجبني دينهم و ما رأيت من صلاتهم ، و أخذ بقلبي فأحببتهم حباً لم أحبه شيئاً قط ، و كنت لا أخرج قبل ذلك و لا أدري ما أمر الناس ، فقلت فى نفسى : هذا و الله خير من ديننا ، فوالله ما برحت حتى غربت الشمس ، و تركت حاجة أبى التى أرسلنى إليها و ما رجعت إليه ، ثم بعث فى الطلب يلتمس لى ، فلم يجد حيث أرسلنى ، فبعث فبغونى بكل مكان حتى جئته عشياً ، و قد قلت للنصارى حين رأيت ما أعجبني من هيئتهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ، فلما أتيت أبى فقال : أى بنى أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك أن لا تحتبس على ؟ فقلت بلى ، و إنى مررت على كنيسة النصرى فأعجبني ما رأيت من أمرهم و حسن صلاتهم ، و رأيت دينهم خيراً ، قال كلا يا بنى ! إن ذلك الدين لا خير فيه ، دينك و دين آبائك خير منع ، فقلت : كلا و الله إنه لخير من ديننا ! قال فخافنى أن أذهب من عنده فكلبنى ثم حبسنى ، فأرسلت إلى النصرى وأخبرتهم أنى قد رضيت أمرهم ، و قلت : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم أذهب معهم .

فقدم عليهم ركب من الشام فأخبرونى بهم فأرسلوا إلى ، فأرسلت إليهم إذا أرادوا الرجعة فأخبرونى ، فلما أرادوا الخروج جئتهم فانطلقت معهم ، فلما قدمت الشام سألت عن عالمهم ، فقالوا : صاحب الكنيسة أسقفهم ، فدخلت عليه فأخبرته خبرى و قلت له : إنى أحب أن أكون معك فى كنيستك أخدمك و أصلى معك و أتعلم منك ، فإننى قد رغبت فى دينك ، قال : أقم ! فمكثت

معه فى الكنيسة أنفقه فى النصرانية ، و كان رجل سوء فاجر فى دينه ، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه الأموال أكثرها لنعسه وكنت أبغضه لما أرى من فجوره وقد جمع سبع قلال دنائير ودراهم ثم إنه مات فاجتمعت النصرارى ليدفنوه فقلت لهم تعلمون أن صاحبكم هذا رجل سوء كان يأمركم بالصدقة فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً ، قالوا : وما علامة ذلك ؟ قلت : أدلكم على كنزه ؟ قالوا : أنت وذاك ، فدللتهم عليه ، فأخرجوا قلالاً مملوءة ذهباً وورقاً قال : فلما رأوها قالوا : والله لا نغيبه أبداً ! فصلبوه على خشبة و رجموه بالحجارة و جاءوا برجل فجعلوا مكانه ، قال : فيقول سلمان يا ابن أخى ! ما رأيت رجلاً لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه زهادة فى الدنيا و لا أرغب فى الآخرة و لا أدأب ليلاً و لا نهراً منه اجتهداً فى العبادة ، قال سلمان : فأقمت معه و أحببته حباً ما علمت أنى أحببت شيئاً كان قبله ، فكنت معه أخدمه و أصلى معه فى الكنيسة حتى حضرته الوفاة ، قلت : يا فلان ! إنى قد كنت معك و ما أحببت حبك شيئاً قط فإلى من توصى بى ؟ و من ذا الذى تأمرنى ، متبع أمرك و مصدق حديثك ؟ قال : أى بنى ! ما أعظم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجلاً بالموصل يقال له فلان ، فإنى وإنه كنا على أمر واحد فى الرأى و الدين ، و هو رجل صالح ، و ستجد عنده بعض ما كنت ترى منى ، فأما الناس قد بدلوا و هلكوا . فلما توفى لحقت بصاحب الموصل فأخبرته خبرى ، فقال : أقم فكنت فى كنيسة فوجدته كما قال صاحبى رجلاً صالحاً ، فكنت معه ما شاء الله فلما حضرته الوفاة قلت : يا فلان ! إن فلاناً أوصانى إليك حين حضرته الوفاة ، و قد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصى بى ؟ و إلى من تأمرنى ؟ قال : أى بنى ! ما أعلم أحداً على أمرنا إلا رجلاً بنصيبين يقال له فلان فالحق به . فلما توفى لحقت بصاحب نصيبين و أخبرته خبرى ، و أقمت عنده فوجدته على مثل ما كان عليه صاحبه ، فمكثت معه ما شاء الله ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : إن فلاناً أوصانى إلى صاحب الموصل ثم أوصانى صاحب الموصل إليك ، فإلى من توصى بى بعدك ؟ قال أى بنى ! ما أعلم أحداً على

مثل ما نحن عليه إلا رجلاً بعمورية في أرض الروم ، فإنك واجد عنده بعض ما تريد ، فإن استطعت أن تلحق به فالحق به . فلما توفى لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري ، فقال أقم ، فأقمت عنده فوجدته على مثل ما كان عليه أصحابه وأثاب لى شيئاً حتى اتخذت بقرات و غنيمة ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : إن فلاناً أوصاني ، إلى فلان صاحب الموصل ، ثم أوصاني صاحب الموصل إلى فلان صاحب نصيبين ثم أوصاني نصيبين إليك ، فإلى من توصي بي ؟ قال يا بني ! ما أعلمه ما أصبح في هذه الأرض أحد على ما كنا عليه لكنك قد أظلك خروج نبي يخرج بأرض العرب ، يبعث بدين إبراهيم الحنفية ، يكون منها مهاجرة و قراره إلى أرض يكون بها النخل بين حرتين نعتها بكذا وكذا ، بظهرة خاتم النبوة بين كتفيه ، إذا رأيته عرفته ، يأكل الهدية و لا يأكل الصدقة ، ثم مات . فمر بي ركب من كلب فسألتهم من هم ؟ فقالوا : من العرب ، سألتهم عن بلادهم ، فأخبروني عنها ، فقلت لهم : أعطيك بقرى و غنمى هذا على أن تحملوني حتى تقدموا أرضكم ، قالوا : نعم ، فأعطيتهم إياها و حملوني معهم ، حتى إذا جاء و ابى و ادى القرى ظلموني فباعوني برجل من اليهود . فأقمت و رأيت بها النخل و رجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبي ، حتى قدم رجل من يهود بني قريظة فابتاعنى من ذلك اليهودى ؟

ثم خرج بي حتى قدم المدينة ، فوالله ! ما هو إلا أن رأيتهما فعرفتهما بصفة صاحبي و أيقنت أنه البلد فمكثت بها أعمل له فى ماله فى بني قريظة حتى بعث محمد و خفى على أمره و أنا فى رقى مشغول ، حتى قدم المدينة مهاجراً فنزل فى قباء فى بني عمرو بن عوف و إنى لفى رأس نخلة أعمل لصاحبي فيها و صاحبي تحتى جالس إذ أقبل ابن عم له من اليهود فقال : يا فلان ! قاتل الله بني قيلة إنهم أنفأ لمجتمعون يقبلون على رجل بقباء قدم من مكة يزعمون أنه نبي ؛ فوالله ما هو إلا أن قالها له أخذتنى رعدة من النخلة ، حتى ظننت أنى سقطت على صاحبي ، فنزلت سريعاً فقلت : أى سيدى ! ما الذى تقول ؟

فغضب بما رأى فنى ورفع يده فضربنى بها ضربة شديدة ، ثم قال : ما لك ولهذا أقبل على عملك ، قلت : لا شيء ، سمعت منك شيئاً فأردت أن أعلمه ، فسكت عنه ثم أقبلت على عملى . فلما جمعت ما عندى حتى أتيت رسول الله ﷺ وهو بقباء ، فدخلت عليه و معه نفر من أصحابه ، فقلت : بلغنى أنك رجل صالح وأن معك أصحاباً لك أهل حاجة و غربة ، وقد كان عندى شيء و وضعت للصدقة من طعام يسير فجئتك به و هو ذا فقريت إليه ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه كلوا ، و امسك يده و أبى أن يأكل فقلت فى نفسى : هذه واحدة من صفة فلان ، ثم رجعت ؛ فتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فجمعت شيئاً ثم جئته فسلمت عليه فقلت : هذا شيء كان لى وأحببت أن أكرمك و هو هدية أهديها لك كرامة ليست بصدقة ، فإنى رأيتك لا تأكل الصدقة فأمر رسول الله ﷺ أصحابه فأكلوا و أكل معهم ؛ فقلت فى نفسى : هاتان اثنتان ، ثم رجعت فمكثت شيئاً ثم جئته و هو ببيق الغرقد ، مشى مع جنازة و حوله أصحابه ، و عليه شملتان مرتدياً بواحدة و متزراً بالأخرى ، فسلمت عليه ، ثم تحولت حتى قمت وراءه لأنظر فى ظهره ، فعرف رسول الله ﷺ إبنى إنما أريد أن أنظر و أثبتة ، فقال بردائه فألقاه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصفه لى صاحبى ، فأكبت على رسول الله ﷺ أقبل موضع الخاتم من ظهره و أبكى ، فقال : « تحول عنى » فتحولت عنه فجلست بين يديه و قصصت عليه قصتى و شأنى و حديثى ، فأعجب رسول الله ﷺ و أحب أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم مكثت مملوكاً حتى مضى شأن بدر و شأن أحد ، و شغلنى الرق فلم أشهد مجامع النبى ﷺ . ثم قال لى رسول الله ﷺ « كاتب نفسك » ، فسألت صاحبى الكتابة ، فلم أزل حتى كاتبنى على أن أفى له ثلاثمائة نخلة و أربعين أوقية ورق و تلك أربعة آلاف ؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه « أعينوا أخاكم بالنخل » ، فأعاننى الرجل بقدر ما عنده ، منهم من يعطينى العشرين والثلاثين والعشرة والخمس والست والسبع والثمان والأربع والثلاث حتى جمعتها ، فقال لى رسول الله ﷺ :

« اذهب فإذا أردت أن تضعها فأتني حتى أكون أنا أضعها لك بيدي ، فقامت في تفقيرها و أعانني أصحابه حتى فرغنا من شربها ، و جاء أصحابي كل رجل بما أعانني من النخل فوضعت ، ثم جئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فخرج فجعلنا نحمل إليه النخل فيضعها بيده ، فما مات منها ودية ، و بقيت الدراهم ثم قال رسول الله ﷺ « يا سلمان ! إذا سمعت بشيء قد جاءني فأتني أغنيك بمثل ما بقي من مكاتبتك ، فبينما رسول الله ﷺ ذات يوم في أصحابه إذ أتاه رجل من أصحابه بمثل البيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي ، فقال رسول الله ﷺ : خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان » قال قلت و أين تقع هذه مما على من المال ؟ قال : إن الله سيؤديها عنك فوالذي نفسي بيده ! لقد وزنت لهم أربعين أوقية حقهم جميعاً . و عتق سلمان و غزا مع رسول الله ﷺ الخندق وما كان بعده من المغازي . قال في أول هذه السنة كان فك سلمان من الرق وأداؤه بما كوتب عليه .

ثم كانت غزوة ذات الرقاع في المحرم^(١)

خرج رسول الله ﷺ واستخلف على المدينة عثمان^(٢) بن عفان يريد بني محارب و بني ثعلبة من غطفان ، حتى نزل نخلا ، فلقى بها غطفان فتقارب الناس و لم يكن بينهم حرب إلا أن الناس قد خاف بعضهم من بعض حتى صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف ، و إنما سميت هذه الغزوة ذات الرقاع لأن الخيل كان فيها سواد و بياض فسميت الغزوة بتلك الخيل^(٣) .

(١) في سيرة ابن هشام ٢ / ١٣٤ « في سنة أربع » ، وذكره الطبري أيضاً في حوادث السنة الرابعة ، انظر ٣ / ٣٩ ، وفيه « وأما الواقدي فإنه زعم أن غزوة رسول الله ﷺ ذات الرقاع كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة » .

(٢) وفي سيرة ابن هشام « قال ابن إسحاق : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ، ويقال : عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام » .

(٣) وفي الطبري ٣ / ٣٩ « وإنما سميت ذات الرقاع لأن الجبل الذي سميت به ذات الرقاع جبل به سواد و بياض و حمرة فسميت الغزوة بالجبل » ، وفي السيرة ٢ / ١٣٤ « وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم » ، ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع « انظر معجم البلدان ٤ / ٢٦٨ .

ثم انصرف رسول الله ﷺ فوالمسلمون فبينما جابر إذ أبطأ عليه جملة فقال لحقه رسول الله ﷺ قال : « يا جابر » ا قال : نعم ، قال : ما شأنك ؟ قال : أبطأ على جملي ، فحججه رسول الله ﷺ بمحججه و قال « اركب » فقال جابر : ولقد رأيتني أكفه عن رسول الله ﷺ ، فقال : « يا جابر تزوجت » ؟ قلت : نعم ، قال : « بكرأ أم ثيبأ ؟ قلت : بل ثيبأ ، قال « أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك » ؟ قلت إن لي أخوات فأحببت أن أتزوج بمن يجمعهن و يمشطهن و تقوم عليهن ، قال : « أما ! إنك قادم فإذا قدمت فالكيس الكيس » ! ثم قال « أتبيع جملك » ! فقلت : نعم فاشتره منه بأوقية ، ثم قدم المدينة ، ﷺ قال جابر : فوجدته عند باب المسجد فقال : « الآن قدمت » ؟ قلت : نعم ، قال : « فدع جملك و ادخل المسجد فصل ركعتين » . فدخلت فصليت ركعتين ، ثم أمر بلالاً أن يزن لي أوقية ، فوزن لي فأرجح في الميزان ، فانطلقت حتى إذا وليت فقال : « ادعوا لي جابراً » ، قلت الآن يرد على الجمل ، وليس شيء أبغض إلي منه ، قال : « خذ جملك و لك ثمنه »^(١) .

(١) رويت هذه القصة في سيرة هشام بما نصه « قال ابن إسحاق وحدثني وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف ، فلما قفل رسول الله ﷺ قال : جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال : « مالك يا جابر » ؟ قال قلت : يا رسول الله ! أبطأ بي جملي هذا ، قال : « أنخه » ، قال : فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : « أعطني هذه العصا من يدك - أو اقطع لي عصا من شجرة » ، قال : ففعلت ، قال : فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات ، ثم قال : اركب ، فركبت فخرج والذي بعثه بالحق يواهي ناقته مواهقة ، قال : وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لي : « أتبيعني جملك هذا يا جابر » ؟ قال قلت : يا رسول الله ! بل أهبه لك ، قال : « لا ولكن بعنيه » ، قال قلت : فثمنيه يا رسول الله ! قال : « قد أخذته بدرهم » ، قال قلت : لا ، إذن تغبنني يا رسول الله ! قال : « بدرهمين » ؟ قال قلت : لا ، قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية ، قال فقلت : أفقد رضيت يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : « قد أخذته » ، قال ثم قال : يا جابر ! هل تزوجت بعد ؟ قال قلت : نعم يا رسول الله ! قال : « أثيبأ أم بكرأ ؟ قال قلت : بل ثيبأ ، قال : « أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك » ؟ قال قلت : يا رسول الله ! إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعة فنكحت امرأة جامعة تجتمع رؤوسهن وتقوم عليهن ، قال : « أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو قد جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت رأ قمنا عليها يومنا ذاك وسمعت بنا فننفضت نمارقها » ، قال قلت : والله يا رسول الله ما لنا من نمارق ، قال : « إنها ستكون ! فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً » ، قال : فلما جئنا صراراً أمر =

ثم كانت غزوة دومة الجندل (١)

و ذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً تجتمعوا بها ، فغزاهم رسول الله ﷺ حتى بلغ دومة الجندل فلم ير كيذا ، واستخلف على المدينة سباع بن عرفة الغفاري ، ثم رجع إلى المدينة .

و توفيت أم سعد بن عبادة وسعد مع رسول الله ﷺ بدومة الجندل ، فلما رجع جاء رسول الله ﷺ قبرها وصلى عليها ، فقال سعد : يا رسول الله ﷺ ! إن أمي أفتلتت نفسها ولم توصي أفأقضى عنها ؟ قال : « نعم » .

و كسف القمر في جمادى الآخرة ، فجعلت اليهود يرمونه بالشهب ويضربون بالطاس ويقولون : سحر القمر ، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الكسوف .

و بلغ رسول الله ﷺ أن قريشاً أصابتهم شدة حتى أكلوا الرمة ، فبعث رسول الله ﷺ بشيء من الذهب إليهم مع عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم بن حريش . ثم قدم رسول الله ﷺ وفد من مزينة ، وهو أول وفد قدم عليه في رجب وفيهم بلال بن الحارث المزني في رجال من المزينة ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « أنتم مهاجرون أينما كنتم » فرجعوا إلى بلادهم .

ثم قدم بعدهم ضمام^(٢) بن ثعلبة ، بعثه بنو سعد بن بكر فقال : يا محمد !

= رسول الله دخل ودخلنا ، قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله ﷺ ، قالت : فدونك سمع وطاعة ، قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخه على باب رسول الله ﷺ ، قال : ثم جلست في المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال : « ما هذا » ؟ قالوا : يا رسول الله ! هذا جمل جاء به جابر ، قال : « فأين جابر ؟ » قال : فدعيت له ، قال فقال : « يا ابن أخي ! خذ برأس جملك فهو لك » ، ودعا بلالاً فقال له : « اذهب بجابر فأعطه أوقية » ، قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً ، قال : فوالله ما زال ينمي عندي ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا - يعني يوم الحرة » .

(١) في سيرة ابن هشام ٢ / ١٣٧ « غزوة دومة الجندل في شهر ربيع الأول سنة خمس » .

(٢) ترجمة في الإصابة ٣ / ٢٧١ وقال « ضمام بن ثعلبة السعدي من بني سعد بن بكر ، وقع ذكره في حديث أنس في الصحيحين ، قال : بينما نحن عند النبي ﷺ إذا جاء أعرابي فقال : أيكم ابن عبد المطلب

أتانا رسولك فزعم أن الله أرسلك ، قال : « صدق » ، قال : فمن خلق السماء؟ قال ، « الله » ، قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : « الله » ، قال فمن نصب هذه الجبال ؟ قال : « الله » ، قال : فمن جعل فيها هذه المنافع ؟ قال : « الله » ، الله تعالى أرسلك ؟ قال : « نعم » ، قال : فبالذى خلق السماوات والأرض ونصب الجبال وجعل فيها هذه المنافع هو الله الذى أرسلك ؟ قال : « نعم » ؛ قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ، قال : « صدق » ، قال : فبالذى أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » ؛ قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا ، قال « صدق » ، قال فبالذى أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله الذى بالحق ! لا أزيدن عليهن ولا أنقص منهن شيئاً ، فلما قفا قال النبى ﷺ « لئن صدق ليدخلن الجنة » ! فأسلم ضممام ورجع إلى قومه بالإسلام .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة المريسيع

فى شعبان ، قصد بنى المصطلق من خزاعة على ماء لهم قريب من الفرع ، فقتل منهم رجالهم وسباهم ، و كان فيمن سبى جويرة بنت^(١) الحارث بن أبى ضرار . تزوجها رسول الله ﷺ ، وجعل صداقها أربعين أسيراً من قومها .

فى هذه الغزوة سقط عقد عائشة ، فأقام رسول الله ﷺ بالناس على التماسه وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فنزلت آية التيمم ، فقال أسيد^(٢) بن حضير = الحديث . وفيه أنه أسلم وقال : أنا رسول من ورائى من قومى وأنا ضممام بن ثعلبة . وكان عمر بن الخطاب يقول : مارأيت أحداً أحسن مسألة ولا أوجز من ضممام بن ثعلبة . وروى أبو داود من طريق ابن إسحاق عن سلمة بن كهيل وغيره عن كريب عن ابن عباس قال : بعث بنو سعد ضممام بن ثعلبة إلى النبى ﷺ - فذكره مطولاً .. وزعم الواقدي أن قدومه كان فى سنة خمس .

(١) لها ترجمة فى الإصابة ٨ / ٤٣ وفيه غزا النبى ﷺ بنى المصطلق غزوة المريسيع فى سنة خمس أو ست وسباهم وقعت جويرة وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقى فى سهم ثابت بن قيس .. فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحاة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها .

(٢) له ترجمة فى الإصابة ١ / ٤٨ وفيه « أسيد بن الحضير بن سمائل ، الأنصارى ، وكان ممن ثبت يوم أحد وجرح يومئذ سبع جراحات ، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « نعم الرجل أسيد بن حضير » .

: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ! فبعثوا العير التي كانت عليه ، فوجدوا العقد تحته .

و بعث رسول الله ﷺ أبا نملة الطائي بشيراً إلى المدينة بفتح المريسيع .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة الخندق

و كان من شأنها أن النبي ﷺ لما أجلى بنى النضير خرج نفر من اليهود فبهم حيي بن أخطب النضري و هوذة بن قيس الوائلي و كنانة بن الربيع النضري في نفر من بنى النضير و بنى وائل و حزبوا الأحزاب حتى قدموا على قريش مكة و دعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ و قالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله و من معه ، فقالت لهم قريش : يا معشر اليهود ! إنكم أهل الكتاب و العلم أصبحنا نختلف فيه نحن و محمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم ، و أنتم أولى بالحق منه ؛ فلما قالوا ذلك لقريش نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ و أجمعوا لذلك و اعتدوا له ، ثم خرجوا حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، و أخبروهم أن قريشاً قد تابعوهم على ذلك و أجمعوا معهم على ذلك .

و خرجت قريش

و قائدها أبو سفيان بن حرب ، و خرجت ، غطفان و قائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، و كان قائد أشجع مسعود بن ربيعة .

فلما سمع رسول الله ﷺ بأمرهم استشار المسلمين ، فأشار عليه سلمان بضرب الخندق على المدينة ، و هي أول غزوة غزاها سلمان مع رسول الله ﷺ فخندق على المدينة فيما بين المذاد إلى ناحية راجح .

و أقبلت قريش

حتى نزلت بمجتمع الأسياح من رومة في عشرة آلاف رجل من أحابيشهم

ومن تابعهم من أهل كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان حتى نزلوا بذي نقي إلى جانب أحد .

وخرج رسول الله ﷺ واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر شوال حتى جعل سلعاً وراء ظهره والخندق بينه وبين القوم ، وهو في ثلاثة آلاف من المسلمين ، وخرج حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد صاحب بني قريظة ، فلم يزل يفتله^(١) حتى بايعه على ذلك .

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير يستخبرون خبر كعب بن أسد أهم على وفاء أم لا ، فمضوا إليه فسألوه ، فقال : لا عهد بيننا وبين محمد ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه .

فأقام رسول الله ﷺ بحذاء المشركين بضعاً وعشرين ليلة . ثم قال النبي ﷺ : « من يأتيني بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال النبي ﷺ : « إن لكل نبي حوارياً ، وإن حوارى الزبير . ولم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل ، غير أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أخو بني عامر وعكرمة ابن أبي جهل المخزومي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي وضرار بن الخطاب بن

(١) من الطبرى والسيرة والعبارة فيهما كما يلى « وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك وعاقده ، فلما سمع كعب يحيى بن أخطب أغلق دونه حصنه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حيي : يا كعب ! افتح لى ، قال : ويحك يا حيي ، إنك أمرؤ مشؤوم ، إني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً ، قال : ويحك ! افتح لى أكلمك ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دونى إلا على جشيتك أن أكل معك منها ، فاحفظ الرجل ، ففتح له فقال : ويحك يا كعب ! جئتك بعز الدهر وببحر طام ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذي نقي إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني ألا يرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه ، فقال له كعب بن أسد : جئتنى والله بذي الدهر بجهام قد هراق ماءه يردد ويرق ليس فيه شيء ، ويحك ! فدعنى ومحمداً وما أنا عليه ، فلم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء ، فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبني ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده وبرىء مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ . »

مرداس المحاربى ، قد تهيأوا للقتال وتلبسوا وخرجوا على خيلهم ومروا بمنازل كنانة ، ثم أقبلوا حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها ! ثم أتوا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم ، فاقتحمت منه وجالت فى السبخة بين الخندق وسلع . فلما رآهم المسلمون خرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الموضع الذى منه اقتحموا وأقبلت الفوارس تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبدود فارس قريش وقد كان قاتل يوم بدر ولم يشهد أحداً ، فخرج عام الخندق معلماً ليرى مشهده ، فلما وقف هو وخيله قال على بن أبى طالب : يا عمرو ! إني أدعوك إلى البراز ، قال : ولم يا ابن أخى ؟ فوالله : ما أحب أن أقتلك ! قال على : لكنى والله أحب أن أقتلك ! فحمى عمرو عند ذلك واقتحم عن فرسه وعقره ثم أقبل إلى على ، فتنازلا وتجاولا إلى أن قتله على وخرجت خيله منهزمة من الخندق .

وحبس رسول الله ﷺ عن الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وذلك بعد أن كفوا ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ (١) .

ولم يقتل من المسلمين غير ستة نفر : كعب بن زيد الدنبانى (٢) ، ورمى سعد ابن معاذ بسهم فقطع أكحله ، وعبد الله بن سهل ، وأنس بن أوس بن عتيك ، والطفيل بن النعمان بن خنساء ، وثعلبة بن غنمة ، وقتل من المشركين جماعة .

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعى أتى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله ! إني أسلمت وإن قومى لا يعلمون بإسلامى فمرنى بما شئت ، فقال له رسول الله ﷺ : « إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ، فإن الحرب خدعة » ، فخرج

(١) سورة الأحزاب آية ٢٥ .

(٢) كذا ، ولعله الأنصارى ، وفى الإصابة ٥ / ٣٠٣ « كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب ابن حارثة بن دينار بن النجار الأنصارى ... » .

نعيم حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال : يا معشر قريظة ! إنكم قد عرفتم ودي لكم وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، قال : فإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وإنهم ليسوا كهيتكتكم ، البلد بلدكم لا تقدرون على أن تتحولوا عنه ، وإن قريشاً وغطفان إن وجدوا فرصة أشهروها ، وإن كان غير ذلك هربوا وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشrafهم يكونون بأيديكم على أن يقاتلوا مع القوم حتى تنجزوه ، فقالوا : قد أشرت برأى ونصح . ثم خرج نعيم حتى أتى قريشاً وأبا سفيان فقال : يا معشر قريش ! إنكم قد عرفتم ودي لكم ، قد رأيتم أن حقاً على أن أبلغكموه وأنصح لكم فاكتبوه على ، قالوا : نفعل ، قال : إن معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك منا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشrafهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم ، فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعث إليكم اليهود يلتمسون رهناً فلا تدفعوا إليهم .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان ! إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني ، قالوا : صدقت ، قال : فاكتبوه على ، قالوا : نفعل ، فقال لهم مثل ما قال لقريش في شأن بني قريظة وحذرهم مثل الذي حذرهم . فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل في نفر معه من رؤوس غطفان إلى بني قريظة فقالوا : لسنا بدار مقام ، قد هلك الكراع والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ بيننا وبينه ، فأرسلوا أن غداً السبت وهو يوم لا نعمل فيه ، ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من أشrafكم يكونون عندنا حتى نناجز محمداً ، فإننا نخشى الحرب إن اشتدت أن تتشمروا إلى بلادكم وتتركونا ، فلما رجع عكرمة إلى قريش وغطفان بما قالت بنو قريظة قالوا : والله ! إن الذي جاءكم به نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بني قريظة أنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً ! فإن كنتم

تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا ، فقالت بنو قريظة : إن الذي ذكر لنا نعيم لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهبوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان أنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً . وبعث الله على المشركين ريحاً تطرح أنيتهم وتكفأ قدورهم في يوم شديد البرد ، فلما انتهى إلى رسول الله ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان ، قال : « اذهب فادخل بين القوم وانظر ما يقولون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتيني وذلك ليلاً » ، فدخل حذيفة في الناس ، وقام أبو سفيان بن حرب وقال : يا معشر قريش ! لينظر كل امرئ من جلسه ؟ قال حذيفة : وأخذت رجلاً إلى جنبى وقلت له : من أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ! إنكم والله ! ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الرياح ما ترون ، والله ! ما يستمسك لنا بناء ولا تطمئن لنا قدور ، فارتحلوا فإني مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ثم قال حذيفة : ولولا عهد رسول الله ﷺ إلى ألا أحدث شيئاً حتى تأتيني لقتلته بسهمي ، فرجع حذيفة إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر . فسمعت غطفان بما صنعت فانشمروا راجعين إلى بلادهم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة هو والمسلمون ووضعوا السلاح .

غزوة بني قريظة

فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ وقال : « قد وضعتم السلاح وأن الملائكة لم تضع سلاحها بعد ، إن الله يأمرك بالمشير إلى بني قريظة » ! فأذن مؤذن رسول الله ﷺ : ألا ! لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة ، وخرج رسول الله ﷺ يحمل لواءه على بن أبي طالب ، فلما بلغ الصورين قال « هل مريمكم أحد ؟ قالوا : نعم ، مريمنا دحية الكلبي على بغلة بيضاء ،

فقال رسول الله ﷺ : « ذاك جبريل » افسار رسول الله ﷺ حتى نزل على بشر لبنى قريظة في ناحية أموالهم ، وتلاحق به الناس ، وأتى رجال بعد عشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ : « لا يصلين أحد العصر إلا في بنى قريظة » ، فحاصروهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وقد كان حبي بن أخطب قد دخل مع بنى قريظة في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد ، فلما تيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ إن ابعت إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف لنستشيره ، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم ، فقالوا : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم - وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح فقالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « انزلوا على حكمه » .

ثم إن ثعلبة بن سعية وأسد بن سعية وأسد بن عبيد أسلموا فمنعوا ديارهم وأموالهم . فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فقال الأوس : يا رسول الله ! إنهم مواليونا دون الخزرج فقال رسول الله ﷺ : ألا ترضون أن يحكم فيكم رجل منكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال رسول الله ﷺ : « فذاك إلى سعد بن معاذ » ، وكان قال رسول الله ﷺ لقومه حين أصابه السهم : « اجعلوه في خيمة قريب منى حتى أعوده » ، فلما حكمه رسول الله ﷺ في بنى قريظة أتاه فاحتملوه على حمار ثم أقبلوا به إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو ! إن رسول الله ﷺ إنما ولاك مواليك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، فلما جاء سعد قال لهم رسول الله ﷺ : « قوموا إلى سيدكم » ، فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو ! إن رسول الله ﷺ قد ولاك الحكم ، وقال سعد : عليكم عهد الله وميثاقه ، إن الحكم فيكم ما حكمت ، قالوا : نعم ، قال : وعلى من كان ههنا في هذه الناحية التي فيها رسول الله ﷺ - وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له ،

فقال رسول الله ﷺ : « نعم » ، فقال سعد : فإنني أحكم فيهم (بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء ... قال رسول الله ﷺ لسعد : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » ^(١) ، فحبسهم رسول الله ﷺ في دار ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة . فلما قدمها خرج إلى سوق المدينة فحفر حفراً ثم بعث إليهم وأمر بضرب أعناقهم وهم ما بين ستمائة إلى تسعمائة ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى فرغ منهم ، فيهم حيي بن أخطب وكعب ابن أسد .

ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، فكان مع المسلمين ستة وثلاثون فرساً ، فأعطى الفارس ثلاثة أسهم : للفارس سهمان ولصاحبه سهم ، وللراجل الذي ليس له فرس سهم ، وأخرج منها ﷺ الخمس ، وقد قيل : إنه اصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة .

ثم مات سعد بن معاذ ، فأمر رسول الله ﷺ بغسله ، فغسله أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش ، ثم وضع في أكفانه على سريره ، فقال رسول الله ﷺ : « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » ! وكان رسول الله ﷺ أمام جنازة سعد حتى صلى عليه ، ونزل في حفرة أربعة نفر : الحارث بن أوس وأسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش وأبو نائلة مالك بن سلامة .

ثم بنى رسول الله ﷺ بزينب ابنة جحش ، فلما أصبح دعا القوم ، فأصابوا من الطعام ثم خرجوا ونفر منهم عند النبي ﷺ فأطالوا القعود ، وقام رسول الله ﷺ فخرج حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم رجع ونزلت آية الحجاب ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ ^(٢) .

(١) أى سموات ، جمع رقيع .

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٣ .

ثم كانت سرية محمد الله بن أنيس

إلى خالد بن سفيان بن خالد بن ملهم الهذلي ثم اللحياني بعرة فصادفه بطن عرة ومعه أحابيش ، فقتله وحمل رأسه إلى النبي ﷺ . ثم ركب رسول الله ﷺ في ذي الحجة إلى الغابة ، فسقط عن فرسه فجحش شقه الأيمن ، فخرج فصلى بهم جالساً فقال : « إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا ، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا سجد فاسجدوا ، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعين »^(١) . وفي ذي الحجة دفت دافة من عامر بن صعصعة فقال رسول الله ﷺ : « لا يبقى عندهم من ضحاياكم بعد ثلاثة شيء ، أراد به ﷺ أن يوسع ذو السعة عمن لا سعة عنده ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ : « كلوا وادخروا بعد ثلاث »^(٢) .

السنة السابعة من الهجرة

أخبرنا أبو عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر بحران ثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أنا عبد الله بن عمر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة : أن ثمامة ابن أثال الحنفي أسر فكان النبي ﷺ يعود يقره يقول : « ما عندك يا ثمامة ؟ فيقول : إن تقتل تقتل لا تمن ، وإن تمن تمن على شاكر ، وإن ترد المال تعط ، قال : فكان أصحاب النبي ﷺ يحبون الفداء ويقولون : ما نصنع بقتل هذا ؟ فمر به النبي ﷺ فأسلم ، فأمره أن يغتسل فاغتسل وصلى ركعتين ، فقال النبي ﷺ : « حسن إسلام صاحبكم » .

قال : في أول هذه السنة بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة إلى القرطاء

(١) راجع الموطأ للإمام مالك ص ٧١ ، أخرجه عن أنس بن مالك باختلاف يسير .

(٢) راجع السنن الكبرى ٥ / ٢٤٠ ، ومسند الإمام أحمد وفيه « عن عائشة قالت : دفت دافة من أهل البادية حضرة الأضحى ، فقال النبي ﷺ : كلوا وادخروا ثلاث ، فلما كان بعد ذلك قالوا : يا رسول الله ! كان الناس ينتفعون من أضاحيهم يحملون منها الودك ، ويتخذون منها الأسقية ، قال : وما ذاك ؟ قالوا : الذي نهيت عنه من إمساك لحوم الأضاحي ، قال : إنما نهيت عنه للدافة التي دافت (كذا) ، فكلوا وتصدقوا أو ادخروا » .

فأخذ ثمانية بن أثال الحنفى فأمر به ، فربط بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبي ﷺ فقال : « ما عندك يا ثمامة » ؟ فقال : عندي يا محمد خير ، إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكرك ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد ، ثم قال : « ما عندك يا ثمامة » ؟ قال له مثل ذلك ، فتركه النبي ﷺ حتى كان بعد الغد فقال له : « ما عندك يا ثمامة » ؟ فقال : عندي ما قلت لك ، فقال رسول الله ﷺ : « أظنقوا ثمامة » ، فأطلق فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، يا محمد ! ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ ، والله ! ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فقد أصبح دينك أحب الدين كله إليّ ، والله ! ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فقد أصبح اليوم بلدك أحب البلاد إليّ ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فما ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ، قال : لا ولكتي أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ^(١) .

ثم بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن الأسدي سرية الغمر فنذر به القوم فهربوا ، فنزل على مياههم وبعث الطلائع ، فأصابوا عيناً فدلهم على ماشيتهم ، فساقوا مائتي بعير إلى المدينة .

ثم كسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ صلاة الكسوف وقال : « إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتموهما فصلوا » .

وبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة وهي بلاد بني

(١) وفي الطبري « قال الواقدي : في هذه السنة في شهر ربيع الآخر منها بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً الغمر فيهم ثابت بن أقرم وشجاع بن وهب فأخذ السير ونذر القوم به فهربوا فنزل على مياههم وبعث الطلائع فأصابوا عيناً فدلهم على بعض ماشيتهم فوجدوا مائتي بعير فحذروها إلى المدينة » ، وراجع المغازي ٢ / ٥٥٠ .

ثعلبة وأنمار - فصلوا المغرب ، وخرج أبو عبيدة في أربعين رجلاً فساروا ليلتهم حتى أتوا ذا القصة عند الصبح ، فأغاروا عليهم وهربوا في الجبال ثم قدموا المدينة ، فخمس رسول الله ﷺ الغنيمة وقسم ما بقي على أصحابه .

ثم بعث^(١) رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة إلى ذى القصة في عشرة أنفس ، فخرج مائة من المشركين فكمنوا ، فلما نام المسلمون خرجوا عليهم فقتلوهم ، وانفلت محمد بن مسلمة جريحاً وحده .

ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى بنى سليم بالجموم^(٢) فأصاب نعماً وشاء وأسراء ، ثم سبق رسول الله ﷺ بين الخيل فكان أول سباق بالمدينة ، ثم سبق في الخف فكانت العضباء لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسبقه ، فشق ذلك على المسلمين ، فقال رسول الله ﷺ : « حق على الله^(٣) أن لا يرتفع شيء في الدنيا إلا وضعه » .

ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة سرية إلى الطرف إلى بنى ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ، فتحسس الأعراب أن رسول الله ﷺ سار إليهم فانهزموا ، وأصاب المسلمون عشرين بعيراً من نعمهم ورجعوا إلى المدينة^(٤) .

ثم بعث رسول الله ﷺ أيضاً زيد بن حارثة إلى العيص^(٥) ، فأسر جماعة منهم أبو العاص بن الربيع ، فاستجار بزينب بنت النبي ﷺ ، فأجارته .

(١) وفي الطبري ٣ / ٨٢ وفيها بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة في عشرة نفر في ربيع الأول منها فكمن القوم لهم حتى نام هو وأصحابه فما شعروا إلا بالقوم فقتل أصحاب محمد بن مسلمة وأفلت محمد جريحاً (قال الواقدي) وفيها أسرى رسول الله ﷺ سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة في شهر ربيع الآخر في أربعين رجلاً فساروا ليلتهم مشاة ووافوا ذا القصة مع عمارة الصبح فأغاروا عليهم .. (٢) أرض لبنى سليم .

(٣) من صحيح البخاري ١ / ٤٠٢ .

(٤) وفي الطبري : فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على محطة من محال بنى سليم ، فأصابوا بها نعماً وأشياء وأسراء ، وكان في أولئك الأسراء زوج حليمة ، فلما قفل بما أصاب وهب رسول الله ﷺ للمزينة زوجها ونفسها .

(٥) وفي الطبري ٣ / ٨٣ وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص في جمادى الأولى منها ، وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ، فاستجار بزينب بنت النبي ﷺ فأجارته .

ثم بعث رسول الله ﷺ زيدا أيضاً إلى حِمْيَ ، فرجع منها بنعم وسبي .
 ثم تزوج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح وهي أخت
 عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، فولد له منها عاصم بن عمر فطلقها عمر ،
 فتزوج بها بعده زيد بن حارثة ، فولد له عبد الرحمن بن زيد ، فهو أخو عاصم
 ابن عمر لأمه .

ثم كانت سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى فدك في مائة رجل
 إلى حى من بنى سعد بن بكر .

ثم كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فعممه النبي ﷺ
 بيده وقال : « إن أطاعوا الله فتزوج ابنة ملكهم ، فأسلم القوم ، فتزوج عبد
 الرحمن تماضر بنت الأصبغ ، وكان أبوها ملكهم »

ثم بعث رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف في ثلاثة أنفس لينظر إلى
 خير وما عليها أهلها ، فمضى وجاءوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر .

ثم أجذب الناس جديداً في أول شهر رمضان ، فخرج رسول الله ﷺ
 يستسقى بهم ، فصلى ركعتين وجهراً بالقراءة ، ثم استقبل القبلة وحول رداءه .
 ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة سرية إلى أم قرفة فسبي سلمة^(١) بن
 الأكوع وزيد بن حارثة بنت مالك بن حذيفة وجدها في بيت من بيوتهم ،
 وأمها أم قوفة وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر .

ثم خرج^(٢) رسول الله ﷺ إلى بنى لحيان حتى بلغ أمج وبين أمج وعسفان
 بلد لهم يقال له ساية فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال ، فلما رأى

(١) وفي الطبري « وأما الرواية الأخرى عن سلمة بن الأكوع في هذه السرية أن أميرها كان أبا بكر بن
 أبي قحافة » .

(٢) وفي الطبري « قال أبو جعفر : وخرج رسول الله ﷺ في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح
 بنى قريظة » .

رسول الله ﷺ أنه قد أخطأهم خرج في مائتي راكب من المسلمين وهو صائم وهم صوام حتى بلغ عسفان وبلغ كراع الغميم فأفطر وأفطر المسلمون معه ثم رجع ولم ير كيداً ، وجعل يقول في رجوعه « آيئون تائبون عابدون ولربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعشاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والخور بعد الكور ، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد »^(١)

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وأقام أياماً أغار عيينة بن حصن بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على لقاح رسول الله ﷺ بالغابة وفيها رجل من بني غفار وامرأة ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة واللقاح ، فخرج رسول الله ﷺ في أثرهم حتى بلغ ذا قرد ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وتلاحق به الناس ، وأقام رسول الله ﷺ بذي قرد يوماً وليلة وصلى بهم صلاة الخوف . ثم رجع رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ، وانقلب عيينة بمن معه ، وكانت سرح المسلمين بالمدينة بذي قرد ، فقدم ثمان نفر من عرينة فأسلموا ، فبعثهم النبي ﷺ إلى السرح فشربوها من ألبانها وأبوالها ، فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الإبل ، فبعث النبي ﷺ في طلبهم كرز بن جابر الفهري سرية في شوال في عشرين راكباً معهم قائفاً ، فأحدقوا بهم حتى أخذوهم ، وجاءوا بهم النبي ﷺ وكانوا قد ارتدوا ، وقطعوا أيدي الرعاة وأرجلهم ، وسلموا أعينهم كما أمر به النبي ﷺ ، وطرحوا في الحرة يستسقون فلا يسقون .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة بني المصطلق ، وذلك أنه بلغه أن بني المصطلق تجمعوا وقائداهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم ، وأموالهم لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في سهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة

(١) وهذا الدعاء يسمى دعاء السفر يقوله المسلم عند رجوعه من سفره .

حلوة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها فقالت : يا رسول الله ! أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف، عليك ، فوقعت في سهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى ، قال : وهل لك في خيب من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى كتابتك وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ! قال : فعلت ، وخرج الخير إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أصهار رسول الله ! فأرسلوا ما بأيديهم ، فلقد أعنق وأطلق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما كانت امرأة أعظم بركة على قومها منها .

ثم أقبل رسول الله ﷺ يريد المدينة ، ، كانت عائشة تحمل في هودج ، فنزلوا منزلاً ، فمشت عائشة لحاجتها حتى جاوزت الجيش ، فلما قضت شأنها أقبلت إلى رحلها فإذا عقد لها من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت تلتمس عقدها وحبسها ابتغاؤه ، فأذن بالرحيل وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونهم فاحتملوا هودجها على بغيرها الذى كانت تركب عليه وهم يحسبون أنها فيه ، وكانت النساء إذ ذاك خفافاً وساروا ، فرجعت عائشة بعد ما رحل الجيش فجاء منازلهم فإذا ليس بها داع ولا مجيب ، فأقامت منزلها التى كانت فيه وعلمت أنهم سيفقدونها فبينما هى جالسة إذ غلبت عينها عليها ، وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فأدلى فأصبح عند منزلها فرأى سواد إنسان نائم ، فعرفها حين رآها وكان رآها قبل أن ينزل الحجاب ، فاستيقظت عائشة باسترجاعه حين عرفها ، فخمرت عائشة وجهها بجلبابها ، وما كلمها حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها ، فقاست إليه فأركبها وانطلق يقود الراحلة حتى أتى الجيش فوجدهم موغرين ^(١) في نحر ^(٢) الظهيرة ، فهلك فيها من هلك ،

(١) أوغر القوم : دخلوا في وقت الوغرة ، والوغرة : شدة توقد الحر ، يقال : لقيته وفي وغرة الهاجرة ، أى حين توسط الشمس السماء .

(٢) نحر النهار أو الشهر : أوله .

وكان الذى كبره ^(١) عبد الله بن أبى بن سلول ، فلما قدموا المدينة لبثت عائشة شهراً والناس يخوضون فى قول أصحاب الإفك وهى لا تشعر بشيء من ذلك ، فكان رسول الله ﷺ يأتيها فيسلم عليها ويقول : « كيف تيكمن » ؟ وينصرف ، وكان تراها ذلك من رسول الله ﷺ فخرجت ^(٢) ذات ليلة مع أم مسطح قبل المناصع وكانت متبرزهم قبل أن تتخذ الكنف ، فلما فرغت من شأنهما عثرت أم مسطح فى مرطها فقالت : تعس مسطح ! فقالت لها عائشة : بمس ما تقولين ! تسبين رجلاً من أهل بدر ! فقالت : أى هتاه ! ألم تسمعى ما قال ؟ قالت عائشة : لا ، فأخبرتها بقول أهل الإفك فازدادت مرضاً فلما دخل عليها رسول الله ﷺ قالت : ائذن لى أن آتى إلى أبوى ، فأذن لها رسول الله ﷺ ، فقالت : يا أبتاه ! ماذا يتحدث الناس ؟ قال : يا بنتى ! هونى عليك ، فوالله لقل ما كانت امرأة قط عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها ، فبكت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم ، فلما أصبح دعا رسول الله ﷺ علياً وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله ، فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله وقال : لا نعلم إلا خيراً ، وأما على فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك ، فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال : « أى بريرة ! هل رأيت من أهلى شيئاً يريبك » ؟ قالت بريرة : والذى بعثك بالحق ! ما رأيت عليها شيئاً قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين فتأتى الداجن فتأكله وفقام رسول الله ﷺ من يومه واستعذر من عبد الله بن أبى بن سلول وهو على المنبر فقال ^(٣) : « يا معشر المسلمين ! من يعذرني

(١) أى كبر الإفك على عائشة رضى الله عنها ونشره بين الناس .

(٢) وفى الطبرى « قالت : وكنا قوماً عرباً لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم نعاها ، ونكرها ، إنما كنا نخرج فى فسخ المدينة وإنما كان النساء تخرجن كل ليلة فى حوائجهن فخرجت ليلة .. الحديث » .

(٣) وفى الطبرى « وقد قام رسول الله ﷺ فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ثم قال : « أيها الناس ! ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهن غير الحق ! والله ما علمت منهن إلا خيراً » ..

من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى ؟ و الله ! ما علمت على أهلى إلا خيراً ! و لقد ذكروا رجلاً ما علمت إلا خيراً ، و ما يدخل على أهلى إلا معى » فقال أسيد بن حضير : يا رسول الله ! أنا أعذر منه ! فإن كان من الأوس ضربت عنقه ، و إن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ^(١) ! و كاد أن يكون بين الأوس و الخزرج قتال بهذه الكلمة ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكنوا ، و بكت عائشة يومها ذلك ، فبينما أبواها جالسين عندها و هى تبكى إذ استأذنت عليها امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكى معها ، ثم دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ثم تشهد حين جلس ثم قال : « أما بعد ! يا عائشة ! فإنه بلغنى عنك كذا و كذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، و إن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله و توبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه » ، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحسست منها بقطرة و قالت لأبيها : أجب رسول الله ﷺ فيما قال أبو بكر : والله ! ما أدرى ما أقول ! فقالت لأمها : أجيبنى رسول الله ﷺ فيما قال ، فقالت : و الله ! ما أدرى ما أقول ! فقالت عائشة ! إني و الله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى نفوسكم و صدقتم ! فلو قلت لكم : إني بريئة ، لا تصدقونى بذلك ، و إن اعترفت لكم بأمر و الله يعلم أنى منه بريئة لا تصدقونى ، و الله ! ما أجد لى و لكم مثلاً إلا ما قال أبو يوسف ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١٨) ^(٢) ثم تحولت عائشة و اضطجعت على فراشها فماراح رسول الله ﷺ و لا خرج أحد من البيت حتى أنزل عليه الوحى ، فأخذه ما كان من يأخذه من الرخصاء حتى أنه يتحدر منه العرق مثل الجمان ^(٣) و هو فى يوم شات من ثقل القول الذى أنزل عليه ، فسرى عن

(١) وزيد بعدها فى الطبرى ١٥٢٢/٤ فقام سعد بن عباد و كان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال : كذبت لعمر الله ! لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ! ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . قال أسيد : كذبت لعمر الله ! ولكنك منافق تجادل عن المنافقين .

(٢) سورة يوسف آية ١٨ .

(٣) أى مثل لون الفضة فى البياض .

رسول الله ﷺ وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لها : « يا عائشة ! أما والله ! فقد برأك » ! فقالت لها أمها : قومي إليه ، فقالت : لا والله ! ما أقوم ، وإني لا أحمد إلا الله^(١) ، وأنزل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ ﴾^(٢) إلى تمام العشر الآيات ، فلما أنزل الله هذه الآيات قال أبو بكر : وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقربائه منه وفقره : والله ! لا أنفق علي مسطح شيئاً بعد الذي قال لعائشة ! فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسُّعْيَةُ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَى ﴾^(٣) الآية ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله ! والله إني لأحب أن يغفر الله لي ! فرجع إلى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه وقال : لا أنتزعها منه أبداً ؛ وقد قيل : إن النبي ﷺ حد أصحاب الإفك الذين رموا عائشة فيما رواه .

ثم كانت غزوة الحديبية (٤)

خرج^(٥) رسول الله ﷺ ومعه ألف وثمانمائة رجل وسبعون بدنة ، فأحرم رسول الله ﷺ ومن معه من ذى الحليفة ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وساق أبو بكر يدناً وطلحة يدناً وسعد بن عباد يدناً ، فلما بلغ رسول الله ﷺ غدير عسفان ذات الأشطاط لقبه بسر بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله ! هذه قريش سمعت بك وخرجت قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم أبداً وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدمتموها إلى كراع الغميم ، فقال رسول الله ﷺ : « يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ،

(١) من كلام أم المؤمنين يظهر مدى اخلاصها في التوحيد والعبودية لله تعالى فيجب ألا نحمد إلا الله على نعمائه .

يقول د / البوطي في فقه السيرة « فهي انما اتسقت بوحى الحالة التي كوتتها الحكمة الإلهية تبينها لعقيدة المؤمنين وقطعا لأفك المنافقين واظهار لمعنى التوحيد والعبودية الشاملة لله تعالى ، فقه السيرة صـ ٢٢٤

(٣) سورة النور آية ٢٢ .

(٢) سورة النور آية ١١ .

(٤) وفي الطبري « قال أبو جعفر : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج في ذى القعدة من سنة ٦ معتمراً » .

(٥) وفي الطبري « عن ابن إسحاق قال : خرج النبي ﷺ معتمراً في ذى القعدة لا يريد حرباً وقد استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب أن يخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذي صنعوا به أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار ... » .

ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ! فإن أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وآووني ، والله لا أزال أجاهد على الذي بعثنى الله عليه حتى يظهرني الله » ! ثم أمر الناس فسلخوا ذات اليمين بين ظهري الحمض على طريق يخرج على ثنية المزار مهبط الحديدية ، فلما بلغ ﷺ ثنية المزار بركت ناقته ، فقالوا : خلأت القصواء ! فقال : « ما خلأت القصواء وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، والله ! لا يدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ! ثم قال للناس : « انزلوا » ، فقالوا : يا رسول الله ! ما بالوادي ما ينزل عليه الناس ، فأخرج رسول الله ﷺ سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل في قلب من تلك القلب فغرز في جوفه ، فجاس بالروء حتى ضرب الناس ، فلما اطمأن رسول الله ﷺ أنه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فقال رسول الله ﷺ كقوله لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ! إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً البيت ، فقالوا : وإن جاء لذلك فلا والله لا يدخلها علينا عنوة ولا تتحدث بذلك العرب ! ثم بعثوا مكرز بن حفص بن الأحنف أحد بني عامر بن لؤي فلما رآه النبي ﷺ قال : « هذا رجل غادر » ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه رسول الله ﷺ لنحو ما كلم به أصحابه ، فرجع إلى قريش وأخبرهم بذلك ، فبعثوا إليه الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الأحابيش^(١) ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه ، فلما رأى الهدى يسير عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس رجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ! قد رأيت ما لا يحل ضد الهدى في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، فقالوا : اجلس ،

(١) الأحابيش : أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً . والتحصن : التجمع ، وقيل : حالفوا قريشاً تحت جبل بأسفل مكة يسمى حبشاً فسموا به

لا علم لك ، وبعث رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة ، وحملة على جمل يقال له الثعلب ، فلما دخل مكة أرادت قريش قتله فمنعه الأحابيش ، حتى أتى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليعتصم به ، فقال : يا رسول الله ! إني أخاف قريشاً على نفسي وليس لي بها من بني عدى بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان ، فدعاه رسول الله ﷺ وبعثه إلى قريش ليخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته ، فخرج عثمان بن عفان حتى أتى مكة فلقى أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحملة بين يديه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، وانطلق حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ، فقال عثمان : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ، ثم رجع عثمان .

وبعثت قريش سهيل بن عمرو وأحد بنى عامر بن لؤى وقالوا : أئت محمداً وصالحه ، ولا يكون في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً فأتى سهيل بن عمرو فلما رآه النبي ﷺ قال : « قد أراد القوم الصلح حتى بعثوا هذا الرجل » ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فقال : يا رسول الله ! أأست برسول الله ؟ أولسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : فلم نعطي الدنيا ؟ قال « أنا عبد الله ورسول » ، ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبي طالب^(١) فقال : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب « باسمك اللهم » وقال رسول الله ﷺ : « اكتب باسمك اللهم ! هذا

(١) وفي الطبري « عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ثم دعاني رسول الله ﷺ فقال : « اكتب

بسم الله الرحمن الرحيم » .

ما صالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن أكتب « محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو » ، فكتب محمد بن عبد الله « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله » وسهيل ابن عمرو وضع الحرب عشر سنين ، يأمن بهذا الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى رسول الله ﷺ من أصحابهم بغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً مع رسول الله ﷺ لم يردوه ، وأنه لا أسلال ولا أغلال^(١) فلما فرغ من الكتاب وكان رسول الله ﷺ يصلى فى الحرم وهو مضطرب فى الحل - قام رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس ! انحروا واحلقوا » ، فما قام رجل من المسلمين ، فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة فقال : « يا أم سلمة ! ما شأن الناس ؟ » قالت له : يا رسول الله ! قد أحل بهم ما رأيت كأنهم كرهوا الصلح ، فاعمد إلى هديك حيث كان وانحر واحلق فإنك لو فعلت

(١) زيد فى الطبرى « وأنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتوالت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد رسول الله وعهده ، وتوالت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، وأنت ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمنا بها ثلاثاً ، وأنت معك سلاح الراكب السيوف فى القرب ، لا تدخلها بغير هذا » فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يوسف فى الحديد قد انقلت إلى رسول الله ﷺ ، قال : وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يخرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ فى نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بلبه فقال : يا محمد ! قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، قال : فجعل ينتره بلبه ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ! أريد إلى المشركين ! يفتنوني فى ديني ، فزاد الناس ذلك شراً إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا جندل ! احتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهداً ، وإنا لا نغدر بهم » ، قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب ، قال : ويدنى قائم السيف منه ، قال يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، قال : فضن الرجل بأبيه . فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين » .

ذلك فعلوا ، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحداً حتى أتى هديه فنحرتها ثم جلس فحلق ، فقام الناس ينحرون ويحلقون ، فحلق رجال منهم وقصر آخرون ، فقال رسول الله ﷺ « يرحم الله المحلقين » ! قالوا : يا رسول الله ! والمقصرين ؟ قال : « والمقصرين » ! قالوا : ما بال المحلقين يا رسول الله ذكرت لهم الترحم ؟ قال « لأنهم لم يشكوا أمر رسول الله ﷺ البيعة على الناس تحت الشجرة هناك أن لا يفروا » ، فبايعه الناس كلهم غير الجعد بن قيس ، اختبأ تحت إبط بعيره ، فذلك قول الله عز وجل ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (١) وقال ﷺ : « لن يدخل النار أحد شهد بدرأ والحديبية » .

ثم انصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت عليه سورة الفتح ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا ﴾ - إلى آخر السورة (٢) ، فما فتح في الإسلام فتح أعظم من نزول هذه السورة .

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة وكانت الهدنة وضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً واستفاضوا ، ولا يكلم أحد بالإسلام يعقل عنه إلا دخل فيه ، حتى دخل فيه في تلك السنة من المسلمين قريباً مما كان قبل ذلك . وفي هذه العمرة أصاب كعب بن عجرة أذى في رأسه ، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق ويذبح شاة ويصوم ثلاثة أيام ، أو يطعم ستة مساكين ، لكل مسكين مدين . وأهدى الصعب بن جثامة إلى رسول الله ﷺ رجل حمار وحشش فردده وقال « لم نرده ولكننا حرم » .

وفي هذه العمرة صلى بهم رسول الله ﷺ الصبح في إثر سماء في الحديبية ، فلما انصرف أقبل عليهم بوجهه فقال : أتدرون ما قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « يقول : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما

(١) سورة الفتح آية ١٨ .

(٢) سورة الفتح آية ١ - ٢٩ .

من قال : مطرنا بنوء كذا و كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب » .

و فى هذه العمرة أصاب الناس عطش شديد فحبسوا ، فوضع رسول الله ﷺ يده فى الركوة ، فثار الماء مثل العيون ، فتوضئوا منها ورووا .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة ذي قرد^(١)

خرج سلمة بن الأكوع و معه غلام له يقال له رباح مع الإبل ، فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ و قتل راعيها و جعل ينظر فى أناس معه فى خيل ، فقال سلمة لرباح : اركب هذا الفرس و اخبر رسول الله ﷺ أنه قد أغير على سرحه ، ثم قام سلمة على تل و جعل قبل المدينة ثم نادى ثلاث مرات - و كان صيتا : ثم أتبع القوم و معه سيفه و نبله ، فجعل يرميهم^(٢) و ذلك حين كثر الشجر ، فإذا كر عليه الفارس جلس له فى أصل شجرة ثم رماه ، و لا يظفر بفارس إلا عقر فرسه ، فجعل يرمى و يقول :

أنا ابن الأكوع و اليوم يوم الرضع

و إذا كان كثر الشجر رشقهم بالنبل ، فإذا تضايقت الشجرة علا الجبل ورماهم بالحجارة ، فما زال ذلك دأبه و دأبهم و يرتجز حتى ما بقى من ظهر

(١) وفى الطبرى ٣ / ٦٠ : قد حدث فى غزوة ذى قرد بعض الحديث أنه أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى غداً يريد الغاية متوشحاً قوسه و نبله و معه غلام لطلحة بن عبيد الله ، و أما الرواية عن سلمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول الله ﷺ بعد مقدمة المدينة منصرفاً من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحاً فينبى أن يكون ما روى عن سلمة بن الأكوع كانت إما فى ذى الحجة من سنة ست من الهجرة و إما فى أول سنة سبع وذلك أن انصراف رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة عام الحديبية كان فى ذى الحجة من سنة ست من الهجرة و بين الوقت الذى وقته ابن إسحاق لغزوة ذى قرد و الوقت الذى روى عن سلمة بن الأكوع قريب من سنة أشهر .

(٢) وفى الطبرى ٣ / ٦٠ : قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم ، فإذا رجع إلى فارس منهم أبيت شجرة و قعدت فى أصلها فرمينه فعقرت به ، وإذا تضايقت الجبل فدخلوا فى متضايقت علوت الجبل ثم أرميهم بالحجارة ، فوالله ما زلت كذلك حتى ما خلف الله بغيراً من ظهر رسول الله ﷺ إلا جعلته وراء ظهرى و خلوا بينى وبينه ، و حتى القوا أكثر من ثلاثين رمحاً و ثلاثين بردة يستخفون بها ، لا يلقون شيئاً إلا جعلت عليه آراً حتى يعرفه رسول الله ﷺ و أصحابه .

النبي ﷺ إلا استنقذه من أيديهم و خلفه وراء ظهره ، ثم لم يزل يرميهم حتى طرحوا أكثر من ثلاثين بردة يستخفون بها ، فكلما ألقوا شيئاً جمع عليه سلمة ، فلما اشتد الضحى أتاهم عيينة بن حصن بن بدر الفزاري ممدداً لهم و هم في ثنية ضيقة في علوة الجبل فقال لهم : ما هذا الذي أرى ؟ قالوا : لقد لقينا من هذا - يعنون سلمة ، ما فارقنا منذ سحر حتى الآن ، وأخذ كل شيء من أيدينا و خلفه وراءه ، فقال عيينة : لولا أن هذا يرى وراءه طلباً لقد ترككم ! فليقم إليه نفر منكم ، فقام إليه نفر منهم أربعة و صعدوا في الجبل فقال لهم سلمة : أتعرفوني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : ابن الأكوع ! والذي كرم وجهه محمد ﷺ ! لا يطلبني رجل منكم فيدركني و لا أطلبه فيفوتني ، فبينما سلمة يخاطبهم إذ نظر فرأى أصحاب رسول الله ﷺ لحقوا يتخللون الشجر و إذا أولهم الأخرم الأسدي و على أثره أبو قتادة و على أثره المقداد الكندي ، فولى المشركون مدبرين ، فنزل سلمة من الجبل و قال : يا أحرم ! احذر القوم ، فإنني لا آمن أن يقطعوك فاتمد حتى يلحق رسول الله ﷺ و أصحابه ، قال : يا سلمة ! إن كنت تؤمن بالله و اليوم الآخر و تعلم أن الجنة حق و النار حق فلا تحل بيني و بين الشهادة ، ثم أرخى عنان فرسه و لحق بعبد الرحمن بن عيينة و يعطف عليه عبد الرحمن و اختلف بينهما طعنتان فقتله عبد الرحمن و تحوّل عبد الرحمن على فرس الأخرم ، فلحق أبو قتادة بعبد الرحمن و اختلف بينهما طعنتان فعقر بأبي قتادة و قتله أبو قتادة ، و تحوّل أبو قتادة « على فرس الأخرم ، ثم خرج سلمة يعدو في أثر القوم حتى ما يرى من غبار أصحاب النبي ﷺ شيئاً فلم يقرب غيبوبة الشمس ، و قرب المشركون من شعب فيه ماء يقال له : ذو قرد ، فأرادوا أن يشربوا منه فالتفتوا فأبصروا سلمة وراءهم فعطفوا عن الماء و شدوا في الثنية و غربت الشمس ، فلحق سلمة رجل منهم فرماه بسهم ، و قال : خذها : و أنا ابن الأكوع و اليوم يوم الرضع

قال : يا ثكل أماء ! أكوع بكرة ؟ قلت : نعم أى عدو نفسه ! و كان

الذى رماه بكرة وأتبعه سهماً آخر فأثبت فيه سهمين وخلفوا فرسين فجاء بهما يسوقهما ، و رسول الله ﷺ على الماء الذى خلفهم عند ذى قرد وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفه بسهمه وهو يشوى لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها ، فقال سلمة : يا رسول الله ! خلنى فأتخب من أصحابك مائة رجل ، وأتبع الكفار حتى لا يبقى منهم مخبر إلا قتلته ، قال : « أكنت فاعلاً ذلك ؟ » قال : نعم والذى أكرم ربك ! فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، فجاء رجل من غطفان فقال : مر المشركون على فلان الغطفانى فنحر لهم جزوراً ، ثم خرجوا هرباً ، فلما أصبح رسول الله ﷺ انصرف إلى المدينة وجعل يقول : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة ! وخير رجالتنا سلمة ! فأعطى سلمة ذلك اليوم سهم الراجل والفارس جميعاً .

ثم إن رسول الله ﷺ أردفه وراءه على العضباء فلما كان بينهم وبين المدينة قريب وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق فجعل ينادى : هل من مسابق ! ألا رجل يسابق إلى المدينة ! فقلت : يا رسول الله بأبى أنت وأمى خلنى فلأسابق الرجل ! قال : « إن شئت » : قلت ، اذهب إليك . فطفر عن راحلته وثبت رجلى فطفرت عن الناقة ، ثم إنى ربطت عليه شرفاً أو شرفين يعنى استبقيت نفسى ثم عدوت حتى لحقته فأصكه بين كتفيه بيدي وقلت : سبقت والله ! حتى قدمنا المدينة . ثم توفيت أم رومان امرأة أبى بكر الصديق أم عبد الرحمن وعائشة فى ذى الحجة .

السنة السابعة من الهجرة

أخبرنا محمد بن حسن بن قتيبة نا ابن أبى السرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى^(١) عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس حدثنى أبو سفيان بن حرب من فيه إلى فى قال : انطلقت فى المدة التى كانت بيننا وبين رسول الله ﷺ ، فبينما أنا بالشام إذ جىء بكتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل ، جاء به دحية الكلبي فدفعه إلى عظيم بصرى [فدفعه عظيم بصرى] إلى هرقل ، [قال] هل هنا أحد

(١) الزهرى : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشى أبو بكر من أحفظ أهل زمانه للسنن واحسنهم لها سياقاً كان فقيهاً فاضلاً توفى سنة ١٢٤ هـ انظر المشاهير / ٦٦ .

من قوم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ؟ قالوا : نعم ، فدعيت فى نفر من قريش ، فدخلنا على هرقل ، فأجلسنا بين يديه فأجلسوا أصحابي خلفي ، ثم دعا بترجمانه فقال : قل لهم : إني سائل هذا الرجل عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ، فإن كذبنى فكذبوه ، قال أبو سفيان : والله ! لو لا مخافة أن يؤثروا عني كذباً لكذبتهم ؛ ثم قال لترجمانه : سله كيف حسبه^(١) فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو حسب ، قال فهل كان من آبائه من ملك ؟ فقلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ، قال : من يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ قال : قلت : بل ضعفاؤهم ، قال : فهل يزيدون أم ينقصون ؟ قال : قلت : بل يزيدون ، قال : فهل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطه له ؟ قال : قلت : لا ، قال : فهل قاتلتموه ؟ قال : قلت : نعم ، قال : كيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : يكون الحرب بيننا وبينه سجالاً ، يصيب منا ونصيب منه ؛ قال : فهل يغدر ؟ قال : قلت : لا ، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو صانع فيها ؛ قال : والله فما أمكنتني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه ؛ قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قال : قلت : لا . ثم قال لترجمانه : قل له : إني سألتك عن حسبه فيكم قلت : إنه ذو حسب وكذلك الرسل تبعث فى أحساب قومها ؛ وسألتك : هل كان فى آبائه ملك ؟ فزعمت أن لا ، فقلت إن كان فى آبائه ملك قلت : رجل يطلب ملك آبائه ؛ وسألتك عن أتباعه ضعفاء الناس أم أشرافهم قلت : بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل ؛ وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فزعمت أن لا ، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس فيذهب فيكذب على الله ؛ وسألتك : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطه له ؟ فزعمت أن لا ، فكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب ؛ وسألتك : هل يزيدون أم ينقصون ؟ فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك

(١) فى صحيح البخارى ١ / ٤ نسبه .

أمر الإيمان حتى يتم ؛ وسألتك : هل قاتلتموه ؟ فزعمت أنكم قاتلتموه ، فزعمت أن الحرب بينكم وبينه سجال تنالون منه وينال منكم ، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة ؛ وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ؛ وسألتك : هل قال هذا القول قبله أحد ؟ فزعمت أن لا ، فقلت : لو كان قال هذا القول أحد قبله لقلت رجل يأتى بقول قيل قبله ، ثم سألتك بما يأمرهم ؟ قلت : بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف ، قال : إن يكن ما تقول فيه فإنه نبي . وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم ، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليلبغن ملكه ما تحت قدمي . فقال : ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله - ﷺ - إلى هرقل ملك الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ! فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين » يا أهل الكتاب تعالوا إلى قوله : يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ (٦٤) (١) . فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط وأمر بنا فأخرجنا ، فما زلت موقنا بأمر رسول الله ﷺ سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام .

قال : في أول هذه السنة كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك وبعث إليهم بالرسول يدعوهم إلى الله ، فقبل : إنهم لا يقرأون كتاباً إلا بخاتم ، فاتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة نقش فيه « محمد رسول الله » ليختم به الصحف ، فكان يلبسه تارة في يمينه وتارة في يساره .

فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى بكتاب فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ليدفعه عظيم البحرين إلى كسرى . وبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر وهو هرقل ملك الروم وأمره أن يدفع الكتاب إلى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل . وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى

(١) سورة آل عمران آية ٦٤ .

المقوقس صاحب الإسكندرية . و بعث عمرو بن أمية الضمري إلى أصحم بن
أبحر النجاشي ، و بعث شجاع بن وهب الأسدي إلى المنذر بن الحارث بن أبي
شمر الغساني صاحب دمشق . و بعث عامر بن لؤي إلى هوزة بن علي الحنفي
صاحب اليمامة .

فأما كسرى فمزق كتاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لما بلغه ذلك :
« مزق الله ملكه ، إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده » .

و أما قيصر فسأل أبا سفيان عما سأل ثم قرأ كتاب رسول الله ﷺ ثم خلا
بدحية الكلبي وقال : إني لأعلم أن صاحبكم نبي مرسل ، وأنه الذي كنا
نتنظره و نجده في كتابنا ، ولكن أخاف الروم على نفسي ولولا ذاك لاتبعته ،
ولكن اذهب إلى ضغاطر الأسقف فاذا ذكر له أمر صاحبكم وانظر ماذا يقول ،
فجاء دحية وأخبره مما جاء من رسول الله ﷺ إلى هرقل وبما يدعو إليه ، فقال
ضغاطر : صاحبك و الله نبي مرسل ! نعرفه بصفته و نجده في كتابنا باسمه ،
ثم دخل فالتقى ثياباً كانت عليه سوداء و لبس ثياباً بيضاً ثم أخذ عصاه و خرج
على الروم وهم في الكنيسة فقال للروم : إنه قد أتانا كتاب من أحمد يدعو فيه
إلى الله ، و إني أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً عبده و رسوله ، فوثبوا إليه و
ثبة رجل واحد و ضربوه حتى قتلوه ، فرجع دحية إلى هرقل و أخبره الخبر ،
قال : قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان و الله أعظم عندهم و
أجوز قولاً مني . و أما النجاشي فكان كتابه « من محمد رسول الله إلى
النجاشي الأصحم ملك الحبشة ، سلم أنت ، فأني أحمد إليك الله الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، و أشهد أن عيسى روح الله
و كلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى ، فخلقه من
روحه و نفخه كما خلق آدم بيده و نفخه ، و إني أدعوك إلى الله ، و قد بعثت
إليك ابن عمي جعفرأ و معه نفر من المسلمين ، فدع التجبر فإني أدعوك إلى
الله و قد بلغت و نصحت فاقبل نصيحتي و السلام على من اتبع الهدى » فقرأ

النجاشي الكتاب و كتب جوابه إلى رسول الله ﷺ « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ﷺ ، من النجاشي الأصحم بن أبهر ، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام ، أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فو رب السماء والأرض أن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقاً إنه كما قلت ولقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه ، وأشهد أنك رسول الله ﷺ صادقاً مصداقاً ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين ، وبعثت إليك بابني أرها بن الأصحم فإني لا أملك إلا نفسي ، وإن شئت أن آتيك يا رسول الله فعلت ، فإني أشهد أن ما تقوله حق - والسلام عليك يا رسول الله ! فخرج ابنه في ستين نفساً من الحبشة في سفينة البحر ، فلما توسطوا ولججوا^(١) أصابتهم شدة و غرقوا كلهم .

و أما المقوقس فأهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوار فيهن مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وكذلك سائر الملوك أهدى إليه الهدايا فقبلها رسول الله ﷺ ، كان يقبل الهدية ويثيب عليها .

ثم كانت غزوة خيبر

خرج رسول الله ﷺ في بقية المحرم^(٢) إلى خيبر واستعمل على المدينة سباع ابن عرفة الغفاري و قدم عيناً له ليجيئه بالخبر ، وأخرج من نسائه أم سلمة ، وخرج على الأموال بجيشه فلا يمر بحصن إلا أخذه ويقتل من فيه ويفتحها حصناً حصناً ، فأول ما أصاب منها حصن ناعم ثم حصن الصعب بن معاذ ثم حصن القموص فلما افتتح رسول الله ﷺ أتى حصنهم الوطيح والسلالم وكان رسول الله ﷺ إذا أصبح قوماً أو غزاه لم يغر عليهم حتى يصبح فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فلما أصبح رسول الله ﷺ استقبلهم عمال

(١) أي ركبوا اللجة أي معظم الماء ~~وفي نسخة جوار~~ كذا .

(٢) من سنة سبع ، كما صرح به الطبري .

خيبر بمساحيهم و مكاتلهم ، فلما رأوا النبي ﷺ والجيش قالوا : محمد و الله والخميس ! وأدبروا هرباً ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر الله أكبر ! خربت خيبر ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » ! فخرج مرحب اليهودي من الحصن يرتجز ويطلب البراز ، فقال رسول الله ﷺ : « من لهذا » ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا يا رسول الله ! فلما دنا أحدهما من صاحبه بادر مرحب بالسيف ، فاتقاه محمد بن مسلمة بدرقته ، فوقع سيفه فيها وعضت به الدركة فأمسكت ، فضربه محمد بن مسلمة فقتله ، ثم بعث رسول الله ﷺ رجلاً يقاتل فمر ورجع ولم يكن فتحاً ، ثم بعث آخر يقاتل فمر ورجع ولم يكن فتحاً ، وحمى الحرب بينهم وتفاعسوا ، فقال النبي ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ! ويحبه الله ورسوله ! يفتح الله على يديه ، ليس بفرار ، فلما أصبح دعا علياً وهو أرمد ، فبصره فبرأ ، ثم قال : خذ هذه الراية واقبض بها حتى يفتح الله عليك » ، فخرج علي يهرول والمسلمون خلفه حتى ركز رايته في رضم^(١) من حجارة ، فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن وقال : من أنت ؟ فقال : أنا علي بن أبي طالب ، فقال اليهودي : علوتم وما أنزل على موسى ! فلم يزل علي يقاتل حتى سقط ترسه من يده ، ثم تناول باباً صغيراً كان عند الحصن فاترس به ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده ، فلما أيقن اليهودي بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم ، ففعل رسول الله ﷺ ذلك ، فنزلوا على ذلك وقالوا : يا محمد ! إنا نحن أرباب الأموال ونحن أعلم بها منكم فعاملناها ، فعاملهم رسول الله ﷺ لخيبر على النصف . فلما فعل ذلك أهل خيبر سمع بذلك أهل فدك ، وبعث إليهم رسول الله ﷺ محيصة بن مسعود ، فنزلوا على ما نزلت عليه اليهود بخيبر على أن يسيرهم ويحقن دماءهم ، فعاملهم رسول الله ﷺ مثل معاملة أهل خيبر فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة ، وذلك أنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، وقسم رسول الله ﷺ خيبر على ألف

(١) في النهاية : « وانذر عشيرتك الأقربين » ويقال أتى رزمة جبل ، هي واحدة الرضم والرضمام وهي

دون الهضاب ، وقيل : صخور بعضها على بعض .

وثمانمائة سهم ، و كان الرجال بها ألف و أربعمائة و الفرس مائتي فرس ،
فقسم للفارس ثلاثة أسهم : سهمين لفرسه و سهماً له و للراجل^(١) سهماً ،
فكان للأفراس أربعمائة و لركابها و لرجالهم ألف و أربعمائة سهم ، و كان
سهم رسول الله ﷺ مع عاصم بن عدي ؛ ثم أطعم رسول الله ﷺ رجلاً مشوا
بين رسول الله ﷺ و بين أهل فذك في الصلح ، و أعطى محيصة بن مسعود
ثلاثين وسقاً من شعير و ثلاثين وسقاً من تمر ، و قسم سهم ذوى القربى من
خبيبر على بنى هاشم و بنى المطلب ؛ فكانت قسمة خبيبر على ما وصفنا .
وكانت صفية بنت حيي بن أخطب فى السبى ، أخرجوها من حصن
القموص ، فاصطفاه رسول الله ﷺ لنفسه . و سئل رسول الله ﷺ عن آنية
المشركين ، فقال : اغسلوها و كلوا فيها و أطعموا ، و أطعم رسول الله ﷺ تسعاً
من نسائه اللاتي توفى و هن عنده تسعمائة وسق تمر و من القمح مائة وثمانين
وسقاً . فلما فرغوا من الغنائم و قسمها أكل المسلمون لحوم الأهلية فأمر منادياً
فنادى فى الناس : إن الله و رسوله ينهيانكم^(٢) عن المتعة ، و أمر بالقدر أن
تكفأ ، ثم قام رسول الله ﷺ فيهم خطيباً فقال : « لا يحل لامرء يؤمن بالله
و اليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره - يعنى إتيان الحبائل من السبايا ، ولا
يحل لامرء يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يصيب امرأة ثيباً من السبى حتى
يستبرئها ، و لا يحل لامرء يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى
يقسم ، و لا يحل لامرء يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يركب دابة من غنيمة
المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيها ؛ و لا يحل لامرء يؤمن بالله و اليوم
الآخر أن يلبس ثوباً من فية المسلمين حتى إذا أحلقه رده » ؛ ثم اطمأن الناس
و أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم لرسول الله ﷺ شاة
مصلية^(٣) و أكثرت فيها من السم ، فلما وضعته بين يدى رسول الله ﷺ قال :

(١) الراجل الذى يسير على قدميه .

(٢) من صحيح البخارى ٢ / ٦٠٤ و ٦٠٦ .

(٣) أى مشوية ، يقال : صلي النار وصلياً أى احترق فيها وفى التنزيل ﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾ انظر المعجم الوسيط ج ١ ص ٥٤٢

« إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم »^(١) ! ثم دعاها فاعترفت ، فقال : « ما حملك على ذلك » ؟ فقالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيخبر ؛ فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، وكان بشر بن البراء بن معرور يأكل مع رسول الله ﷺ فأكل منها قطعة وكان ذلك سبب موته .

وقتل من المسلمين بخيبر

ربيعة بن أكثم بن سخبرة وثقف بن عمرو بن سميط ورفاعة بن مسروح وعبد الله بن الهيب ومسعود بن قيس بن خلدة ومحمود بن مسلمة بن خالد ابن عدى بن مجدعة وأبو الضياع بن ثابت بن النعمان بن أمية ومبشر بن عبد المنذر بن الزبير بن زيد بن أمية بن سفيان بن الحارث والحارث بن حاطب وعروة ابن مرة بن سراقه، وأوس بن القائد وأنيف بن حبيب وثابت بن أثلة وعمارة بن عقبة بن حارثة بن غفار وبشر بن البراء بن معرور ، وكان سبب موته أكله من الشاة المسمومة .

وعند فراغ المسلمين من خيبر قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة فقال النبي ﷺ : « والله ! ما أدرى بأى الأمرين أنا أشد فرحاً بفتح خيبر أو قدوم جعفر » ! ثم قام إليه فقبل ما بين عينيه .

فلما فرغ رسول الله ﷺ سار إلى وادى القرى ، فحاصر أهله ليالى ومع رسول الله ﷺ غلام له أهداه رفاعة بن زيد الجذامي ، فبينما هو يضع رجل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غرب فقتله ، فقال المسلمون : هنيئاً له الجنة ! فقال رسول الله ﷺ : « كلا والذي نفسى بيده ! إن شملته الآن تحترق عليه فى النار ، وكان غلها من فىء المسلمين » ، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! أصبت شراكين لنعلين لى ! وقال رسول الله ﷺ : « بيدلك الله مثلها فى النار » .

(١) هذه الحادثة تعد من معجزات النبوة الخارقة . أما عن أمر هذه المرأة فقد اختلف الرواة هل هى اسلمت أم لا ؟ انظر فقه السير ص ٢٦٣ للبوطى

ثم استأذن رسول الله ﷺ الحجاج بن علاط السلمى وقال : يا رسول الله ! إن لنا مالا بمكة فأذن لى ، فأذن له ، فقال : يا رسول الله ! وأن أقول ؟ قال : فقل ، قدم الحجاج بمكة وإذا قريش بثنية البيضاء يستمعون الأخبار وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ قد سار إلى خيبر ، وقد كانوا عرفوا أنها أكثر أرض الحجاز ريفاً ومنعة ورجالاً ، فلما رأوه قالوا : يا حجاج ! أخبرنا فإنه قد بلغنا أن القاطع سار إلى خيبر ، فقال الحجاج : عندي من الخبر ما يسركم ! قالوا : ما هي يا حجاج ؟ فقال هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمداً أسراً ، فقالوا : لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان قتل من رجالهم ، فقاموا وصاحوا بمكة : جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم ، فقال الحجاج : أعينوني على مالى بمكة وعلى غرماي فإنى أقدم خيبر فأصيب من فيء محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار . فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل حتى وقف على جنب الحجاج بن علاط ، قال : يا حجاج ! ما هذا الخبر الذى جئتنا به ؟ قال وهل عندك حفظاً لما وضعت عندك ؟ قال : نعم ، قال : استأخر عني حتى ألقاك على خلاء فإنى فى جمع مالى كما ترى ، فانصرف ، حتى إذا فرغ الحجاج من جمع ماله وأراد الخروج لقي العباس فقال : احفظ على حديثي فإنى أخشى الطلب ، قال ، افعل ، قال : والله ! إنى تركت ابن أخيك عروساً على ابنة ملكهم صفية بنت حبي ، ولقد افتتح خيبر فصارت له ولأصحابه ، قال : ما تقول يا حجاج ! قال : أى والله ! فاكتم على ثلاثاً ، ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالى فرقاً من أن أغلب عليه فإذا مضى ثلاث فأظهر أمرك فإن الأمر والله على ما تحب ! ثم خرج الحجاج بماله ، فلما كان اليوم الثالث من خروجه لبس العباس حلة وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى طاف بالكعبة ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ! هذا والله التجلد لحر المصيبة ! قال ، كلا والذى حلفتكم به ! لقد افتتح محمد خيبر وأصبح عروساً على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها ، قالوا : من جاء

بهذا الخبر ؟ قال : الرجل الذى جاءكم به ولقد دخل عليكم وأخذ ماله وانطلق فالحق برسول الله ﷺ ليصحبه ويكون معه ؛ قالوا يا لعباد الله انفلت عدو الله ، والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ! فلم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك .

وكان رسول الله ﷺ فى رجوعه من خيبر إلى المدينة نزل بعض المنازل ثم قال : من يكلؤنا الليلة ؟ فقال بلال : أنا يا رسول الله منزل رسول الله ﷺ بالناس وناموا ، وقام بلال يصلى فصلى ما شاء الله أن يصلى ثم استند إلى بعيه واستقبل الفجر يرمقه ، فغلبته عيناه فنام فلم يوقظهم إلا حر الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هباً فقال : « ماذا صنعت يا بلال » ! فقال : يا رسول الله ! أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : « صدقت » ، ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيه غير كثير ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس معه ، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : « إذا نسيتم الصلاة فصلوها اذا ذكرتموها فإن الله يقول : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١٤) » .

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة وأبو هريرة أسلم وقدم المدينة والنبي ﷺ بخيبر وعليها سباع بن عرفطة الغفارى فصلى مع سباع الغداة فى مسجد رسول الله ﷺ فسمعه يقرأ ﴿ وَيَلِّ الْمُطَفِّفِينَ ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا (٢) الآية وكان عمرو بن أمية الضمري خطب أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى النجاشى لرسول الله ﷺ وهم بأرض الحبشة حيث حمل كتاب النبي ﷺ فزوجها النجاشى من رسول الله ﷺ على مهر أربعمائة من عنده ، وكان الذى زوجها خالد بن سعيد بن العاص وبعثها النجاشى مع من بقى من المسلمين بأرض الحبشة إلى المدينة فى سفينتين ، فلما بلغوا الجار (٣) ركبوا الظهر حتى قدموا على رسول الله ﷺ عند

(١) سورة طه آية ١٤

(٢) سورة المطففين آية ١ : ٢ .

(٣) بتخفيف الراء وهو الذى يجيره أن يضام ، وهى مدينة على ساحل بحر القلزم : بينها وبين المدينة يوم ليلة .. وهى فرضة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند - معجم البلدان .

انصرافه من خيبر . ورد رسول الله ﷺ ابنته^(١) على أبي العاص بن الربيع بالنكاح الأول . وقدم عمرو بن العاص زائراً لرسول الله ﷺ ومسلماً عليه من عند النجاشي وكان قد أسلم بأرض الحبشة ومعه عثمان بن طلحة العبدري وخالد ابن الوليد بن المغيرة .

ثم بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد على سرية إلى بنى مرة في ثلاثين رجلاً فقتلوا ورجع وحده إلى المدينة .

ثم بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق على سرية إلى نجد ومعه سلمة بن الأكوع .

وبعث ﷺ غالب بن عبد الله الليثي إلى بنى الملوحة في رمضان في مائة وثلاثين رجلاً فأغاروا عليهم واستاقوا النعم والشاء وجاءوا بها إلى المدينة ، ونذروا لخروج العدو خلفهم ، فجاء السيل وحال الوادي بينهم وبين المسلمين ، ورجعوا إلى المدينة بالغنائم .

ثم بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب على سرية في ثلاثين رجلاً إلى أرض هوازن فخرج معه بدليل من بنى هلال ، فكانوا يسكرون بالليل ويكمنون بالنهار حتى ملكوا هوازن ونذر القوم وهربوا ، ولم يلق عمر كيداً ثم رجع .

ثم بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد إلى جناب في شوال معه حسيل بن نيرة فأصابوا نعمة ، وانهزم جمع عيينة بن حصن إلى المدينة .

ثم أراد رسول الله ﷺ أن يعتصر في ذي القعدة عمرة القضاء لما فاتهم من العام الأول من عمرة الحديبية وعزم أن ينكح ميمونة فبعث أبا رافع ورجلاً من الأنصار من المدينة إلى ميمونة ليخطبها له ثم أحرم وساق سبعين بدنة في سبعمائة رجل ، واستعمل على المدينة ناجية بن جندب الأسلمي ، وتحدثت قريش أن محمداً وأصحابه في عسر وجهه وحاجة ، فقدم ﷺ مكة وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته يقول :

(١) أي زينب وهي أكبر بناته ﷺ ، تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع العيشمي وأمه هالة بنت خويلد ، هاجرت مع أبيها وأبى زوجها أن يسلم ولم يفرق النبي ﷺ بينهما - راجع الإصابة .

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقبيله أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

واصطفت قريش عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى وقال : « رحم الله امرأ أُرهم اليوم من نفسه قوة » ! ثم استلم الركن فخب ثلاثاً ومشى أربعاً ، وخب المسلمون معه ، واستلم الركن ، وهول بين الصفا والمروة ليرى المشركون ، أن به قوة ، ثم خلق ونحر البدن ، فكانت البدنة عن عشرة . وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً وتزوج ميمونة بها وهي حل وهو حرام ، فأتاه حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود في نفر من قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة وقالوا : إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا ! فخرج رسول الله ﷺ من مكة بالمسلمين وخلف أبا رافع مولاة على ميمونة حتى أتاه بها بسرف فبنى بها وهما حلالان ثم رجع إلى المدينة .

ثم بعث ﷺ بعد رجوعه من مكة بخمسين رجلاً ابن أبي العوجاء السلمى فى سرية إلى بنى سليم فلقبهم بنو سليم على حرة فأصيب أصحابه ، ونجا هو بنفسه فقدم المدينة .

السنة الثامنة من الهجرة

حدثنا أحمد بن على بن المشنى التميمى بالموصل ثنا عبد الواحد بن غياث ثنا حماد بن سلمة عن قتادة وثابت وحميد عن أنس قال : غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ! سَعَرْنَا ، فقال « إن الله هو القابض والباسط المسعر الرزاق ، وإنى أرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة فى نفس ولا مال » .

قال : فى أول هذه السنة غلا السعر على المسلمين فأثروا النبى ﷺ يسعر لهم ، فكره رسول الله ﷺ ذلك ثم قال : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً » ؛ ثم قال لا يسوم الرجل على سوم أخيه . ولا يبيع حاضر لباد ، يدعو الناس يرزق بعضهم من بعض

ثم طلق رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة ، فقعدت له على طريقة بين المغرب والعشاء ثم قالت : يا رسول الله ! ارجعنى ، فوالله ما بى حب الرجال ! لكنى أحب أن أحشر فى أزواجك ويومى لعائشة ! فردها رسول الله ﷺ .

ثم توفيت زينب بنت رسول الله ، غسلتها سودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية زوجتا رسول الله ﷺ .

ثم بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثى سرية إلى بنى ليث فى بضعة عشر رجلاً ، فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وساق نعيمهم ومواشيهم إلى المدينة

ثم بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعباد ابنى الجلندى بعمان ، فصدقا بالنبى ﷺ وأقرا بما جاء به ، وصدق عمرو بن العاص أموالهم ، وأخذ الجزية من المجوس .

ثم صالح رسول الله ﷺ المنذر بن ساوى العبدى وكتب إليه كتاباً مع العلاء ابن الحضرمى « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإن كتابك جاءنى ورسلك ، وأنه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فإنه مسلم ، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم ، ومن أبى فعليه الجزية . فصالحهم العلاء بن الحضرمى على أن على المجوس الجزية ، لا تؤكل ذبائهم ولا تنكح نساؤهم »

ثم بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفارى سرية فى خمسة عشر رجلاً حتى انتهى إلى ذات أطلاح من ناحية الشام قريباً من مغار^(١) وكانوا من قضاة ، فوجد بها جمعاً ونجاً هو بنفسه حتى قدم المدينة .

(١) مغار - بالضم وآخره راء : جبل فوق السوارقية فى بلاد بنى سليم فى جوفه أحساء

ثم بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب سرية إلى بنى عامر قبل نجد في أربعة وعشرين رجلاً فأغار عليهم ، فجاءوا نِعْماً وشاء ، فكانت سهمانهم اثني عشر بعيراً ، ونفلهم النبي ﷺ بعيراً بعيراً .

ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى مؤتة ناحية الشام ، فأوصاه بمن معه من المسلمين خيراً وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » ، وتجهز الناس معه فخرج معه قرياً من ثلاثة آلاف من المسلمين ومضى حتى نزل معان^(١) من أرض الشام ، فبلغهم أن هرقل قد نزل مأب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، فأقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم ، فشجع الناس عبد الله ابن رواحة وقال : يا قوم ! والله إن التي تكرهون هي التي خرجتم من أجلها - الشهادة ! ولا نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين : إما ظهور وإما شهادة ؛ فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ! ثم رحلوا ، فلما كانوا بالقرب من بقاء لقيهم جموع هرقل في الروم ، فلما دنا العدو انحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فتعبأ لهم المسلمون وجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بنى عذرة يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار من بنى هريم يقال له عبادة ابن مالك ، ثم التقى الناس فاقتتلوا قتالاً شديداً فقاتل زيد بن حارثة براءة رسول الله ﷺ حتى قتل ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى ألحمه القتال فاقتحم عن فرسه الشقراء وعرقبها وقاتل حتى قتل وفيه اثنتان وسبعون ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ، ثم أخذ عبد الله بن رواحة الراية وتقدم بها وهو على فرسه فقاتل حتى قتل وأخذ الراية ثابت بن أقرم وقال : يا معشر المسلمين ! اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن

(١) بالفتح وآخره نون ، والمحدثون يقولونه الضم ويرفضه أهل اللغة ... قال الأزهري : وميمه ميم مفعول ،

وهي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء - معجم البلدان .

الوليد ، فأخذ خالد الراية ودافع القوم وحاشى بهم ثم انصرف بالناس فنعى رسول الله ﷺ الناس جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة قبل أن يجيء خبرهم ، ثم قال ﷺ : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فإنه قد جاءهم ما يشغلهم » ؛ وقدم خالد بن الوليد بالمسلمين فتلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون والصبيان يحثون على الجيش التراب ويقولون : أفررتم في سبيل الله ! ورسول الله ﷺ يقول : « ليسوا بالفرارين ولكنهم الكرارون » .

ثم بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلال وهم قضاة ، وكانت أم العاص بن وائل قضاة فأراد رسول الله ﷺ أن يتألفهم بذلك فخرج في سراة المهاجرين والأنصار ، ثم استمد رسول الله ﷺ بأبي عبيدة بن الجراح على المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر فلما اجتمعوا واختلف أبو عبيدة ابن العاص وعمرو بن العاص في الإمامة ، فقال المهاجرين : أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أميرنا ، فأبى عمرو بن العاص وقال : أنتم لي مدد ، فقال أبو عبيدة : إن رسول الله ﷺ قال لي : إذا قمت على أصحابك فتطاول عني ؛ وإنك إن عصيتني لأطعنك ، فأطاعة أبو عبيدة بن الجراح وكانوا يصلون خلف عمرو ابن العاص ؛ وفيها صلى بهم وهو جنب . فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبره الخبر ، فقال عمرو : لقيت من البرد شدة وإنى لو اغتسلت خشيت الموت ! فضحك رسول الله ﷺ ، قال عمرو : يا رسول الله ﷺ ! قال الله ﷻ « وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ » (١) .

وفي هذا الشهر كتب رسول الله ﷺ إلى خزاعة بن بديل وبشر وسروات بنى عمرو يدعوهم إلى الله ويعرض عليهم الإسلام .

ثم بعث رسول الله ﷺ أبا قتادة (٢) سرية إلى عطفان في ستة عشر رجلاً ، فبيتوهم وأصابوا نعماً وشياه ورجعوا إلى المدينة .

(١) سورة النساء آية ٢٩ .

(٢) وفي الطبري ٣ / ١٠٦ « إن النبي ﷺ بعث ابن أبي حدرود في هذه السرية مع أبي قتادة وأن السرية كانت ستة عشر رجلاً وأنهم غابوا خمس عشرة ليلة وأن سهمانهم كانت اثني عشر بعيراً يعدل البعير بعشر من الغنم وأنهم أصابوا في وجوههم أربع نسوة ... » .

ثم بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار قبل جهينة وزودهم جراب تمر ، فأصابهم جوع شديد وكان أبو عبيدة يعطيهم حفنة حفنة ، ثم أعطاهم ثمرة ثمرة ، ثم ضرب لهم البحر بدابة يقال لها العنبر فأكلوا منها شهراً ، ثم أخذ أبو عبيدة ضلعاً فنصبه فمر راكب البعير تحته ؛ فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ أخبروه فقال : « هو رزق رزقتموه من الله ، هل عندكم منه شيء ؟ » وسمى هذا الجيش جيش الخبط وذلك جاعوا فكانوا يأكلون الخبط حتى صارت أشداقهم كأشداق الإبل .

ثم استشار عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ أن لى أرضاً بخير لم أصب مالا هو أنفس عندي منه فما تأمرني ؟ قال : « إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها ، فحبس عمر أصلها وتصدق بها - ولا تباع ولا توهب ولا تورث - في الفقراء والغرباء ، وما بقى في سبيل الله وابن السبيل ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف وأن يعطى طريفاً^(١) عنه غير متمول فيه .

ثم إن بكر بن عبد مناة بن كنانة خرجت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة فقاتلوا ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك قال للمسلمين : « كأنكم بأبى سفيان قد قدم لتجديد العهد بيننا » ! وكان بديل بن ورقاء بالمدينة فخرج إلى مكة راجعاً ، فلما عسفان لقيه أبو سفيان وكانت قريش قد بعثه إلى رسول الله ﷺ لتجديد العهد ، فقال له أبو سفيان : من أين أقبلت يا بديل ؟ قال : سرت إلى خزاعة ، قال : جزت بمحمد ؟ قال : لا ، ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه فقال يا بنيتي ! ما أدري أرغبتى بهذا الفراش عنى أم رغبتى بى عنه قالت : هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ! فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ، ثم خرج أبو سفيان حتى أتى النبي ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً ، فذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم رسول الله ﷺ ،

(١) والطريف والطارف : المال المستفاد - لسان العرب .

فقال : ما أنا بفاعل ، ثم خرج حتى أتى عمر فكلّمه فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ! والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم بهم ! ثم خرج أبو سفيان حتى دخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعندهما الحسن ابنها يدب فقال : يا علي ! إنك أمس القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت ، اشفع لي إلى رسول الله ﷺ ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه ؛ فالتفت إلى فاطمة فقال : هل لك أن تأمرى ابنك هذا أن يجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ، قالت : ما بلغ ذلك ابني أن يجير بين الناس ، قال : يا أبا الحسن ! إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ ما تنصح لي ؟ قال : والله ! ما أعلم شيئاً يغني عنك ولكن قم فأجر بين الناس والحق بأرضك ، قال : وترى ذلك يغني شيئاً ؟ قال ما أدري ! فقام سفيان في المسجد فقال : أيها الناس ! إني قد أجرت بين الناس - ثم خرج . فلما قدم على قريش مكة قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلّمته ، قال : فوالله ما رد عليّ بشيء ! ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم جئت علياً أئین القوم ، وقد أشار عليّ برأى صنّعه ، فوالله ! ما أدري هل يغني شيئاً أم لا ! قالوا : وبما ذا أمرك ؟ قال : أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز محمد ذلك ؟ قال : لا ، قالوا ويحك ! والله إن زاد عليّ بن أبي طالب عليّ أن لعب بك ! والله ما يغني عنك ما فعلت !

ثم عزم رسول الله ﷺ على المسير إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال : « اللهم ! خذ العيون والأخبار عن قريش » ، فلما صبح ذلك منه ومن المسلمين كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبر بالذي قد أجمع عليه رسول الله ﷺ ثم أعطاه امرأة من مزيّنة وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ثم خرجت ، وأخبر الله رسوله ﷺ بما فعل حاطب ، فبعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام وقال : أدركا

امراً من مزينة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قدمنا عليه ، فخرجوا حتى أدركاها بالحليفة فاستنزلا والتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً ، فقال لها على : إني أحلف بالله أن رسول الله ﷺ ما كذب ولا كذبتنا إما أن تخرجي الكتاب وإلا نكشفنك فلما رأت الجد قالت : أعرض عني ، فأعرض عنها على ، فحلت قرون رأسها واستخرجت الكتاب فدفعته إليه ، فجاء به رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال : « يا حاطب ! ما حملك على هذا ؟ » قال يا رسول الله ﷺ والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأة ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة وكان لي بينهم أهل وولد ، فقال عمر : دعني أضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال النبي ﷺ : « وما يدريك يا عمر ! لعل الله قد اطلع يوم بدر إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ثم خرج رسول الله ﷺ من المدينة واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عبيدة بن خلف الغفاري ، وذلك لعشر ماضين من رمضان ، فصام رسول الله ﷺ فصام المسلمون ، ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف من المسلمين ، ولم يعقد الألوية ولا نشر الرايات ، فلما بلغ الكديد - والكديد ما بين عسفان وامج أفطر وأفطر المسلمون وقد كان عيينة بن حصن الفزاري لحق رسول الله ﷺ بالعرج ولحقه الأقرع بن حابس التميمي في نفر من أصحابهما فقال عيينة : يا رسول الله ! والله ما أرى آلة الحرب ولا تهئية الأجرام ، فأين تتوجه ؟ قال رسول الله ﷺ : « حيث شاء الله » ، فلما بلغ رسول الله ﷺ مر الظهران قد عميت الأخبار على قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعل خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار وينظرون هل يرون خبراً أو يسمعون به فقال العباس بن عبد المطلب : يا صباح قريش ! والله لئن دخل رسول الله ﷺ عنوة قبل أن يأتوه فاستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر ! فركب العباس بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ومضى عليها

حتى أتى الأراك وقال هل أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه ويستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة، فبينما هو يسير إذ سمع كلام أبي سفيان وهو يقول : والله ما رأيت كالليلة نيراناً قط وعسكراً فقال بديل بن ورقاء : هذه والله نيران خزاعة ! فقال أبو سفيان : خزاعة والله ألام وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ! فلما عرف العباس صوتهم قال : يا أبا حنظلة ! فعرف أبو سفيان صوته فقال : أبو الفضل ؟ قال : نعم ، قال : مالك ؟ قال : فداك أبي وأمي ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله ﷺ ! قال : واصباح قريش ! قال : فما الحيلة - فداك أبي وأمي ؟ قال العباس : أما والله لعن ظفر بك ليضربن عنقك ! فاركب عجز هذه البغلة حتى أتى بك رسول الله ﷺ ، فركب أبو سفيان خلف العباس ورجع صاحبه إلى مكة ، فكلما مر العباس بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ وإذا قالوا : بغلة رسول الله ﷺ والعباس عليها عمه ، فلما مر بنار عمر بن الخطاب قال : من هذا ؟ وقام إليه فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي أمكن منك من غير عقد ولا عهد ! ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ ، وركض العباس بالبغلة فسبقه إلى رسول الله ﷺ فاقتحم العباس على باب القبة ودخل على رسول الله ﷺ ، ودخل عليه عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ! هذا أبو سفيان قد أمكن منه بغير عقد ولا عهد ! فدعني أضرب عنقه ، فقال العباس : يا رسول الله ! إني قد أجرته ، ثم جلس العباس إلى رسول الله ﷺ وأكثر عمر في شأن أبي سفيان ، فقال العباس : مهلاً يا عمر ! أما والله لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلت هذا ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف ! فقال عمر : مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامك يوم أسلمت أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ! وما بي إلا أني عرفت أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب ، فقال رسول الله ﷺ : « اذهب به يا عباس إلى رحلك ، إذا أصبحت فأتني به » ، فذهب به العباس إلى رحله فبات عنده ، فلما أصبح غدا به إلى رسول الله ﷺ ،

فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه فإن في النفس منها شيئاً حتى الآن ، فقال العباس : ويحك ! أسلم قبل أن يضرب عنقك ، فتشهد أبو سفيان شهادة وأسلم ، فقال العباس : يا رسول الله ! إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً ، قال : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ! ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ! ومن دخل المسجد فهو آمن » ! فلما أراد أبو سفيان أن ينصرف قال رسول الله ﷺ : « يا عباس ! احبسه ، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ، فخرج به العباس فحبسه حيث أمر به رسول الله ﷺ ، ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال أبو سفيان : من هؤلاء يا عباس ؟ فيقول العباس : سليم ، فيقول أبو سفيان : مالي ولسليم اثم مرت به القبيلة فقال : من هؤلاء فقال العباس مزينة ، قال : مالي ولمزينة - حتى مرت القبائل ، لا تمر به قبيلة إلا سأله عنها فإذا أخبره قال : مالي ولبنى فلان ، حتى مر رسول الله ﷺ في الخضراء كتيبة رسول الله ﷺ فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، قال : سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ! قال ولا حد بها ولا قبل ولا طاقة يا أبا الفضل ! لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ! فقال العباس : يا أبا سفيان إنها لنبوة ! قال : فنعم إذا ، قال العباس : أرحلك إلى قومك ، فخرج أبو سفيان حتى إذا دخل مكة صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ! هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ! فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ! فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه وقالت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمش ! فقال أبو سفيان : لا يغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ! قالوا : قبحك الله ! وما تغني دارك ؟ قال :

ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ! ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

ولما بلغ رسول الله ﷺ ذا طوى، فرق جنوده ، فبعث علياً من ثنية المدنيين ، وبعث الزبير من الثنية التي تطلع على الحجون^(١) وبعث خالد بن الوليد من الليط وأخذ رسول الله ﷺ طريق أذاخر . أمرهم أن لا يقاتلوا أحداً إلا من قاتلهم ، فبلغ رسول الله ﷺ أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وعبد الله ابن زمعة وسهيل بن عمرو قد جمعوا جماعة من قريش والأحابيش بالخدمة ليقاتلوا رسول الله ﷺ ، فلقيهم خالد بن الوليد بمن معه من المسلمين^(٢) ناوشوهم فقتل منهم خالد بن الوليد ثلاثة وعشرين رجلاً وهو معهم ، وقتل من المشركين كرز بن جابر الفهري ؛ فمن ههنا اختلف الناس في فتح مكة عنوة^(٣) كان أم صلحاً .

(١) وفي الطبري ٣ / ١١٧ : لما خرج أبو سفيان وحكيم من عند النبي ﷺ حامدين إلى مكة بعث في أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والأنصار وأمره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحجون ، وقال للزبير : لا تبرح حيث أمرتك أن تغرز رايتي حتى آتيك ، ومن ثم دخل رسول الله ﷺ ، وأمر خالد ابن الوليد فيمن كان أسلم من قضاة وبنى سليم وأناس إنما أسلموا قبيل ذلك أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناة ومن كان من الأحابيش ، أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة ، فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة ، حدثت أن النبي ﷺ قال لخالد والزبير حين بعثهما : لا تقاتلا إلا من قاتلكما

(٢) وفي الطبري : فلما قدم خالد على بني بكر والأحابيش بأسفل قاتلهم فهزمهم الله عز وجل ولم يكن بمكة قتال غير ذلك غير أن كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وابن الأشعر رجلاً من بني كعب كانا في خيل الزبير فسلكا كداء ولم يسلكا طريق الزبير الذي سلك الذي أمر به ، فقدموا على كتيبة من قريش مهبط كداء فقتلا ولم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير ومن قدم النبي ﷺ وقام الناس إليه يسأله فأسلم أهل مكة وأقام النبي ﷺ عندهم نصف شهر لم يزد ذلك حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين .

(٣) عنوة : أي بالحرب والقتال وفي كتاب المنازى ٢ / ٨٢٥ : فلما دخل خالد بن الوليد وجد جمعاً من قريش وأحابيشها قد جمعوا له ، فيهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فممنعه الدخول وشهروا السلاح ، وقالوا : لا تدخلها عنوة أبداً ! فصاح خالد بن الوليد في أصحابه وقتلهم فقتل منهم - إلخ . قال في الروض ٢ / ٢٧٢ ما نصه : ونذكر هاهنا طرفاً من أحكام أرض مكة فقد اختلف هل افتتحها النبي ﷺ عنوة أو صلحاً ليتنى على ذلك الحكم هل أرضها ملك لأهلها أم لا ؟ وذلك أن =

فلما بلغ أبا قحافة قدوم النبي ﷺ مكة قال لابنه من أصغر ولده : أى بنيتى !
 اظهري بي على ظهر قيس وكان نظره قد كف إذ ذلك ، فقال : أى بنية !
 ما ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ؛ ثم قالت : والله قد
 انتشر السواد ! فقال : والله لقد دفعت الخيل سرعى إلى بيتى ! فانخبطت به
 وتلقته الخيل قبل أن يصل إلى بيته .

ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر مكة على رأسه مغفر من حديد عليه عمامة
 سوداء ، ولم يلق أحد من المسلمين قتالاً إلا ما كان من خالد بن الوليد وكان
 رسول الله ﷺ أمر بقتل ستة أنفس من المشركين قبل قدومهم إلى مكة ، وقال :
 « أى موضع رأيتم هؤلاء فاقتلوهم » : عبد الله بن سعد بن أبى سرح وعبد الله
 ابن خطل رجل من بنى تميم بن غالب والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد
 قصي ومقيس بن صبابه الليثي وسارة مولاة كانت لبعض بنى عبد المطلب ، فأما
 عبد الله بن أبى سرح ففر إلى عثمان بن عفان وكان أخاه فى الرضاعة فغيبه
 عثمان حتى أتى به رسول الله ﷺ فاستأمنه ، وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على
 ابن أبى طالب ؛ وأما ابن خطل فتعلق بأستار الكعبة يلوذ بها فقال النبي ﷺ :

=عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاج ، وكتب عمر بن عبد
 العزيز إلى عامله بمكة أن ينهى أهلها عن كراء دورها إذا جاء الحاج فإن ذلك لا يحل لهم ، وقال مالك
 رحمه الله : إن كان الناس ليضربون فساطيطهم بدور مكة لا ينهاهم أحد ، وروى أن دور مكة كانت تدعى
 السوايب ، وهذا كله منتزع من أصلين : أحدهما قوله تبارك وتعالى : « والمسجد الحرام الذى جعلناه
 للناس سواء العاكف فيه والباد » ، وقال ابن عمرو عن بن عباس : الحرم كله مسجد ، والأصل الثانى أن
 النبي ﷺ دخلها عنوة غير أنه من على أهلها بأنفسهم وأموالهم ، ولا يقاس عليها غيرها من البلاد كما
 ظن بعض الفقهاء فإنها مخالفة لغيرها من وجهين : أحدهما ما خص الله به نبيه فإنه قال « قل الأنفال
 لله والرسول » والثانى ما خص الله تعالى به مكة فإنه جاء : لا تحل غنائمها ولا تلتقط لقطتها وهى حرم
 الله تعالى وأمنه ، فكيف تكون أرضها أرض خراج ! فليس لأحد افتتح بلداً أن يسلك به سبيل مكة ،
 فأرضها إذا ودورها لأهلها ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموها ولا يأخذوا منهم كراء
 فى مساكنها : فهذا حكمها فلا عليك بعد هذا فتحت عنوة أو صلحاً ، وإن كانت ظواهر الحديث أنها
 فتحت عنوة . وذكر الهذلى الذى قتل وهو واقف فقال : أقدم فعلتموها يا معشر خزاعة ! وروى الدار قطنى
 فى السنن أن النبي ﷺ قال : « لو كنت قاتل مسلم بكافر لقتلت خراشاً بالهذلى يعنى بالهذلى قاتل ابن
 أشوغ وخراش هو قاتله وهو من خزاعة » .

« اقتلوه » ، فقتله سعيد بن المخزومي وأبو برزة تحت الأستار ، اشتركا في دمه ؛ وأما مقيس فقتله نُميلة بن عبد الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : « لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم » ! ونزل النبي ﷺ الأبلح وضرب لنفسه فيه قبة ؛ وجاءته أم هانئ بنت أبي طالب فوجدت رسول الله ﷺ يغتسل في جفنة فيها أثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشع به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ، ثم انصرف إليها فقال : مرحباً مرحباً وأهلاً بأم هانئ ! ما الذى جاء بك ؟ قالت : رجلان من أصهارى من بنى مخزوم وقد أجرتهما وأراد على قتلهما - وكانت أم هانئ تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي - فقال رسول الله ﷺ : « أجرتنا من أجرت يا أم هانئ » ! ثم إن عمير بن وهب قال : يا رسول الله ! إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هارباً منك ليقتل نفسه فى البحر فأمنه ، قال : « هو آمن » ، قال : يا رسول الله ! أعطني شيئاً يعرف به أمانك ، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التى دخل بها مكة ، فخرج عمير بها حتى أدرك صفوان بن أمية بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال : يا صفوان ! فذاك أبى وأمى ! أذكرك الله فى نفسك أن تهلكها ! فهذا أمان من رسول الله ﷺ جمعتك به ؛ قال : ويلك ! اغرب عني ، قال : أى صفوان ! فذاك أبى وأمى ! أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس ابن عمك رسول الله ﷺ ، عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك ، قال صفوان : ويلك ! إني أخافه على نفسى ، فأعطاه العمامة ، وخرج به معه ، فلما وقف على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ﷺ ! هذا زعم أنك قد آمنتنى ، قال : « صدق » ، قال : فاجعلنى بالخيار شهرين ، قال : أنت بالخيار أربعة أشهر .

ثم جاء رسول الله ﷺ وطاف بالبيت سبعا على بعيره يستلم الركن بمحجنه ، ثم طاف بين الصفا والمروة ، ثم دعا عثمان بن طلحة الحنظلي فأخذ مفتاح الكعبة وفتحها ثم دخله وصلى فيه ركعتين بين الأسطوانتين ، بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع ، ثم خرج فوقف على بابها وهو يقول : « لا إله إلا الله وحده لا

شريك له، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ؛ ألا وقتيل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا، فيه الدية مغلظة مائة ناقة ، منها أربعون في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » - ثم تلا هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١) ثم قال : « يا أهل مكة ! ما ترون أنى فاعل بكم؟ » قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن كريم ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ! فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال : يا رسول الله ! اجعل الحجابة مع السقاية فلتكن إلينا جميعاً فقال رسول الله ﷺ : « أين عثمان بن طلحة الحجبي ؟ » فدعاه فقال : « هل لك مفتاحك » ؟ فدفعه إليه .

فلما كان الغد من فتح مكة عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال : « أيها الناس ! إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام إلى يوم القيامة ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً » ، ثم قال : « إن الله حبس عن مكة الفيل وسلك عليها رسوله وإنها لم تحل لأحد قبلى ، وإنما أحلت لى ساعة من نهار، وإنها لا تحل لأحد بعدى ؛ لا ينفر صيدها ، ولا يختلى شوكها ولا يحل ساقطتها إلا لمنشد » ، فقال العباس : إلا الإذخر ! فإننا نجعله فى بيوتنا وقبورنا ، فقال رسول الله ﷺ : « إلا الإذخر » . وكانت أم حكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبى جهل وفاخنة بنت الوليد تحت صفوان بن أمية فلما أسلمنا قالت أم حكيم لرسول الله ﷺ وسألته أن يستأمن عكرمة ، فأمنه وقد كان خرج إلى اليمن حتى جاءت به ، وأسلم عكرمة و صفوان فأقرهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول الذى كانا عليه .

ثم أمر رسول الله ﷺ كل من كان في بيته صنم أن يكسره فكسروا الأصنام كلها وكسر خالد بن الوليد العزى ببطن نخلة وهدم بيته فقال النبي ﷺ : « تلك العزى لا تعبد أبداً » . وكسر عمرو بن العاص سواع ثم قال للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت لله . وكسر سعد بن زيد الأشهلي المناة بالمشلل .

ثم بعث رسول الله ﷺ حول مكة الناس يدعون إلى الله ولم يأمرهم بقتال وكان ممن بعث خالد بن الوليد وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ومعه سليم ومدلج وقبائل من غيرهم ، فلما نزلوا بغميصاء وهي من مياه بني جذيمة وكانت بنو جذيمة قد أصابوا في الجاهلية عوف بن عبد أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة كانا أقبلتا تاجر من اليمن حتى إذا نزلا بهم قتلوهما وأخذوا أموالهم ، فلما كان الإسلام بلغ خالد بن الوليد إليهم ورآه القوم أخذوا السلاح ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح فإن القوم أسلموا فوضع القوم السلاح لقول خالد ، فلما وضعوا أمر بهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف ؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء وقال : « اللهم أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ؛ ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبي طالب فقال : يا علي ! اخرج إلى هؤلاء القوم وانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » ، فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعثه به رسول الله ﷺ ، ثم ودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال حتى لم يبق لهم شيء من دم ولا مال إلا وداه ، وبقيت معه بقية فقال لهم علي بقي لكم من دم أو مال لم يود إليكم ؟ قالوا : لا ، قال فإنني أعطيتكم هذه البقية من المال احتياطاً رسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون ، ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، قال : « أصبت » .

ثم إن هوازن لما سمعت بجمع رسول الله ﷺ ودخوله مكة اجتمعت مع ثقيف^(١) وجشم وسعد بن بكر ، وكان فيهم دريد بن الصمة وهو شيخ كبير (١) وفي الطبري ٣ / ١٢٥ « عن عروة قال : أقام النبي ﷺ بمكة عام الفتح نصف شهر لم يزد على ذلك حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين وحنين واد إلى جنب ذي الحجاز وهم يومئذ عامدون يريدون قتال النبي ﷺ وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ من المدينة - إلخ » .

كبير ليس فيه إلا التيمّن برأيه و بعلمه بالحرب وفى ثقيف قارب بن الأسود بن مسعود ، وفى بنى بكر سبيع بن الحارث ، وكان جماع أمر الناس إلى مالك ابن عوف ، فأجمع مالك بالناس على المسير إلى رسول الله ﷺ ، فساروا حتى إذا أتوا بأوطاس ومعه الأموال والأبناء والنساء فقال دريد بن الصمة : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم مجال الخيل ! لا حزن ولا سهل دهس ، مالى أسمع رغاء الإبل ونهاق الحمير وبكاء الصغير وبعار الشاء ! قالوا : ساق ابن عوف بأوطاس مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فقال : أين مالك ؟ فقيل : هذا مالك ، فقال دريد : يا مالك ! إنك أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم له ما بعده من الأيام ، مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ، فقال مالك : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ، ونساءهم قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، فانقض به فقال : وهل يرد القوم شيء ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ، ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال مالك لم يشهد منهم أحد ، قال : غاب الحدّ والجدة ، لو كان علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب يا مالك ! لا تضع بتقدّم البيضة بيضة هوزان إلى نحور الخيل شيئاً ارفعهم فى متمنّع بلادهم وعليا قومهم ثم الق الصبأ على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت مالك وأهلك ، قال : تلك والله لا أفعل لتطيغنى يا معشر هوزان أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ، وكره أن يكون فيها لدريد ذكر ورأى ، قالوا : أطعناك ، فقال مالك للقوم : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا عليهم شد رجل واحد وجاء الخبر رسول الله ﷺ فبعث عبد الله بن أبى حذرر الأسلمى ، فدخل فى الناس فأقام فيهم حتى سمع وعلم من كلام مالك وأمر هوزان ما كان وما أجمعوا له ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره .

فاجمع على المسير إلى هوازئ

وقيل لرسول الله ﷺ : إن عند صفوان بن أمية أدراعاً ، فأرسل إليه ، فقال : « يا أبا أمية ! أعرنا سلاحك نلقى فيها عدونا » ، فقال صفوان : أغصباً ؟ قال : لا ، بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح ، وسأله النبي ﷺ أن يكفيه حملها ، فحملها صفوان لرسول الله ﷺ ، وخرج رسول الله ﷺ من مكة معه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، واستعمل على مكة عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية أميراً ، وكان مقامه ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة يقصر فيها الصلاة ؛ فبينما الناس مع رسول الله ﷺ يسرون إذ مروا بسدرة قال أبو قتادة الليثي : يا رسول الله ! اجعل هذه ذات أنواط ، كما للكفار ذات أنواط - وكان للكفار سدره يأتونها كل سنة ويلقون عليها أسلحتهم ويعكفون عليها ويذهبون عندها - فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ ^(١) ! لتركين سنن من قبلكم .

فلما بلغ رسول الله ﷺ وادي حنين وانحدر المسلمون في الوادي قرب الصبح وهو واد أجوف ، وقد كمن المشركون لهم في شعابه ومفارقة فأعدوا للقتال ، فبينما رسول الله ﷺ ينحدر والمسلمون بالوادي إذ اشتدت عليهم الكتائب من المشركين شد رجل واحد ، وانهزم المسلمون راجعين ، لا يعرج أحد ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال : أيها الناس ! هلموا ، أنا رسول الله ! أنا محمد بن عبد الله ! واحتملت الإبل بعضها بعضاً ومع رسول الله ﷺ رهط من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، فلما رأى رسول الله ﷺ لا يعطفون على شيء قال : « يا عباس ! اصرخ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب السمرة » ! فنادى العباس - وكان امراً جسيماً شديد الصوت : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب

(١) سورة الأعراف آية ١٣٨ .

السحرة ! فأجابوا لبيك لبيك ! وكان الرجل من المسلمين يذهب ليثنى بغيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ثم يأخذ سيفه وترسه ثم يقتحم عن بغيره فيخلى سبيل بغيره ويؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ ، حتى اجتمع على رسول الله ﷺ مائة رجل واستقبلوا الناس وقاتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت : يا للأنصار ! ثم جعلت أخيراً فقالوا : يا للخزرج ! وكانوا صبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله ﷺ في ركابه ونظر إلى مجتلد القوم فقال : « الآن حمى الوطيس ! وإذا رجل من هوازن على جمل أحمر في يده راية سوداء وفي رأسه رمح طويل أمام الناس هوازن خلفه ، فإذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته رفعه لمن وراءه ويتبعونه ، فأهوى إليه على بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه ، فأتاه على من خلفه فضربه فوق على عجزه ، ووثبت الأنصار على الرجل فضربوه ضربه أطن بها قدمه بنصف ساقه ، واختلف الناس وكان شعار المهاجرين يومئذ : يا بني عبد الرحمن ! وشعار الخزرج : يا بني عبد الله وشعار الأوس : يا بني عبيد الله .

وكانت أم سليم بنت ملحان مع زوجها أبي طلحة فالتفت رسول الله ﷺ وهي حازمة وسطها ومعها جمل أبي طلحة فقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك ، فقال رسول الله ﷺ : « أو يكفى الله يا أم سليم » ! وإنها يومئذ لحبلى بعبد الله بن أبي طلحة ومعها خنجر فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا مني أحد من المشركين بعجت بطنه ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله ! ألا تسمع ما تقوله أم سليم .

ورأى أبو قتادة رجلين يقتتلان : مسلم ومشرك ، فإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه ، فأتاه أبو قتادة فضرب يده فقطعها ، فاعتنقه المشرك بيده الثانية وصدره فقال أبو قتادة : والله ! ما تركني حتى وجدت ريح الموت ! فلو لا

أن الدم نزفه يقتلنى ، فسقط وضربته فقتلته ، ثم انهزم المشركون وأخذ المسلمون يكتفون الأسارى ، فلما وضعت الحرب أوزارها قال رسول الله ﷺ : « من قتل قتيلاً فله سلبه » . فتمال رجل من أهل مكة : يا رسول الله ! لقد قتلت قتيلاً ذا سلب وأجهضنى عنه القتال فلا أدرى من سلبه ! فقال رجل من أهل مكة : يا رسول الله ! أألسلبته فأرضه منى عن سلبه ؛ فقال أبو بكر الصديق : أيعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله تقاسمه سلبه ! رد عليه سلبه ، فقال رسول الله ﷺ : « وصدق أبو بكر رد عليه سلبه » ، فرد عليه . قال أبو قتادة : فبعته فاشتريت به مخرفاً^(١) فى المدينة لأنه أول مال تأثله^(٢) فى الإسلام

وكان على راية الأحلاف من ثقيف يوم حنين قارب بن الأسود ، فلما رأى الهزيمة أسند رايته إلى شجرة وهرب وكان على راية بنى مالك ذو الخمار ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله وأقامها للمشركين ، فقتل عثمان وانحاز المشركون منهزمين إلى الطائف وعسكر بعضهم بأوطاس .

وبعث رسول الله ﷺ الخيول فى آثارهم ، فأدرك ربيعة بن رفيع دريد بن الصمة وهو فى شجار على راحلته فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة ، فلما أناخه إذا شيخ كبير وإذا هو دريد ولا يعرفه الغلام فكان ربيعة غلاماً ، قال دريد ماذا تريد بى قال : أقتلك ! قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السلمى وضربه ربيعة بسيف فلم يقدر شيئاً ، فقال له دريد : بشس ما أسلحتك أملك ! خذ سيفى هذا من مؤخر رحلى فى الشجار ثم أضرب وأرفع عن العظام وأخفض عن الدماغ ، فإننى كذلك كنت أقتل الرجال ، ثم إذا أتيت أملك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة بسيفه .

ثم أمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال فجمعت بالجرعانة ؛ وبعث فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعرى فأدرك الناس بعض من انهزم فساروا يرمون

(١) أى حائطاً من النخل .

(٢) أى اكتسبته .

كل من لقوه ورمى أبا عامر بسهم فقتل ، وأخذ برايته بعده أبو موسى فقاتلهم ففتح له وهزمهم الله .

ثم بعث رسول الله ﷺ إلى الطائف ، وفيها مالك بن عوف وقد عسكر جماعة من المشركين وعلى مقدمة خيل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فرأى رسول الله ﷺ امرأة مقتولة فقال : « من قتل هذه » ؟ قال : خالد بن الوليد ، فقال لرجل : « أدرك خالدًا وقل له : يقول لك رسول الله ﷺ : لا تقتلوا امرأة ولا ولداً ولا عسيفاً »^(١) . فلما بلغ رسول الله ﷺ الطائف نزل قريباً ، فلم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطاً فضرب معسكره رسول الله ﷺ عند مسجده الذي بالطائف اليوم ، وحاصروهم بضعة عشرة ليلة ، وأمر أعنابهم ، وقاد رجلاً من هذيل من بني ليث ، وهو أول دم أقيد في الإسلام ، ثم نصب المنجنيق على حصنهم حتى فتحه الله عليه ، وكان في أيامه يقصر الصلاة .

وقد كان مع رسول الله ﷺ مولى لخالته فاخته بنت عمرو بن عائذ يقال له مائع مخنث يدخل على نساء رسول الله ﷺ ، فسمعه رسول الله ﷺ وهو يقول لخالد بن الوليد : يا خالد ! إن فتح رسول الله ﷺ غداً فلا تفلتن منك بادية بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا يفطن لما سمع به ، ثم قال لنسائه : لا يدخلن عليكن ! فحجب عن بيت رسول الله ﷺ ، ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف إلى الجعرانة فقال له سراقه بن جعشم المدلجي : يا رسول الله ! ترد الضالة حوضي فهل فيه أجر إن أنا سقيتها ؟ فقال رسول الله ﷺ (في كل كبدة حرى أجر) . ونهى رسول الله ﷺ عن وطئ الجبالى حتى يضعن^(٢) . وبينما النبي ﷺ قاعد بالجعرانة ومعه ثوب وقد أظلم به مع ناس من أصحابه إذ جاءه أعرابي - عليه جبة - متضمخ بطيب فقال : يا رسول الله ! كيف ترى برجل أحرم بعمره في جبة بعد ما تضمخ بطيب ؟ وإذا النبي ﷺ مخمر الوجه يغط ، فلما سرى عنه قال : « أين الذي

(١) أى عجزاً .

(٢) أى أنه نهى أصحابه عن جماع سبايا الحرب الجبالى حتى يضعن مافي بطونهن .

سألني عن العمرة أنفأ ؟» فأتى به فقال : أما الطيب فاغسله عنك وأما الجبة فانزعها ، ثم اصنع في عمرتك ما تصنع في حجتك » ؛ وقسم رسول الله ﷺ الغنائم بالجعرانة بين المسلمين ، فأصاب كل رجل أربعاً من الإبل وأربعين شاة ، ومن كان فارساً أخذ سهمه وسهمي فرسه ، ثم أخذ رسول الله ﷺ وبرة من سنام بعيرة ثم قال : « أيها الناس ! إني والله مالى من فيثكم ولا هذه البرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخيط والمخييط ، فإن الغلول يكون على أهله ناراً وشناراً يوم القيامة » ! فجاءه رجل من الأنصار بكبة خيوط من شعر ، قال : يا رسول الله ! أخذت هذه الكبة أخيط بها بردعة بعير لى ، فقال رسول الله ﷺ : « أما نصيبى منها فلك » ، فقال : أما إذا بلغت هذه فلا حاجة لى فيها .

ثم أسلم مالك بن عوف وقال : يا رسول الله ! ابعثنى أضيق على ثقيف ، فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه من تلك القبائل ومن تبعه من بنى سليم ، فكان يقاتل ثقيفاً ، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليهم .

ثم جاء وفد هوازن راغبين فى الإسلام - بعد أن قسم لهم رسول الله ﷺ السبى فأسلموا .

ثم أعطى رسول الله ﷺ المؤلفه قلوبهم تألفاً ، فأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل ، وأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ، وأعطى مالك بن عوف مائة من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس السلمى شيئاً دونهم ، فقال فيه أبياتاً ، ولم يعط الأنصار منها شيئاً فقال قائل الأنصار : ألا إن رسول الله ﷺ قد لقى قومه ، فانطلق سعد بن عباد فدخل على رسول الله ﷺ : وقال : يا رسول الله ! الأنصار قد وجدوا فى أنفسهم مما رأوك صنعت فى هذه العطايا ، قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : ما أنا إلا رجل من قومي ، قال : « فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة » ، فخرج سعد فنادى فى قومه : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تجتمعوا فى هذه الحظيرة ، فقاموا سراعاً وقام سعد يلى باب الحظيرة

فلم يدخلها إلا رجل من الأنصار وقد رد أناساً ، ثم أتى النبي ﷺ فقال : هذه الأنصار قد اجتمعت لك ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ وقال : « يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم ؟ أكثرتم فيها ألم تكونوا ضلالاً فهذاكم الله ؟ ألم تكونوا عالة فأغناكم الله ؟ ألم تكونوا أعداء فألف الله بينكم » ؟ قالوا : بلى ، قال : « أفلا تجيبوني » ؟ قالوا : إليك المن والفضل ، قال : « أما والله لو شئتم لقلتم وصدقتم : جئتنا طريداً فأويناك ، ومخذولاً فنصرناك وعائلاً فأسيناك ، ومكذباً فصديقناك ! أوجدتم في أنفسكم من لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا ووكلتكم إلى إيمانكم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم ! فالذي نفس محمد بيده ! لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، إن الأنصار كرشى وعيبتى ، اللهم اغفر للأنصار وأبناء الأنصار ولأبناء أبنائهم ! فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا بالله وبرسوله حظاً وقسماً ونصيبة ! ثم تفرق الأنصار . وفي هذه المقالة قال ذو الخويصرة : يا رسول الله ! اعدل ، فقال رسول الله ﷺ : « شقيت إن لم أعدل » ، ثم علقت الأعراب برسول الله ﷺ يسألونه حتى ألجأوه إلى شجرة عظيمة وخطفت رداءه . فقال رسول الله ﷺ : « ردوا على ردائي ، فوالذي نفس محمد بيده لو كانت عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني كذوباً ولا جباناً ولا بخيلاً » .

ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً فاعتمر منها فبات بالجعرانة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد أميراً وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس ويعلمهم القرآن ، وكانت هذه العمرة في ذى القعدة .

ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة يريد المدينة فسلک في وادي سرف حتى خرج على سرف ؛ ثم على مر الظهران حتى قدم المدينة في بقية ذى القعدة .

ثم تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية فاستعادت ،

من رسول الله ﷺ ، فقال لها رسول الله ﷺ : « قد عدت بعظيم الحقى بأهلك » ، وفارقها . وحج بالناس عتاب بن أسيد .

وولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية فى ذى الحجة فوقع فى قلب النبى ﷺ منه شىء ، فجاء جبريل عليه السلام فقال : « السلام عليك يا إبراهيم » ! فسرى عن رسول الله ﷺ ، وتنافس نساء الأنصار فيه أيتهن ترضعه ، فدفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد وزوجها بن مبدول فكانت ترضعه ؛ وحلق رسول الله ﷺ رأسه يوم السابع وتصدق بوزن شعره فضة على المساكين وعق عنه بكشين ؛ وعاش ستة عشر شهراً .

السنة التاسعة من الهجرة

أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة اللخمى بعسقلان ثنا محمد بن المتوكل ابن أبى السرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور عن ابن عباس قال : لم أزل حريصاً أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبى ﷺ اللتين قال الله لهما ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ ^(١) فقال عمر : واعجباً لك يا ابن عباس ! ثم قال : هى عائشة وحفصة - ثم أنشأ يسوق الحديث فقال : كنا معشر قریش قوماً تغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدناهم قوماً تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم ، وكان منزلى فى بنى أمية بن زيد فى العوالى ، قال فتغضبت يوماً على امرأتى فإذا هى تراجعنى ، فأنكرت أن تراجعنى فقال : ما تنكر أن أرجعك ! فوالله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل ! فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت : أتراجعين على رسول الله ﷺ ؟ فقالت : نعم ،

(١) سورة التحريم آية ٤ ، وقد وقع هنا بعده إهمال أو اختصار فإن جميع المراجع تتفق على الزيادة التالية : حتى حج فحججبت معه وعدل فعدلت معه بالإداوة فبرز ثم جاء فمسكت على يده من الإداوة فتوضأ ثم قلت : يا أمير المؤمنين ! من المرأتان من أزواج رسول الله ﷺ اللتان قال الله لهما ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ .

وتهجره إحدانا اليوم إلى الليل ؛ قال : قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر ؛
أفتأمن إحدان أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ فإذا هي قد هلكت ،
فلا تراجعى رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً وسلينى ما بدا لك ولا يغرنك أن
كانت جارتك أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك - يريد عائشة ؛ قال :
وكان لى جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ فينزل يوماً
وأنزل يوماً فيأتينى بخبر الوحي وغيره وآتية بمثل ذلك وكنا نتحدث أن غسان
تنعل الخيل لتغزونا ، قال : فنزل صاحبى يوماً ثم أتانى عشاء فضرب على بابى
ثم نادانى ؟ فخرجت إليه فقال : حدث أمر عظيم ! فقلت : وماذا ؟ أ جاءت
غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأطول ! طلق رسول الله ﷺ نساءه
فقلت : خابت حفصة وخسرت ، قد كنت أظن هذا كائناً ، فلما صليت
الصبح شددت على ثيابى ثم نزلت فدخلت على حفصة فإذا هي تبكى ،
فقلت : أطلقكن رسول الله ﷺ ؟ فقال لا أدري ، هوذا معتزل فى هذه المشربة ،
قال : فأتيت غلاماً له أسود فقلت : استأذن لعمر ، فدخل الغلام ثم خرج إلى
وقال : قد ذكرتكم به ولم يقل شيئاً ، فانطلقت حتى أتيت المسجد فإذا قوم
حول المنبر جلسوا يكي بعضهم إلى بعض ، قال : فجلست قليلاً ثم غلبنى ما
أجد فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر ، فدخل ثم خرج إلى وقال : قد
ذكرتكم له فصمت ، فرجعت ثم جلست إلى المنبر ، ثم غلبنى ما أجد فأتيت
الغلام فقلت : استأذن لعمر ، فدخل ثم خرج إلى فقال : قد ذكرتكم له
فنسكت ، فوليت مديراً فإذا الغلام يدعونى ويقول : ادخل ، قد أذن لك ،
فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر
بجنبه فقلت : أطلقت يا رسول الله ﷺ نساءك ؟ قال : فرفع رأسه إلى وقال :
« لا » ، فقلت : الله أكبر ! لو رأيتنا يا رسول الله ﷺ وكنا معشر قريش تغلب
النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من
نساؤهم ، فتغضبت على امرأتى يوماً فإذا هي تراجعنى ، فأنكرت ذلك عليها

فقلت لى : أنتكر أن أرجعك ! فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه ونهجره إحداهن اليوم إلى الليلة ! قال : فقلت : قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر ! أتأمن إحداهن أن يغضب الله عليهم لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت ! قال : فتبسم رسول الله ﷺ ! فقلت : يا رسول الله ! فدخلت على حفصة فقلت لها : لا تراجعى رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً وسلينى ما بدا لك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك ، قال : فتبسم رسول الله ﷺ أخرى ، فقلت أستأنس يا رسول الله ؟ قال : « نعم » ، قال : فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أهبة ثلاثة ، فقلت يا رسول الله ، ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع الله على فارس والروم وهم لا يعبدونه ، قال : فاستوى جالساً ثم قال : « أوفى شك أنت يا ابن الخطاب ! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا » ، فقلت : استغفر لى يا رسول الله ! وكان أقسم أن لا يدخلن عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله .

قال الزهرى : فأخبرنى عروة عن عائشة قالت : فلما مضى تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله ﷺ ، بدأ بى ، فقلت : يا رسول الله ! إنك أقسمت أن لا تدخلن علينا شهراً وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن ، فقال : « إن الشهر تسع وعشرون » ، ثم قال : « يا عائشة ! إني ذاكر لك أمراً فلا أراك أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك » ! قلت : ثم قرأ على الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ - إلى قوله : ﴿ عَظِيمًا ﴾ (١) قالت عائشة : قد علم والله أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه ، فقلت : أفى هذا أستأمر أبوى فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة .

قال : فى أول هذه السنة هجر رسول الله ﷺ نساءه شهراً ، وكان السبب فى ذلك أن رسول الله ﷺ ذبح ذبائحاً فأمر عائشة أن تقسم بين أزواجه ، فأرسلت إلى زينب بنت جحش نصيبها فردته ، قال : « زيديها » ، فزادتها ثلاثاً ، كل

(١) سورة الأحزاب آية ٢٨ .

ذلك ترده ، فقالت عائشة : قد أقمأت^(١) وجهك . فقال رسول الله ﷺ : « أنتن أهون على الله من أن تغضبن ، لا أدخل عليكن شهراً » ! فدخل عليهن بعد مضي تسع وعشرين يوماً .

ثم بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجرز في صفر إلى الحبشة فانصرف ولم يلق كيداً .

وفي هذه السرية أمر علقمة أصحابه أن يوقدوا ناراً عظيماً ثم أمرهم أن يقتحموا فيها ، فتحرزوا وأبوا ذلك ؛ فقال النبي ﷺ : « من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه » .

ثم قدم على رسول الله ﷺ وقد بلى في ربيع الأول ، ونزل على ربيعة بن ثابت البلوى .

وقدم وفد بني ثعلبة بن منقلد . وفيها وفد سعد هذيل .

وقدم الداريون من لخم عشرة أنفس : هانيء بن حبيب والفاكه بن النعمان وحبله بن مالك وأبو هند بن بر وأخوه الطيب بن بر وتميم بن أوس ونعيم بن أوس ويزيد بن قيس وعروة بن مالك وأخوه مرة بن مالك ، وأهدوا إلى رسول الله ﷺ راوية خمر ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الله قد حرم الخمر » ، فأمرؤا يبيعها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الذي حرم شربها حرم بيعها » .

وقدم وفد بني أسد فقالوا : يا رسول الله ! قدمنا عليك قبل أن ترسل إلينا رسولاً ، فنزلت هذه الآية ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾^(١) .

وقدم عروة بن مسعود بن معتب الثقفي على رسول الله ﷺ فأسلم ، ثم

(١) أي أذلت وفي الأصل : أقمأت ، والتصحيح من سنن ابن ماجه واللفظ فيها هكذا : إنما آلى لأن زينب ردت عليه هديته فقالت عائشة : لقد أقمأتك ! فغضب رسول الله ﷺ فألقى منهن - راجع باب الإيلاء من كتاب الطلاق .

(٢) سورة الحجرات آية ١٧ ، وقد ذكرت هذه الوفادة في الطبري ٣ / ١٣٩ وفي الطبقات - القسم الثاني من الجزء الأول ص ٣٩ .

استأذن أن يرجع إلى قومه فيدعوهم إلى الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « هم قاتلوك » ! قال : أنا أحب إليهم من أبكار أولادهم ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فخرج إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام وأذن بالصبح على غرفة ، فرماه رجل من بنى ثقيف بسهم فقتله .

وبعث رسول الله ﷺ الضحاك بن سفيان الكلابي إلى القرطاء سرية فأصابهم بغدير الرج ، وكتب إليهم النبي ﷺ كتاباً فأبوا ورقعوا كتابهم بأسفل دلوهم .

وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب سرية إلى الفلّس من بلاد طيء في ربيع الآخر ، فأغار عليهم وسبى منهم نساء فيهن أخت عدى بن حاتم .

ثم نعى رسول الله ﷺ النجاشي للناس في رجب وقال : « صلوا على صاحبكم » ، فقام فصلى هو وأصحابه وصفوا خلفه ، وكبر عليه أربعاً .

ثم أمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ

لغزوة الروم

في شدة الحرب وجذب من البلاد حين طاب الثمار وأحبت الظلال ، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا ورى بغيرها غير غزوة تبوك هذه ، فإنه أمر التأهب لها لبعث الشقة وشدة الزمان ؛ وحض رسول الله ﷺ أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله ورغبهم في ذلك ، وحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم من نفقته ، ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاؤون وهم سبعة نفر ، فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة ، فقال : « لا أجد ما أحملكم عليه توكّلوا وأعنيهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون »^(١) وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم فاعتذروا إلى رسول الله ﷺ بعذرهم وهم بنو غفار ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأ بهم النية عن رسول الله ﷺ حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك أخو بنى سلمة مرارة بن الربيع أخو بنى عمرو بن عوف وهلال بن أمية أخو بنى واقف وأبو خيثمة أخو

(١) سورة التوبة الآية (٩٢) .

بنى سالم ، وكانوا نفر صدق ولا يتهمون فى إسلامهم ، فخرج رسول الله ﷺ من المدينة وضرب معسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبى بن سلول معسكره أسفل منه ، وخلف رسول الله ﷺ على بن أبى طالب على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، واستخلف على المدينة سباع بن عرفة أخا بنى غفار ، فقال المنافقون : والله ما خلفه علينا إلا استثقلاً له ، فلما سمع ذلك على أخذ سلاحه ثم خرج حتى لحق رسول الله ﷺ وهو نازل بالجوف وقال : يا نبي الله ! زعم المنافقون أنك إنما خلفتني استثقلاً ؟ فقال : « كذبوا ، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى ، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك ! ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى » ! فرجع على إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ ، وتخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين ، فلما نزل رسول الله ﷺ بالحجر استقى الناس من بئرها ، فلما راحوا منها قال رسول الله ﷺ : « لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضأوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلقوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً » ؛ ثم دعا رسول الله ﷺ فأرسل الله السحاب فأمطر حتى ارتوى الناس وتوضأوا . ثم إن رسول الله ﷺ نزل فى بعض المنازل فضلت ناقته فخرج أصحابه فى طلبها ، فقال بعض المنافقين : أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ! فقال رسول الله ﷺ : « والله ما أعلم إلا ما علمنى الله ! وقد علمنى أنها فى الوادى بين شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها » ، قال : « فانطلقوا حتى تأتوا بها فذهبوا فجاءوا بها ، ثم سار رسول الله ﷺ فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون : والله يا رسول الله ! تخلف فلان ، فيقول : دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم ، حتى قيل له : يا رسول الله ! تخلف أبو ذر وأبطأ به بغيره ، فقال : دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، فلما أبطأ على أبى ذر بغيره أخذ متاعه على ظهره وترك بغيره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً ونزل رسول الله ﷺ فى بعض منازلهم ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله !

رجل على الطريق يمشى وحده ! فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا ذر » ! فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله هذا والله أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ : « رحم الله أبا ذر يعيش وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » ؛ فأنتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك ، فلما أتاه أتاها يحنة ابن رؤية صاحب أيلة ، وصالح على رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية ، وكتب رسول الله ﷺ لكل كتاباً وهو عندهم ، فكتب ليحنة بن رؤية « بسم الله الرحمن الرحيم - هذه أمانة من الله ومن محمد النبي ﷺ ليحنة بن رؤية وأهل بلده وسيارته في البر والبحر ، فهم في ذمة الله وذمة محمد النبي ﷺ ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب للناس ممن أخذه ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر وبحر » وكتب جهيم بن الصلب بأمر رسول الله ﷺ .

وكتب لأهل جرباء وأذرح « بسم الله الرحمن الرحيم - هذا كتاب من محمد النبي ﷺ لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة . والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان ، ومن لجأ إليهم من المسلمين ؛ وقد كان أبو خيثمة أحد بني سالم رجع بعد أن خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيأت له فيه طعاماً ، فلما دخل أبو خيثمة قام على باب العريشين ونظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ في الريح والحر وأبو خيثمة في ظلال باردة وطعام مهياً وامرأة حسناء في ماله مقيم ! ما هذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ! فهيأتا له زاداً ، ثم قدم ناضحه فارتحلة ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ ، فبينما أبو خيثمة يسير إذ لحقه عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ ، فترافقاً حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لي ذنباً ، فلا عليك

أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ ففعل عمير ، ثم سار أبو خيثمة حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا جيثمة » ! فقالوا : يا رسول الله ! هو والله أبو خيثمة ! فلما أناخ أقبل وسلم على رسول الله ﷺ ثم أخبره الخبر ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ؛ ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد وبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة ، وكان ملكاً عليهم وكان نصرانياً فقال رسول الله ﷺ لخالد : « إنك ستجده يصيد بقر الوحش » ، فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك قرونها بباب القصر فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد ، فنزل أكيدر دومة وأمر بفرسه فأسرج وركب في نفر من أهل بيته ومعه أخوه حسان ، فلما خرجوا بمطاردهم تلقّتهم خيل رسول الله ﷺ معهم خالد بن الوليد فقتلوا أخاه حسناً ، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به إلى رسول الله ﷺ ، فلما قدم به على رسول الله ﷺ جعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من هذا ! والذي نفس محمد بيده ! المناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا » ؛ ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله ، ورجع إلى قريته .

وافتقد رسول الله ﷺ كعب بن مالك فقال : « ما فعل كعب بن مالك » ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله ! حبسه براده والنظر في عطفه ، فقال له معاذ بن جبل : بئس والله ما قلت ! والله يا رسول الله ما علمنا إلا خيراً ! فسكت رسول الله ﷺ . وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة يقصر الصلاة ولم يجاوزها ؛ ثم انصرف قافلاً إلى المدينة ، وكان في الطريق ماء يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له : المشقق ، فقال

رسول الله ﷺ : « من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى آتية » ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وضع يده فيها فجعل ينصب في يده ما شاء الله أن ينصب ثم مجه فيه ودعا الله بما شاء أن يدعو فانخرق من الماء ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ؛ فقال رسول الله ﷺ : « لئن بقيتم - أو بقى منكم - لتسمعن بهذا الوادى وهر أخصب ما بين يديه وما خلفه » ، وذلك الماء فواره تبوك اليوم .

ثم إن رسول الله ﷺ نزل بعض المنازل ومات عبد الله ذو البجادين فحفروا له ، ونزل رسول الله ﷺ في حفرته وأبو بكر وعمر يدلّيانه إليه وهو يقول : « أدليا لى أخاكما فأدلوه إليه ، فلما هياه لشقه قال رسول الله ﷺ : « اللهم ! إني قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه فقال عبد الله بن مسعود : يا ليتنى كنت صاحب الحفرة » .

وكان المسلمون يقولون : لا جهاد بعد اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : « لا ينقطع الجهاد حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ، وجعل رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة مساجد في منازل معروفة إلى اليوم ، فأولها مسجد تبوك ومسجد بثنية مدران ومسجد بذات الزراب ومسجد بالأخضر ومسجد بذات الخطمي ومسجد بذات البتراء ومسجد بالشق ومسجد بذى الجيفة ومسجد بالصدر ومسجد وادى القرى الرقعة ومسجد بذى مروة ومسجد بالفيفاء ومسجد بذى خشب .

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المنافقون فيهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وغيرهم ، فجعلوا يعتزرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعه وثمانين رجلاً فكان رسول الله ﷺ يقبل منهم على نيتهم ويكل سرائرهم إلى الله حتى جاء كعب بن مالك فسلم عليه ، فتبسم رسول الله ﷺ تبسم المغضب ثم قال : « تعال » ! فجاء كعب بن مالك يمشى حتى جلس

بين يديه ، فقال له النبي ﷺ : « ما خلفك ! ألم تكن ابتعت ظهرك » ؟ قال : بلى يا رسول الله ﷺ ! والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلاً وإن لى لساناً ، ولكن والله ! لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كاذباً لترضين به عنى وليوشكن الله أن يسخطك علىّ ، ولئن حدثتك حديثاً صادقاً تجد علىّ فيه ، وإنى لأرجو عقيبي الله فيه ، لا والله ما كان لى عذراً ! والله ما كنت قط أقوى وأيسر منى حين تخلفت عنك ! فقال رسول الله ﷺ : « أما هذا فقد صدق ، قم حتى يقضى الله فيك » ، فقام وثار معه رجال من بنى سلمة واتبعوه وقالوا : ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ كما اعتذر إليه المخلفون ، وقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك ، وجعلوا ينوبونه حتى أراد أن يرجع إلى رسول الله ﷺ ويكذب نفسه ثم قال لهم : هل لقي هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالاً مثل ما قلت وقال لهما ما قال لك ، قال : ومن هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفى .

ثم نهى رسول الله ﷺ عن كلام هؤلاء الثلاثة ؛ فأما مرارة وهلال فقعدا فى بيوتهما ، وأما كعب بن مالك فكان أشب القوم وأجلدهم ، وكان يخرج ويشهد الصلاة مع المسلمين ويطوف فى الأسواق ولا يكلمه أحد ، ويأتى رسول الله ﷺ ويسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ويقول فى نفسه : هل حرك شفتيه برد السلام علىّ أم لا ! ثم يصلى قريباً منه ويسارقه النظر ، فإذا أقبل كعب على صلاته نظر إليه رسول الله ﷺ ، وإذا التفت نحوه أعرض عنه ، حتى طال ذلك عليه من جفوة المسلمين .

ثم مر كعب حتى تسور جدار أبى قتادة - وهو ابن عمه وأحب الناس إليه - فسلم عليه ، فلم يرد عليه السلام ، فقال له : يا أبا قتادة ! أنشدك الله هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت فعاد ينشده ، فقال : الله ورسوله أعلم ، فتأملت

عينا كعب ووثب فتسور الجدار ثم غدا إلى السوق ، فبينما هو يمشى وإذا نبطى من نبط الشام يسأل عنه ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة وهو يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فجعل الناس يشيرون إليه حتى جاء كعباً فدفع إليه كتاباً من ملك غسان في سرقة حرير فيه : أما بعد فإنه بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة فالحق بنا نواسك ، فلما قرأ كعب الكتاب قال : وهذا من البلاء أيضاً ، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك ، ثم عمد بالكتاب إلى تنور فسجره به ، ثم أقام على ذلك حتى إذا مضى أربعون ليلة أتاه رسول الله ﷺ فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرک أن تعتزل امرأتک ! فقال كعب : أطلقها أم ماذا ؟ قال : بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى مرارة وهلال بمثل ذلك ، فقال كعب لا مرأته : الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض ، وجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت : يا رسول الله ! إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، أفتركه أن أخدمه ، قال : لا ، ولكن لا يقربنك ! قالت : والله يا رسول الله ما به حركة إلى ! والله ما زال يبكى منذ كان أمره ما كان إلى يومه هذا ، والله لقد تخوفت على بصره ؛ فلبثوا بعد ذلك عشر ليال حتى كمل خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامهم ، فصلى كعب بن مالك الصبح على ظهر بيت من بيوته على الحال التى ذكر الله منه : ضاقت عليه الأرض برحبها وضاقت عليه نفسه ، إذ سمع صوت ضارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ! أبشر ، فخر كعب لله ساجداً وعرف أنه قد جاء الفرج ، وأخبر رسول الله ﷺ بتوبة الله عليهم حين صلى الصبح ، ثم جاء كعباً الصارخ بالبشرى فنزع ثوبيه فكساهما إياه ببشارته ، واستعار ثوبين فلبسهما ، ثم انطلق يؤم رسول الله ﷺ ، وتلقاه الناس يتهنأونه بالتوبة ويقولون : ليهنك توبة الله عليك ! حتى دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إليه طلحة بن عبيد الله وهنأه ، فلما سلم كعب على

رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ ووجهه يبرق بالسرور : « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » ! فقال كعب : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال « بل من عند الله » ! ثم جلس بين يديه فقال : يا رسول الله ! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : « أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » ، فقال : إني ممسك سهمي الذي بخير ، ثم قال : يا رسول الله ! إن الله قد نجاني بالصدق ، فإن توبتي إلى الله أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ، فتلا عليهم رسول الله ﷺ ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ - إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

ثم لاعن رسول الله ﷺ بين عويمر بن الحارث بن عجلان - وهو الذي يقال له عاصم - وبين امرأته بعد العصر في مسجد في شعبان ، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! لو أجدنا رأى امرأته على فاحشة كيف يصنع ؟ إن تكلم تكلم بأمر عظيم ! وإن سكت سكت على مثل ذلك ! فلم يجبه رسول الله ﷺ ، فلما كان بعد ذلك أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن الذي سألتك عنه قد ابتليت به ! فأنزل الله هذه الآيات ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ (٢) - حتى ختم الآيات ، فدعا رسول الله ﷺ عاصماً فتلا عليه ووعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فقال عاصم : لا والذي بعثك ! ما كذبت عليها ، ثم دعا بامرأته فوعظها وذكرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، قالت : لا والذي بعثك بالحق ! فبدأ بعاصم فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، وأمر رسول الله ﷺ فوضع يده على فيه عند الخامسة وقال : احذر فإنها موجبة ! ثم ثنى بامرأته فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين .

(١) سورة التوبة آية ١١٧ و ١١٨ ، وتوبة كعب هذه قد ألم بها في صحيح البخارى - المغازى -

وصحيح مسلم - التوبة ، ومسنند الإمام أحمد ٣ / ٤٥٦ ، وتفسير الطبرى سورة التوبة آية ١١٨ .

(٢) سورة النور آية ٦ وما بعدها .

والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ؛ ثم فرق بينهما والحق الولد بالأم .

وماتت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ في شعبان ، وغسلتها صفية بنت عبد المطلب ، ونزل في حفرتها عليّ والفضل وأسامة .

ورود على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير في رمضان مقرين بالإسلام ، فكتب إليهم رسول الله ﷺ كتاب جوابهم وبعثه مع عمرو بن حزم « بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله - ﷺ - إلى شرحبيل بن عبد كلال والحارث بن عبد كلال قيل ذى رعين ومعاقر وهمدان ، أما بعد ، فقد رفع رسولكم ، وأعطيتكم من المغنم خمس الله وما كتب الله على المؤمنين من العشر في العقار ، وما سقت السماء إذا كان سيحاً أو بعلاً ففيه العشر إذا بلغ خمسة أوسق ، وما سقى بالرشاء والدالية ففيه نصف العشر إذا بلغ خمسة أوسق ، وفي كل خمس من الإبل سائمة شاة إلى أن تبلغ أربعاً وعشرين ، فإذا زادت واحدة على أربع وعشرين ففيها ابنة مخاض فإن لم توجد بنت مخاض فابن لبون ذكر إلى أن تبلغ خمساً وثلاثين ، فإن زادت واحدة على خمس وثلاثين ففيها ابنة لبون إلى أن تبلغ خمساً وأربعين ، فإن زادت واحدة على خمس وأربعين ففيها حقة طروقة الجمل إلى أن تبلغ ستين . فإن زادت على الستين واحدة ففيها جذعة إلى أن تبلغ خمساً وسبعين ، فإن زادت واحدة على خمس وسبعين ففيها بنتا لبون إلى أن تبلغ تسعين ، فإن زادت واحدة على التسعين ففيها حقتان طروقتا الجمل إلى أن تبلغ عشرين ومائة ؛ فما زاد على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون ، وفي كل خمسين حقة طروقة الجمل وفي كل ثلاثين باقورة تباع جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين باقورة بقرة . وفي كل أربعين شاة سائمة شاة إلى أن تبلغ عشرين ومائة ، فإذا زادت على عشرين ومائة واحدة ففيها شاتان إلى أن تبلغ مائتين ، فإن زادت واحدة فثلاث إلى أن تبلغ ثلاثمائة ، فإن زادت ففي كل مائة شاة شاة . ولا تؤخذ في الصدقة بهرمة ولا

عجفاء ولا ذات عوار ولا تيس الغنم . ولا يجمع بين متفرق ، ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة ، وما أخذ من الخليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية . وفي كل خمس أواق من الورق خمسة دراهم ، وما زاد ففي كل أربعين درهماً درهم ، وليس فيما دون خمس أواق شيء . وفي كل أربعين ديناراً دينار . وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي الزكاة يزكى بها أنفسهم ، في فقراء المؤمنين وفي سبيل الله . وليس في رقيق ولا مزرعة ولا عمالها شيء إذا كانت تؤدي صدقتها من العشر ، وليس في عبد المسلم ولا فرسه شيء . وإن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الإشراف بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير حق ، والفرار في سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ، ورمي المحصنة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم . وإن العمرة هي الحج الأصغر ، ولا يمسه القرآن إلا طاهر . ولا طلاق قبل إهلاك ، ولا عتاق حتى يبتاع . ولا يصلين أحد منكم في ثوب واحد ليس على منكبيه شيء ، ولا يحتبئين في ثوب واحد (ليس بين فرجه وبين السماء شيء ، ولا يصلين أحدكم في ثوب واحد) وشقه باد ، ولا يصلين أحد منكم عاقصاً شعره . وإن من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فهو قود إلا أن يرضى أولياء المقتول . وإن في النفس الدية مائة من الإبل وفي الأنف إذا أوعب جده الدية وفي اللسان الدية ، وفي الشفتين الدية ، وفي البيضتين الدية وفي الذكر الدية ، وفي المأمومة ثلث الدية ، وفي الجائفة ثلث الدية وفي الرجل الواحدة نصف الدية ، وفي الصلب الدية ، وفي العينين الدية ، وفي المنقلة خمس عشرة من الإبل ، وفي السن خمس من الإبل ، وفي الموضحة خمس من الإبل . وإن الرجل يقتل بالمرأة . وعلى أهل الذهب ألف دينار « فقرأ الكتاب على أهل اليمن .

ثم بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن وذكر أنه ﷺ صلى الغداة ثم أقبل على الناس بوجهه فقال : يا معشر المهاجرين والأنصار ! أيكم ينتدب إلى اليمن ؟ فقال عمر بن الخطاب فقال : أنا يا رسول الله ! فسكت عنه ثم

قال : « يا معشر المهاجرين والأنصار » ! أيكم ينتدب إلى اليمن ؟ فقام معاذ ابن جبل فقال : أنا يا رسول الله ! فقال : « يا معاذ أنت لها ! يا بلال اثنتى بعمامتى » ! فأتاه بعمامته فعمم بها رأسه ، ثم خرج رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار يشيعون معاذاً وهو راكب ورسول الله ﷺ يمشى إلى جانب راحلته ، ثم قال : « يا معاذ ! أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة وترك الخيانة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخفض الجناح ، وحفظ الجار ، ولين الكلام ورد السلام ، والتفقه فى القرآن ، والجزع من الحساب ، وحب الآخرة على الدنيا ، يا معاذ ! لا تفسد أرضاً ، ولا تشتم مسلماً ، ولا تصدق كاذباً ولا تكذب صادقاً ، ولا تعص إماماً ، وإنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلتهم فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أن الله تعالى قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم فتد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس ، يا معاذ ! إنى أحب لك ما أحب لنفسى وأكره لك ما أكره لها ، يا معاذ ! إذا أحدثت ذنباً فأحدث له توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية ، يا معاذ ! يسر ولا تعسر ، واذكر الله عند كل حجر ومدر يشهد لك يوم القيامة ، يا معاذ ! عد المريض ، وأسرع فى حوائج الأراذل والضعفاء ، وجالس المساكين والفقراء ، وأنصف الناس من نفسك ، وقل الحق حيث كان ، ولا يأخذك فى الله لومة لائم ، والقنى على الحال التى فارقتنى عليها » . فقال معاذ : بأبى وأمى أنت يا رسول الله ! لقد حملتني أمراً عظيماً فادع الله لى على ما قلدتني عليه ، فدعا له رسول الله ﷺ ثم ودعه وانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة وأصحابه . ثم أردفه بأبى موسى الأشعرى ، فلما قدم صنعاء صعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم عهده ثم نزل ، فأتاه صناديد صنعاء فقالوا : يا معاذ ! هذا منزل قد هيناه لك وهذا منزل فرغناه لك ، قال : بهذا أوصانى حبيبى ، أوصانى رسول الله ﷺ أن لا تأخذك فى الله لومة

لائم ، وخلع رسول الله ﷺ معاذ بن جبل من ماله لغرمائه حيث اشتدوا عليه
وبعثه إلى اليمن وقال : « لعل الله يجبرك » ! .

وقد وفد كلاب على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر نفرأ فيهم ليبد بن ربيعة^(١) .

ثم بعث رسول الله ﷺ سرية مع جماعة من العرب ليس فيهم من المهاجرين
أحد ولا من الأنصار إلى بني تميم . فأغار عليهم وسبى منهم النساء والولدان ،
وأخذ منهم عشرين رجلاً فقدم بهم المدينة ، فوضع رسول الله ﷺ لحسان منبرأ
فقام عليه ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الله يؤيد حساناً بروح القدس » ، فقال
القوم : شاعرهم أشعر من شاعرنا وخطيبهم أخطب من خطيبنا .

وقد وفد الطائف ونزلوا دار المغيرة بن شعبة وطلبوا الصلح ، فأمر النبي ﷺ
خالد بن سعيد بن العاص أن يكتب لهم كتاب الصلح .

ومرض عبد الله بن أبي بن سلول في ليال بقين من شوال ، ومات في ذي
القعدة ، وكان النبي ﷺ يعود ، فلما مات جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فقال :
يا رسول الله ! أعطني قميصك أكفنه فيه ، فأعطاه رسول الله ﷺ قميصه ، وأتى
قبره فصلى عليه فنزلت الآية ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى
قَبْرِهِ ﴾ (٢) .

وقدم وفد بنى فزارة وهم بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن وقدم وفد
بنى عذرة ثلاثة عشر رجلاً ونزلوا على المقداد بن عمرو .

وفرض الله تعالى الحج على من استطاع إليه سبيلاً ، فبعث رسول الله ﷺ أبا
بكر يحج بالناس من المدينة في ثلاثمائة نفس ، وبعث معه عشرين بدنة مفتولة
قلائدها ، ففتلتها عائشة بيدها وقلدها وأشعرها ، وساق أبو بكر لنفسه خمس
بدنات ، وحج معه عبد الرحمن بن عوف فلما بلغ العرب وثوب بالصبح سمع
أبو بكر خلفه رغبة وأراد أن يكبر الصلاة فوقف عن التكبير وقال : هذه رغبة

(١) الشاعر الجاهلي المشهور أحد شعراء المعلقات السبع وعند ما دخل في الاسلام أنشد بيتا من الشعر قال
فيه الحمد لله الذي لم يأتني أجلى حتى كسانى من الاسلام سر بالآ

ثم امتنع عن قول الشعر وعندما أراد عمر بن الخطاب أن يستنشد شعرا أبى وقال لقد أبدلني الله خيرا من
الشعر وثلا سورة البقرة .

(٢) سورة التوبة آية ٨٤ .

ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء ، لقد بدا لرسول الله ﷺ في الحج ، فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلى معه ! فإذا على عليها فقال أبو بكر : أمير أم رسول ؟ فقال : لا ، بل رسول الله ﷺ أرسلني ببراءة أقرأها على الناس في مواقف الحج ، فقدموا مكة فقرأ على الناس سورة براءة حتى ختمها ، فلما كان يوم عرفة قام أبو بكر فخطب الناس وعرفهم مناسكهم ، حتى إذا فرغ قام على فقرأها على الناس حتى ختمها ، فلما كان يوم النحر خطب أبو بكر الناس وحدثهم عن إفاضتهم ونجرهم ومناسكهم ، فلما فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ينبذ إلى كل ذي حق حقه وذى عهد عهده وأن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، فلما كان يوم النفر الأول قام أبو بكر وخطب الناس وحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون فعلمهم مناسكهم ، فلما فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ، ثم رجعوا إلى المدينة .

السنة العاشرة من الهجرة

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ثنا محمد بن بشار ثنا أبو عامر ثنا قرة بن خالد عن أبي جمرة الضبعي قال : قلت لابن عباس : إن لى جرة ينبذ لى فيها ، فإذا أطلت الجلوس مع القوم خشيت أن أفتضح من حلاوته ، قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال : « مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى » ! قالوا : يا رسول الله ﷺ ! إن بيننا وبينك المشركين من مضر ، وإننا لا نصلى إليك إلا في أشهر الحرام فحدثنا جملاً من الأمر إذا أدخلنا به دخلنا الجنة وندعوا إليه من وراءنا ، فقال : « أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : الإيمان بالله ، وهل تدرون ما الإيمان بالله ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وأن تعطوا الخمس من المغنم ؛ وأنهاكم عن النيبذ في الدباء والنقير والحنتم والمزفت »^(١) .

قال : فى أول هذه السنة قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ ، فلما دنوا من المدينة تركوا رواحلهم وبادروا إلى النبى ﷺ ، ونزل عبد الله بن الأشج

(١) النيبذ والنقير والحنتم والمزفت كلها أنواع للخمر وهى حرام .

العبدى فعقل راحلته ونزع ثيابه فلبسها ثم أتى رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ :
« إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة » - سألوا عما ذكرنا .

ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى عبد المدان فى شهر ربيع
الأول وهم بنو الحارث بن كعب وأسلموا ، وأخذ الصدقة من أغنيائهم وردّها
على فقرائهم .

ثم بعث رسول الله ﷺ عمرو بن حزم عاملاً على نجران ، فخرج وأقام
عندهم يعلمهم السنة ومعالم الإسلام إلى أن توفى رسول الله ﷺ وهو على
نجران .

وقدم عدى بن حاتم الطائى ومعه صليب من ذهب ، فقال النبي ﷺ :
« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » .

وقدم بعده وفد طيء فيهم زيد الخيل وهو رأسهم^(١) .

ثم قدم جرير بن عبد الله البجلي ، فبعثه رسول الله ﷺ إلى هدم ذى
الخلصة، فهدمها .

ثم قدم وفد الأزد رأسهم صرد بن عبد الله فى بضعة عشر رجلاً ، وبعثه
رسول الله ﷺ إلى جرش فافتتحها ، وكان عاملاً للنبي ﷺ .

وولد محمد بن عمرو بنجران ، فكتب عمرو إلى رسول الله ﷺ بذلك
وأخبره أنه سماه محمداً وكناه أبا سليمان .

وقدم وفد سلامان ، وهم سبعة نفر رأسهم حبيب السلامانى .

وقدم وفد بنى حنيفة فيهم مسيلمة فقال : يا محمد ! إن جعلت لى الأمر
بعدك آمنت بك وصدقتك ، وفى يد رسول الله ﷺ جريدة فقال النبي ﷺ : « لو
سألتنى هذه الجريدة ما أعطيتكها ! ولن تعدوا أمر الله فيك ، ولن أدبرت ليغفرن
لك الله ، إني لأراك الذى أريت » ، وذلك أن رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا نائم

(١) أى أميرهم وقائدهم .

رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما ، فأوحى إليّ في المنام أن أنفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما الكذابين : أحدهما العنسي ، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة .

وقدم وفد غسان ووفد عبس ووفد كندة ووفد محارب ووفد خولان ، وكان النبي ﷺ إذا قدم عليه الوفود لبس أحسن ثيابه وأمر أحبابه بذلك .

وقدم وفد مراد رأسهم فروة بن مسيك المرادي ، واستعمله رسول الله ﷺ على مراد ومذحج . وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد على الصدقات إليهم وكتب لهم كتاباً بذلك .

ودخل أبو ذر على رسول الله ﷺ المسجد وهو جالس وحده فقال : « يا أبا ذر ! إن للمسجد تحية » ، قال : وما تحيته يا رسول الله ؟ قال : « ركعتان » ، فقام فركعهما ، ثم قال : إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة ؟ قال : « خير موضوع فمن شاء أقل ومن شاء أكثر » ! فقال : يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : « إيمان بالله وجهاد في سبيله » ، فأى المؤمنين أكملهم إيماناً ؟ قال : « أحسنهم خلقاً » ، قال : فأى المسلمين أفضل ؟ قال « من سلم المسلمون من لسانه ويده » ، قال : فأى الهجرة أفضل ؟ قال : « من هجر السوء » قال : فأى الليل أفضل ؟ قال : « جوف الليل الغابر » ، قال : فأى الصلاة أفضل ؟ قال : « طول القنوت » ، قال : فأى الرقاب أفضل ، قال : « أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها » ، قال : فأى الجهاد أفضل ؟ قال : من عقر جواده وأهريق دمه » ، قال : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : « جهد من مقل إلى فقير في سر » ، قال : فما الصوم أفضل ؟ قال : « فرض مجزى وعند الله أضعاف كثيرة » ، قال : فأى آية مما أنزلها الله عليك أفضل ؟ قال : « آية الكرسي » ، قال : يا رسول الله ! كم النبيون قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي قال : كم المرسلون منهم ؟ قال : « ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً » ، قال : من كان أول الأنبياء ؟ قال : « آدم » ، قال : وكان من الأنبياء مرسلأ ؟

قال : « نعم ، خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه وكلمه قبلاً ، ثم قال : يا أبا ذر ! أربع من الأنبياء سريانئون : آدم وشيث وخنوخ - وهودادريس ، وهو أول من خط بالقلم - ونوح ؛ وأربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ونيك محمد ، وأول الأنبياء آدم وآخرهم محمد ﷺ ، وأول نبي من أنبياء بنى إسرائيل موسى وآخرهم عيسى ، وبينهما ألف نبي » ؛ قال : يا رسول الله ! كم أنزل الله من كتاب ؟ قال : مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل على شيث خمسين صحيفة ، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة ، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف ، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والأنجيل والزبور والفرقان » ؛ قال : يا رسول الله ! فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : « كانت أمثالا كلها : أيها الملك المسلط المبتلى المغرور ! إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر ؛ وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال ، فإن هذه الساعة عون لتلك الساعات واستجمام للقلوب ، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه ، فإنه من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه ؛ وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث مreme لمعاش ، وتزود لمعاد وتلذذ في غير محرم » ؛ وقال : يا رسول الله ! فما كانت صحف موسى ؟ قال : « كانت عبراً كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح ، وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب ، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل » ، قال : هل أنزل الله عليك شيئاً مما كان في صحف إبراهيم وموسى ؟ قال : « يا أبا ذر تقرأ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (١٥) » ؛ قال : يا رسول الله ! أوصني ، قال : « أوصيك بتقوى الله فإنه زين لأمرك » ، قال : زدني ، قال : « عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر

دينك ، وإياك والضحك فإنه يميت القلوب ويذهب نور الوجه » ، قال : زدنى ، قال : « أحب المساكين ومجالستهم » ، قال : زدنى ، قال : « قل الحق ولو كان مرأ » ، قال : زدنى ، قال : « لا تخف فى الله لومة لائم » ، قال : زدنى ، قال : « ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتى » ، ثم قال : « يا أبا ذر ! كفى للمرء غيأ أن يكون فيها خصال : يعرف من الناس ما يجهل من نفسه ، ويتجسس لهم ما هو فيه ، ويؤذى جلسيه فيما لا يعنيه ، يا أبا ذر ! لا عقل كالتيدير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق » .

ثم بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه سرية إلى اليمن فى شهر رمضان ، قال : يا رسول الله ! كيف أصنع ؟ قال : « إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك ، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً ، فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا تقاتلوهم حتى تروهم أناة فإذا أتيتهم فقل لهم : هل لكم أن تخرجوا من أموالكم صدقة فتردونها على فقرائكم ، فإن قالوا : نعم ، فلا تبغ منهم غير ذلك ؛ ولأن يهدى الله على يدك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس » .

ونزل على رسول الله ﷺ « لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ »^(١) فجاء عبد الله بن أم مكتوم فقال : يا رسول الله ﷺ إني أحب الجهاد فى سبيل الله ولكن بى ما ترى ، قد ذهب بصرى ، قال زيد بن ثابت : فثقلت فخذة على فخذى حتى خشيت أن ترضاها : ثم قال « غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ » .

وقدم العاقب والسيد من نجران فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً صالحهم عليه - فهو فى أيديهم إلى اليوم ، وقال : يا رسول الله ابعث علينا رجلاً أميناً تعطيه ما سألتنا ، فقال النبي ﷺ : « لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين » .

فاستشرف لها الناس فبعث أبا عبيدة بن الجراح ؛ ومات أبو عامر الراهب عند هرقل ، فاختلف كنانة بن عبد ياليل بن علانة في ميراثه ، فقضى برسول الله ﷺ لكنانة بن عبد ياليل .

وقدم الأشعث بن قيس وافداً إلى رسول الله ﷺ في قومه ، فبعث معه رسول الله ﷺ زياد بن لبيد البياضى إلى البحرين ليأخذ منهم الصدقات .

وبينما رسول الله ﷺ قاعد مع أصحابه إذ طلع عليهم رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منهم أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فوضع ركبته إلى ركبته ووضع كفه على فخذه ، ثم قال : يا محمد ! أخبرنى عن الإسلام ؟ قال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » ، قال : صدقت ! فعجبت المسلمون منه يسأله ويصدقونه ؛ ثم قال : أخبرنى عن الإيمان ، قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره » ، قال : صدقت ؛ قال : أخبرنى عن الإحسان ، قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ؛ قال : صدقت ، قال : فأخبرنى عن الساعة ، قال : « ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل » ، قال : فأخبرنى عن أماراتها ، قال : « أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة يتطاولون في البنيان » ، قال : ثم انطلق فقال رسول الله ﷺ : « هذا جبريل ، أتاكم يعلمكم دينكم » .

ثم إن النبي ﷺ أراد أن يحج حجة الوداع فأذن في الناس أنه خارج ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتى برسول الله ﷺ ، حتى أتى ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبى بكر فأرسلت إلى رسول الله ﷺ : كيف أصنع ؟ قال : « اغتسلى ، واستشفرى بثوب وأخرى » . ثم صلى رسول الله ﷺ فى المسجد وأمر ببدنة أن تشعر وملت عنها الدم ، ثم ركب القصواء فلما استوت به ناقته على البيداء أهل ، وإن بين يديه وخلفه وعن يمينه ويساره

من الناس ما بين راكب وماش ، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم ، فأهل : لبيك اللهم لبيك ! لا شريك لك لبيك ! إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ؛ وأهل الناس معه ، فمنهم من أهل مفرداً ومنهم من أهل قارناً ، حتى قدم رسول الله ﷺ مكة من الثنية ، فلما دخل مكة توجهاً إلى الصلاة ثم دخل من باب شيبة ، فلما أتى الحجر استلمه ، ورمل ثلاثاً ومشى أربعاً ، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ وجعل المقام بينه وبين البيت وصلى ركعتين ، قرأ فيهما ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، ثم رجع إلى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب إلى الصفا ، فلما رقى على الصفا قرأ ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ وقال : « أبدأ بما بدأ الله » ، فلما رقى عليها ورأى البيت استقبل القبلة وقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أئجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده - قال ذلك ثلاث مرات ، فلما نزل إلى المروة حتى انصبت قدماء في بطن الوادي خب ، حتى إذا صعد مشى ، فلما أتى المروة صعد عليها وفعل عليها ما فعل على الصفا ، حتى إذا كان آخر طواف على المروة فقال : لو استقبلت ما استدبرت لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة » ، فقال سراقه بن مالك بن جعشم : يا رسول الله ! لعامنا هذا أو للأبد ؟ فشبك رسول الله ﷺ بين أصابعه وقال : « دخلت العمرة في الحج - مرتين - لا ، بل للأبد » .

وقدم عليّ من اليمن فوجد فاطمة قد لبست ثياب صبغ واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها فقالت : أبي أمرني بهذا ! ثم قال النبي ﷺ لعلي : « بم فرضت الحج » ؟ قال : قلت : اللهم ! إني أهل بما أهل به رسولك . فقال رسول الله ﷺ : « فإن معي الهدى فلا تحل » ، فكان الهدى الذي قدم به علي بن أبي طالب من اليمن والذي أتى به النبي ﷺ مائة ، فحل الناس وقصروا إلا النبي

ﷺ ومن كان معه هدى .

واعتل سعد بن أبي وقاص فدخل عليه رسول الله ﷺ ، فبكى سعد فقال له النبي ﷺ : ما يبكيك ؟ . فقال : خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها كما مات سعد بن خولة ! فقال النبي ﷺ : « اللهم اشف سعداً » - ثلاثاً ، فقال : يا رسول الله ! إن لي مالا كثيراً ، وأنعماً ، ومورثتي بنت لي واحدة ، أفأوصي بمالي كله ؟ قال : لا ، قال : فالنصف ؟ قال : « لا » ، قال : الثلث ؟ قال : « الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن صدقت مالك صدقة ، وإن نفقتك على عيالك صدقة ، وما تأكل امرأتك من طعامك صدقة ، وأن تدع أهلك بخير خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس ، اللهم أَمْضْ لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم » ، لكن البائس سعد بن خولة ، يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة .

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى وأهل الناس بالحج ، فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح بمنى ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبة له فضربت له بنمرة ، ثم سار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية ، فجاز رسول الله ﷺ حتى جاء عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له ، فلما أتى بطن الوادي خطب الناس وقال في خطبته : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة ، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي إن اعتصمتم به : كتاب الله ، وأنتم تسألون عني فماذا أنتم قائلون » ؟ قالوا : نشهد أنك قد

بلغت وأدبت ونصحت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء : « اللهم اشهد » ! ثم أذن وأقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً ، ثم ركب حتى أتى الموقف فجعل بطن القصواء إلى الصخرة وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفاً - والمسلمون معه - حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً . ثم أردف أسامة بن زيد خلفه ودفع رسول الله ﷺ وقد شفق للقصواء الزمام ويقول بيده اليمنى : « أيها الناس السكينة ! كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد » ، فلما أتى المزدلفة صلى بها المغرب والعشاء بإذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً ، ثم اضطجع حتى طلع الفجر وصلّى الفجر حين تبين له الصبح بإذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة ودعا وكبر وهلل ، ثم لم يزل واقفاً حتى أسفر جداً ، ثم دفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس حتى أتى محسر فسلك الطريق الوسطى التي تخرج إلى الجمرة الكبرى ، فلما أتى الجمرة رماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ، رماها من بطن الوادي بمثل حصى الخذف ، ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده ، ثم أعطى علياً فنحر ما غبر منها وأشركه في هديه ، وأمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ، ثم ركب رسول الله ﷺ القصواء فأتى البيت فطاف طواف الزيارة ، ثم قال : « يا بني عبد المطلب انزعوا ، فلولا أن يغلبكم الناس لنزعت معكم » ، فناولوه دلواً من زمزم فشرب منه ، ثم رجع ﷺ إلى منى وصلى الظهر بها ثم أقام بها أيام منى ، ثم ودع البيت وخرج إلى المدينة حتى دخلها والمسلمون معه فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وبعض صفر .

ذكر وفاة رسول الله ﷺ

أخبرنا أبو يعلى حدثنا أحمد بن جميل المروزي ثنا عبد الله بن المبارك أنا معمر عن يونس عن الزهري أخبرني أنس بن مالك أن المسلمين بينما هم في

صلاة الفجر يوم الإثنين وأبو بكر يصلى لهم لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم صفوف فى صلاتهم ، ثم تبسم ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة ، وهم المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ حين رأوه ، فأشار إليهم رسول الله ﷺ أن اقضوا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر بينه وبينهم وتوفى فى ذلك اليوم .

قال : أول ما اشتكى رسول الله ﷺ كان ذلك يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر وهو فى بيت ميمونة حتى أغمى عليه من شدة الوجع ، فاجتمع عنده نسوة من أزواجه والعباس بن عبد المطلب وأم سلمة وأسماء بنت عميس الخثعمية وهى أم عبد الله بن جعفر وأم الفضل بنت الحارث وهى أخت ميمونة ، فتشاوروا فى رسول الله ﷺ حين أغمى عليه فلدوه وهو مغمر ، فلما أفاق قال : « من فعل بى هذا » ؟ قالوا : يا رسول الله ! عمك العباس ، قال : هذا عمل نساء جئن من ههنا » - وأشار إلى أرض الحبشة ، فقالوا : يا رسول الله ! أشفقن أن يكون بك ذات الجنب ، فقال رسول الله ﷺ : « ما كان الله ليعذبنى بذلك الداء » ، ثم قال : « لا ييقين أحد فى الدار إلا لد إلا العباس » .

فلما ثقل برسول الله ﷺ العلة استأذنت عائشة أزواجه أن تمرضه فى بيتها فأذن لها ، فخرج رسول الله ﷺ بين رجلين تخط رجلاه فى الأرض : بين عباس وعلى ، حتى دخل بيت عائشة ، فلما دخل بيتها اشتد وجعه فقال : « أهريقوا على من سبع قرب لم تخلل أو كيتهن لعلى أعهد إلى الناس » ، فأجلسوه فى مخضب لحفصة ثم صب عليه من تلك القرب حتى جعل يشير إليهن بيده أن قد فعلتن ، ثم قال : « ضعوا لى فى المخضب ماء » ، ففعلوا فذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق قال : « ضعوا لى فى المخضب ماء » . ففعلوا ، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه فأفاق وقال : « أصلى الناس بعد » ؟ قالوا : لا يا رسول الله وهم ينتظرونك ، والناس عكوف ينتظرون رسول الله ﷺ ليصلى

بهم العشاء الآخرة ، فقال : « مروا أبا بكر أن يصلى بالناس » ، فقالت عائشة : يا رسول الله ! إن أبا بكر رجل رقيق وإنه إذا قام مقامك بكى ، فقال : « مروا أبا بكر يصلى بالناس » ، ثم أرسل إلى أبى بكر فأتاه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلى بالناس ، فقال أبو بكر : يا عمر ! صل بالناس ! فقال : أنت أحق ، إنما أرسل إليك رسول الله ﷺ ، فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام .

ثم وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج لصلاة الظهر بين العباس وعلى وقال لهما : « أجلساني عن يساره » ، فكان أبو بكر يصلى بصلاة رسول الله ﷺ وهو جالس والناس يصلون بصلاة أبى بكر ، ثم وجد خفة ﷺ فخرج فصلى خلف أبى بكر قاعداً فى ثوب واحد ثم قام وهو عاصب رأسه بخرقه حتى صعد المنبر ثم قال : « والذى نفسى بيده ! إنى لقائم على الحوض الساعة » ، ثم قال : « إن عبداً عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختر الآخرة » ، فلم يفتن لقوله إلا أبو بكر فذرفت عيناه وبكى وقال : بأبى وأمى ! نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا ! فقال رسول الله ﷺ : « إن أمن الناس على فى بدنه ودينه وذات يده أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الاسلام ، سدوا كل خوخة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر » ، ثم نزل ودخل البيت وهى آخر خطبة خطبها رسول الله ﷺ .

فلما كان يوم الاثنين كشف الستارة من حجرة عائشة والناس صفوف خلف أبى بكر وكان وجهه ورقة مصحف فتبسم رسول الله ﷺ فأشار إليهم أن مكانكم وألقى السجف وتوفى آخر ذلك اليوم ، وكان ذلك اليوم لاثنتى عشرة خلون من شهر ربيع الأول .

وكان مقامه بالمدينة عشر حجج سواء ، وكانت عائشة تقول : توفى رسول الله ﷺ فى بيتى ويومى وبين سحرى ونحرى ، وكان أحدنا يدعو بدعاء إذا مرض فذهبت أعوذ فرفع رأسه إلى السماء وقال : فى الرفيق الأعلى ! وأمر عبد الرحمن بن أبى بكر وفى يده جريدة خضراء رطبة فنظر إليه ، فظننت أن له

بها حاجة فأخذتها فمضغت رأسها ثم دفعتها إليه فاستن بها ثم ناولنيها وسقطت من يده ، فجمع الله بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة .

وكان أبو بكر فى ناحية المدينة فجاء فدخل على رسول الله ﷺ وهو مسجى ، فوضع فاه على جبين رسول الله ﷺ وجعل يقبله ويبكى ويقول : بأبى وأمى ! طبت حياً وطبت ميتاً ! فلما خرج ومر بعمر بن الخطاب وعمر يقول : مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل المنافقين ويخزيهم ! وكانوا قد رفعوا رؤسهم لما رأوا أبا بكر فقال أبو بكر لعمر : أيها الرجل اربع على نفسك ، فإن رسول الله ﷺ قد مات ، ألم تسمع الله يقول ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٢٠) ، وقال ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ (٢١) ، ثم أتى أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن كان محمد إلهكم الذى تعبدون فإن إلهكم قد مات ، وإن كان إلهكم الذى فى السماء فإن إلهكم لم يمت ، ثم تلا : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ - حتى ختم الآية ؛ وقد استيقن المؤمنون بموت محمد ﷺ .

وقد كان لعبد المطلب بن هاشم من الأولاد ستة عشر ولداً ذكور ، منهم تسعة عمومة رسول الله ﷺ وواحد والد رسول الله ﷺ ، وست من الإناث عمات رسول الله ﷺ .

فأما أولاد عبد المطلب الذكور منهم : عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ ، والزبير بن عبد المطلب ، وأبو طالب بن عبد المطلب ، والعباس ابن عبد المطلب ، وضرار بن عبد المطلب ، وحمزة بن عبد المطلب ، والمقوم بن عبد المطلب ، وأبو لهب بن عبد المطلب ، والحارث بن عبد المطلب ، والغيداق ابن عبد المطلب .

فأما عبد الله والد رسول الله ﷺ فلم يكن له غير رسول الله ﷺ لا ذكر ولا أنثى ، وتوفى قبل أن يولد رسول الله ﷺ .

وأما الزبير بن عبد المطلب فكنيته أبو الطاهر ، من أجلة قريش وفرسانها من المبارزين ، وكان متعلماً يقول الشعر فيجيد .

وأما أبو طالب بن عبد المطلب فإن اسمه عبد مناف ، وكان هو وعبد الله والد رسول الله ﷺ لأم واحدة وكان أبو طالب وصى عبد المطلب لابنه في ماله بعده وفي حفظ رسول الله ﷺ وبعده على من كان يتعهد عبد المطلب في حياته ؛ ومات أبو طالب قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين وأربعة أشهر .

وأما العباس فكنيته أبو الفضل ، وكان إليه السقاية وزمزم في الجاهلية ، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة دفعها إليه يوم الفتح وجعلها إليه ؛ ومات العباس بن عبد المطلب سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان .

وأما ضرار فإنه يقول الشعر ويجيده ، ومات قبل الإسلام ولا عقب له . وأما حمزة فكنيته أبو ليلى ، وقد قيل : أبو عمارة ، واستشهد يوم أحد ، قتله وحشى ابن حرب مولى جبير بن مطعم فى شوال سنة ثلاث من الهجرة ، وكان حمزة أكبر من النبى ﷺ بسنتين .

وأما المقوم فكان من رجالات قريش وأشدائها ، هلك قبل الإسلام ولم يعقب . وأما أبو لهب فإن اسمه عبد العزى أبو عتبة ، وإنما كنى أبا لهب لجماله ، وكان أحول ، يعادى رسول الله ﷺ من بين عمومته ويظهر له حسده إلى أن مات عليه .

وأما الحارث - وهو أكبر ولد عبد المطلب - اسمه كنيته ، وهو ممن شهد حفر زمزم مع عبد المطلب قديماً .

وأما الغيداق فإنه كان من أسد قريش وأجلادها ، ومات قبل الوحي ولم يعقب .

وأما بنات عبد المطلب فإن إحداهن عاتكة بنت عبد المطلب ، وأميمة بنت عبد المطلب ، والبيضاء وهي أم حكيم ، وأروى بنت عبد المطلب ، وصفية بنت عبد المطلب ، وبرة بنت عبد المطلب .

وأما عاتكة فإنها كانت عند أبي أمية بن المغيرة المخزومي .

وأما أميمة فإنها كانت عند جحش بن رثاب الأسدي .

وأما البيضاء فإنها عند كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس .

وأما صفية فكانت عند العوام بن خويلد بن أسد .

وأما برة فإنها كانت عند عبد الأسد بن هلال المخزومي .

وأما أروى فكانت عند عمير بن عبد مناف بن قصي .

ولم يسلم من عمات النبي ﷺ إلا صفية ، وهي والددة الزبير بن العوام ، وتوفيت صفية في خلافة عمر بن الخطاب - فهذا ما يجب أن يعلم من ذكر عمات رسول الله ﷺ .

وأما نساء رسول الله ﷺ فإن رسول الله ﷺ تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بمكة قبل الوحي ورسول الله ﷺ ابن خمس وعشرين سنة ، وكانت خديجة قبله تحت عتيق بن عائذ بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، وولد له منها أولاده إلا إبراهيم ، وتوفيت خديجة بمكة قبل الهجرة .

ثم تزوج بعد موت خديجة سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وأمها الشموس بنت قيس ابن زيد بن عمرو بن لبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار؛

خطبها رسول الله ﷺ إلى عمها وقدان بن عبد شمس ، وكانت قبل ذلك تحت السكران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو من بنى لؤى وكانت امرأة ثقيلة ثبطة ، وهى التى وهبت يومها لعائشة وقالت : لا أريد مثل ما تريد النساء ، وتوفيت سودة سنة خمسين .

ثم تزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة الصديق فى شوال وهى بنت ست ، وبنى بها وهى بنت تسع بعد الهجرة ، وتوفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة سبع وخمسين ، وصلى عليها أبو هريرة ، ودفنت بالبقيع ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غيرها .

ثم تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب فى شعبان ، أمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وكانت قبل ذلك تحت خنيس بن حذافة بن قيس ، وذلك فى سنة ثلاث من الهجرة ، وتوفيت حفصة بنت عمر سنة خمس وأربعين .

ثم تزوج رسول الله ﷺ فى هذه السنة فى شهر رمضان زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة التى يقال لها : أم المساكين ، وكانت قبله تحت الطفيل بن الحارث ، وهى أول من لحقت بالنبي ﷺ من نسائه .

ثم تزوج رسول الله ﷺ فى السنة الرابعة من الهجرة أم سلمة بنت أبى أمية ابن المنيعة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وماتت أم سلمة سنة تسع وخمسين ثم تزوج رسول الله ﷺ فى سنة خمس زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر ابن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وكانت قبل ذلك عند زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، وتوفيت زينب هذه سنة عشرين .

ثم اصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حمي بن أخطب فى سنة سبع وهى من بنى إسرائيل ، وكانت قبله عند كنانة بن أبى الحقيق ، سباهها رسول الله ﷺ

فاصطفاهما وكانت من اصطفاهما وأعتقها وتزوج بها ، وماتت صفية بنت حيى
سنة خمسين .

ثم تزوج رسول الله ﷺ فى آخر هذه السنة أم حبيبة بنت أبى سفيان بن
حرب ، وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش ، وكانت بأرض الحبشة مع
زوجها مهاجرة فمات زوجها عبيد الله بن جحش ، فبعث رسول الله ﷺ عمرو
ابن أمية الضميرى إلى النجاشى ليخطبها لرسول الله ﷺ وكان وليها فى تلك
الناحية إذ كان سلطاناً ولم يكن ولى بتلك الناحية ، والسلطان ولى من لا ولى
له ، وكان الذى تولى الخطبة عليها والسعى فى أمرها سعيد بن العاص ، وكان
وليها حينئذ بالبعد ، فخرجت أم حبيبة مع جعفر بن أبى طالب من أرض
الحبشة إلى رسول الله ﷺ ، وماتت أم حبيبة سنة أربع وأربعين .

وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهرم بن
روية بن عبد الله بن عامر بن صعصعة ، وكانت قبله تحت أبى رهم بن عبد
العزى من بنى عامر بن لؤى ، وماتت ميمونة سنة ثمان وثمانين ، وهى خالة
عبد الله بن عباس ، لأن أم عباس أم الفضل أخت ميمونة .

وتزوج رسول الله ﷺ جويرة بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقىة -
وكانت قبله عند صفوان بن تميم - سبأها رسول الله ﷺ فى غزوة بنى
المصطلق ، فصارت لثابت بن قيس بن الشماس ، فاشتراها رسول الله ﷺ
وأعتقها ، وتوفيت جويرة فى شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ، فصلى
عليها مروان بن الحكم .

وتزوج رسول الله ﷺ أسماء بنت النعمان الجونية ولم يدخل بها ، ثم طلقها
وردها إلى أهلها .

وتزوج رسول الله ﷺ عمرة بنت يزيد الكلابية ، وطلقها قبل أن يدخل بها .

وتزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية فاستعادت من

رسول الله ﷺ ، فقال لها رسول الله ﷺ : « تعوذت بعظيم فالحق بأهلك » .
 وتزوج رسول الله ﷺ ريحانة بنت عمرو القرظية فرأى بها بياضاً قدر الدرهم
 ثم طلقها ولم يدخل بها ، فماتت بعد ذلك بأربعة أشهر .
 وقد أعطى المقوقس ملك الإسكندرية لرسول الله ﷺ جارية يقال لها مارية
 القبطية ، فأولدها رسول الله ﷺ إبراهيم ابنه .

وخرج رسول الله ﷺ من الدنيا يوم خرج وعنده تسع نسوة : عائشة بنت أبي
 بكر الصديق ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وسودة بنت زمعة بن قيس بن
 عبد شمس ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، وزينب بنت جحش بن
 رثاب ، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ،
 وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، وصفية بنت حيي بن أخطب .

وأما أولاد رسول الله ﷺ فهم كلهم من خديجة بنت خويلد بن أسد إلا
 إبراهيم فإنه من مارية القبطية .

وأما أولاد رسول الله ﷺ فأولهم عبد الله وهو أكبرهم والطاهر والطيب
 والقاسم ، وقد قيل : إن عبد الله هو الطاهر وهو أول مولود ولد لرسول الله ﷺ
 حتى قالت قريش : صار محمد أبتراً لأن ابنه توفي ، فأنزل الله ﴿ إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ
 الْأُتْرُ ﴾ .

وبنات رسول الله ﷺ زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة رضي الله عنهن ، فأما
 زينب بنت رسول الله ﷺ فزوجها رسول الله ﷺ من أبي العاص بن الربيع ،
 فولدت له أمامة بنت أبي العاص وهي التي كان رسول الله ﷺ يصلي وهو
 رافعها على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا قام رفعها وماتت أمامة ولم تعقب .

وأما رقية بنت رسول الله ﷺ فكانت عند عتبة بن أبي لهب .

وأما أم كلثوم فكانت عند عتيبة بن أبي لهب ، فلما نزلت تبت يدا أبي

لهب أمرهما أبوهما أن يفارقاهما ، وحيث لم يحرم الله تزويج المسلمين من نساء المشركين ولا حرم على المسلمات أن يتزوجهن المشركون ، ثم حرم الله ذلك على المسلمين والمسلمات .

ثم زوج رسول الله ﷺ رقية بنته عثمان بن عفان ورسول الله ﷺ يومئذ بمكة وخرجت معه إلى أرض الحبشة ، وولدت له هناك عبد الله بن عثمان وبه يكنى عثمان ، ثم توفيت رقية عند عثمان بن عفان مرجع رسول الله ﷺ من بدر ، ودفنت بالمدينة ، وذلك أن عثمان استأذن رسول الله ﷺ في التخلف عند خروجه إلى بدر لمرض ابنته رقية ، وتوفيت رقية يوم قدوم زيد بن حارثة العقيلي من قبل يوم بدر .

ثم زوج رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ابنته أم كلثوم ، فماتت ولم تلد .
وزوج رسول الله ﷺ فاطمة علي بن أبي طالب بالمدينة ، فولدت من علي الحسن والحسين ومحسناً وأم كلثوم وزينب ، ليس لعلی من فاطمة إلا الخمس .

فأما أم كلثوم فزوجها علي من عمر ، فولدت لعمر زيدا ورقية ، وأما زيد فأتاه حجر فقتله ، وأما رقية بنت عمر فولدت لإبراهيم بن نعيم بن عبد الله النحام جارية فتوفيت ولم تعقب .

وأما زينب بنت علي فولدت لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب جعفرأ - وكان يكنى به - الأكبر وأم كلثوم وأم عبد الله .

وكان ولاء رسول الله ﷺ على الصدقات حتى توفي عدى بن حاتم على قومه ، ومالك بن نويرة على بني الحنظلة ، وقيس بن عاصم على بني منقر ، والزبير بن بدر على بني سعد ، وكعب بن مالك بن أبي القيس على أسلم وغفار وجهينة ، والضحاك بن سفيان على بني كلاب ، وعمرو بن العاص على عمان ، والمهاجر بن أبي أمية على صنعاء ، وزيد بن لبید على حضرموت .

تذكر وصفه رسول الله ﷺ

أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان الطائي - يخبر باسناد ليس له في القلب وقع - ثنا سفيان بن وكيع بن الجراح ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي أملاه علينا من كتابه ثنا رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن ابن أبي هالة عن الحسن بن علي قال : سألت خالي هند بن أبي هالة - وكان وصافاً من حديث النبي ﷺ وأنا أشتهى أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به . فقال : كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألاً وجهه تلاًؤلؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربع وأقصر من المشذب ، عظيم الهامة ، رجل الشعر ، إن انفردت عقيصته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب ، سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب ، أقنى العينين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، أشنب ، مفلج الأسنان ، دقيق المسربة ، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادن متماسك ، سواء البطن والصدر ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، أنور المتجرد ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط ، عارى اليدين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، طويل الزندين ، رحب الراحة ، شثن الكفين والقدمين ، سائر أو سائل - شك ابن سعيد - الأطراف . خمصان الأخمصين ، مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ، إذا زال زال قلماً ، يخطو تكفياً ويمشى هوناً ، ذريع المشية ، إذا مشى كأنما ينحط من صبيب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، يبدأ من لقي بالسلام .

قال : قلت : صف لي منطقه ، فقال : كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، طويل السكت ، لا يتكلم في غير

حاجة ، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم فضل لا فضول ولا تقصير ، دمث ، ليس بالجافى ولا بالمهين ، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم شيئاً غير أنه لا يذم ذواقاً ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها ، فإذا نوزع الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفة كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها فضرِبَ براحته اليمنى باطن كفه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غص طرفه ، جل ضحكته التبسم ، ويفتر عن مثل حب الغمام - قال الحسن : فكتمها الحسين زماناً ثم حدثته فوجدته قد سبق إليه وسأله عما سأله .

قال الحسين : فسألت أبى عن دخول رسول الله ﷺ قال : كان دخوله لنفسه مأذون له فى ذلك ، كان إذا أوى إلى منزله جزءاً نفسه ثلاثة أجزاء : جزء لله وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه ، ثم جزءاً جزءاً بينه وبين الناس فيرد ذلك بالخاصة على العامة ولا يدخر عنهم شيئاً ، كان من سيرته فى جزء الأمة إيشار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، منهم ذو الحوائج ، فيتشغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم وإلا معه من مسألتهم يلائمهم ويخبرهم بالذى ينبغى لهم ويقول : ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوا فى حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، فإن من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها يثبت الله قدميه يوم القيامة ، لا يذكر عنده إلا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره ، يدخلون رواداً ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أذلة .

قال : فسأله عن مخرجه كيف كان يصنع فيه ، قال : كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفهم ، ويكرم كريم القوم ويؤليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يظهر على أحد بسره ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما فى الناس ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر

غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا ، لكل حال عنده عتاد ، ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

قال : فسألته عن مجلسه ، فقال : كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ، لا يوطن الأماكن وينهى عن إبطانها وإذا جلس إلى قوم جلس حيث انتهى المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطي كل جلسائه نصيبه ، لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المتصرف ، ومن سأل عن حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه ، فصار للناس أبا وصاروا في الحق عنده سواء ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤن فيه الحرم ولا تشن فلتاته ، متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى متواضعين ، يوقرون الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذوى الحاجة ، ويحفظون الغريب .

قال : فسألته عن سيرته في جلساته ، فقال : كان رسول الله ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ، ولا عياب ولا مزاح ، يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤنس معه ، ولا يخيب فئة ، قد نزه نفسه من ثلاث : كان لا يذم أحداً ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير ، وإذا سكنت تكلموا ، ولا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم صمتوا له حتى يفرغ ، جل حديثه عندهم حديث أوليهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته حتى أن كان أصحابه يستجلبونهم ، ويقول : إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارقدوه ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوره فيقطعه بنهى أو قيام .

قال : وسألته : كيف كان سكوت رسول الله ﷺ ؟ فقال : كان سكوته على أربعة : على الحلم والحذر والتقدير والتفكير ، فأما تقديره ففي تسوية النظر

والاستماع بين الناس . وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى ، وجمع له الحلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزّه ، وجمع له الحذر في أربعة : أخذه بالحسن ليقتردي به ، وتركه القبيح ليتناهى عنه ، وإجهاده الرأي فيما يصلح أمته ، والقيام فيما يجمع لهم فيه خير الدنيا والآخرة .

قال أبو حاتم : قد ذكر جمل ما يحتاج إليه من مولد رسول الله ﷺ ومبعثه وأيامه وهجرته إلى أن قبضه الله إلى جنته ، ثم إنا ذاكرون بعده الخلفاء الأربعة بأيامهم وجمل ما يحتاج إليه من أخبارهم ليكون ذلك طريقاً للمتأسسين بهم إذ المصطفى ﷺ أمر بذلك الحديث حيث قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » - جعلنا الله وإياكم من المتبعين لسنته المبادرين إلى لزوم طاعته ، إنه الفعال لما يريد بكم .

آخر مولد رسول الله ﷺ ومبعثه ووفاته

ويتلوه كتاب الخلفاء إن شاء الله تعالى .

أخبار الخلفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

استخلاف أبي بكر بن أبي قحافة الصديق رضى الله عنه

قال الشيخ أبو حاتم محمد بن حبان أحمد التميمي عبد الله ولقبه عتيق ،
واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة
ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة
ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأم أبي بكر أم الخير
بنت صخر بن عامر بن كعب - أخو عمرو بن كعب - بن سعد بن تيم بن مرة
ابن لؤى بن غالب .

أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة اللخمى بعسقلان ثنا محمد بن المتوكل
ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن
عباس قال : كنت عند عبد الرحمن بن عوف في خلافة عمر بن الخطاب ،
فلما كان في آخر حجة حجها عمر أثنى عبد الرحمن بن عوف في منزلي
عشاء فقال : لو شهدت أمير المؤمنين اليوم وجاء رجل وقال : يا أمير المؤمنين !
إني سمعت فلاناً يقول : لو مات أمير المؤمنين لباعته فلاناً ، فقال عمر : إني
لقائم العشية في الناس ومحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا
المسلمين أمرهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين : إن الموسم يجمع رعاك الناس
وغوغاءهم ، وإنهم الذين يغلبون على مجلسك ، وإني أخشى أن تقول فيهم
مقالة لا يعونها^(١) ولا يضعونها مواضعها ، وأن يطيروا بها كل مطير ، ولكن
أمهل يا أمير المؤمنين حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة ودار الهجرة فتخلص
بالمهاجرين والأنصار وتقول ما قلت متمكناً فيكون مقاتلك ويضعونها مواضعها ،
قال عمر : أما والله لأقومن به في أول مقام أقومه بالمدينة ! قال ابن العباس :
فلما قدمنا المدينة وجاء يوم الجمع هجرت لما حدثني عبد الرحمن ابن عوف
فوجدت سعيد بن زيد بن نفيل قد سبقني بالهجرة جالساً إلى جنب المنبر

(١) أى لا يفهمونها .

فجلست إلى جنبه تمس ركبتى ركبته ، فلما زالت الشمس خرج علينا عمر فقلت وهو مقبل : أما والله ليقولن اليوم أمير المؤمنين على هذا المنبر مقالة لم يقل عليه أحد قبله ، قال : فغضب سعيد بن زيد فقال : وأى مقال يقول لم يقل قبله ؟ فلما ارتقى عمر المنبر أخذ المؤذن فى أذانه فلما فرغ من أذانه قام عمر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد ! فإنى أريد أن أقول مقالة قد قدر لى أن أقولها ، لا أدري لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث تنتهى به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فإنى لا أحل لأحد أن يكذب على : إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب ، وكان مما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، وإنى خائف أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : ما نجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، ألا وإن الرجم على من أحصن إذا زنى وقامت عليه البينة أو كان الحمل أو الاعتراف ، ثم إنا قد كنا نقرأ ﴿ ولا ترغبوا عن آبائكم ﴾ ثم إن رسول الله ﷺ قال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله » . ثم إنه بلغنى أن فلاناً منكم يقول : لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلاناً ، فلا ينتر امرؤ أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فلتة ، فقد كانت كذلك ، ألا وإن الله وقى شرها ودفع عن الإسلام والمسلمين ضررها ، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر وإنه كان من خيرنا حين توفى رسول الله ﷺ ، إن علياً والزبير ومن تبعهما تخلفوا عنا فى بيت فاطمة وتخلفت عنا الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت : يا أبا بكر ! انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم فلقينا رجلين من الأنصار شهدا بدرأ فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء الأنصار ، قالاً : فارجعوا فامضوا أمركم بينكم ، فقلت : والله لتأتينهم ! فأتيناهم فإذا هم مجتمعون فى سقيفة بنى ساعدة بين أظهرهم رجل مزمل ، قلت : من هذا ؟ قالوا : سعد بن

عبادة ، قال : ما شأنه ؟ قالوا : وجع ، فقام خطيب الأنصار فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد ! فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رهط منا وقد دفت إلينا دافة منكم وإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويحضنونا بأمر دوننا ، وقد كنت زورت^(١) في نفسى مقالة أريد أن أقوم بها بين يدي أبى بكر وكنت أدارىء من أبى بكر بعض الحد وكان أوقر منى وأحلم ، فلما أردت الكلام قال : على رسلك ! فكرهت أن أغضبه ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ووالله ما ترك كلمة قد كنت زورتها إلا جاء بها أو بأحسن منها فى بديته ثم قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير يا معشر الأنصار فأنتم له أهل ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش هم أوسط العرب داراً ونسباً ، ولقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدي ويد أبى عبيدة بن الجراح ، فوالله ما كرهت مما قال شيئاً غير هذه الكلمة ؛ كنت لأن أقدم فتضرب عنقى ، لا يقربنى ذلك إلى إثم أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، فلما قضى أبو بكر مقالته قام رجل من الأنصار فقال : أنا جديلاً المحكك وعذيقها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وإلا أجلنا الحرب فيما بيننا وبينكم خدعة ، قال معمر : فقال قتادة : قال عمر : فإنه لا يصلح سيفان فى غمد ، ولكن منا الأمراء ومنكم الوزراء قال معمر عن الزهري فى حديثه : فارتفعت الأصوات بيننا وكثر اللغط حتى أشفقت الاختلاف فقلت : يا أبا بكر ! ابسط يدك أبايعك ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار ، قال : ونزونا على سعد بن عباد حتى قال قائل منهم : قتلتم سعداً ، قال قلت : قتل الله سعداً وأنا والله ما رأينا فيما حضرنا أمراً كان أقوى من مبايعة أبى بكر ، خشينا إن فارقنا القوم أن يحدثوا بعدنا ، فأما أن نتابعهم على ما لا نرضى ، وإما أن نخالفهم فيكون فساداً فلا يفرن امرأ يقول : كانت بيعه أبى بكر فلتة ، وقد كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها وليس فيكم من يقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين

(١) زورت أى أعددت وجهزت

فإنه لا يبايع هو ولا الذى بايعه بعده ، قال الزهرى : وأخبرنى عروة : أن الرجلين اللذين لقياهما من الأنصار عويم بن ساعدة ومعن بن عدى ، والذى قال « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » الحباب بن المنذر

قال أبو حاتم : نظر المسلمون إلى أعظم أركان الدين وعماد الإسلام للمؤمنين فوجدوها الصلاة المفروضة ، وإن رسول الله ﷺ ولى أبا بكر إقامتها فى الأوقات المعلومات ، فرضى المسلمون للمسلمين ما رضى لهم رسول الله ﷺ فبايعوه طائعين فى سائر الأركان ، وبايعوه فى السر والإعلان .

فلما كان اليوم الثانى قام عمر بن الخطاب المنبر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس ! إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا منى وما وجدت في كتاب الله ولا كانت عهداً عهدته إلى رسول الله ﷺ ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيأمرنا بقول يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذى به هدى رسوله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان قد هدى به أهله ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم : صاحب رسول الله ﷺ وثانى اثنين إذ هما فى الغار فقوموا إليه فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة .

ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس ! فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم بالبلاء ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

فلما فرغ الناس من بيعه أبى بكر وهو يوم الثلاثاء أقبلوا على جهازه ﷺ

فاختلفوا فى غسله فقالوا : والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه ، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم السبات حتى ما منهم أحد إلا وذقنه فى صدره ، ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت - لا يدرى من هو - أن اغسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه ، فقاموا فغسلوه وعليه قميصه ، فأسنده على إلى صدره ، فكان العباس والفضل والقثم يقلبونه ، وكان أسامة بن زيد وشقران موالياه يصبان عليه الماء وعلى يغسله ويدلكه من ورائه لا يفضى بيده إلى رسول الله ﷺ وهو يقول : بأبى أنت وأمى ! ما أطيبك حياً وميتاً ولم ير من رسول الله ﷺ فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ، أدرج فيها إدراجاً . ثم دخل الناس يصلون عليه أرسالاً ، بدأ به الرجال حتى إذا فرغوا أدخل النساء ثم دخل الصبيان ثم دخل العبيد ، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد . وكان أبو عبيدة بن الجراح يحفر كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل يحفر كحفر أهل المدينة وكان يلحد ، فدعا العباس بن عبد المطلب رجلين فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة ، وقال للآخر : اذهب إلى أبى طلحة ، فقال : اللهم ! اخر لرسولك ، فوجد صاحب أبى طلحة أباً طلحة فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ . وكان المسلمون اختلفوا فى دفنه فقائل يقول : ندفنه فى مسجده ، وقائل يقول : ندفنه مع أصحابه ؛ فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض » ، فرفع فراش رسول الله ﷺ الذى توفى عليه فحفر أبو طلحة تحته . ثم دفن ﷺ ليلة الأربعاء حين زاغت الشمس ، ونزل فى قبر رسول الله ﷺ على بن أبى طالب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله ﷺ وطرح تحته قطيفة ، وكان آخرهم عهداً به قثم بن العباس ، وكان المغيرة بن شعبه يقول : لا بل أنا وكان يحكى قصة (١) .

(١) وهى أنه كان يقول : أخذت خاتمى فألقيته فى القبر وقلت : إن خاتمى قد سقط ، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله ﷺ فأكون آخر الناس به عهداً - كما فى الطبرى .

ثم قام أبو بكر في الناس خطيباً بعد خطبته الأولى فقال : الحمد لله أحمدوه وأومن بوحدايته وأستعينه على أمركم كله سره وعلايته ، ونعوذ بالله مما يأتي به الليل والنهار ، وترتكب عليه السر والجهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله حافظاً ونصيراً ، وأن محمداً عبده ورسوله بالحق بشيراً ونذيراً قدام الساعة ، فمن أطاعه رشد ، ومن عصاه هلك وشر ، فعليكم أيها الناس بتقوى الله ! فإن أكيس الكيس التقوى ، وإن أحمق الحمق الفجور ، فاتبعوا كتاب الله واقبلوا نصيحته ، واقتدوا بسنة رسوله وخذوا شريعته ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وهو الحكيم العليم ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ (١) - الآية ، واحذروا الخطايا التي لكل بنى آدم فيها نصيب ، وتزودوا للآخرة فإن المصير إليها قريب ، ولكن خيركم من اتبع طاعة الله واجتنب معصيته ، فاحذروا يوماً لا ينفع فيه من حميم ولا شفيع ، ولا حميم يطاع ، وليعمل عامل ما استطاع من عمل يقربه إلى ربه ، واعملوا من قبل أن لا تقدروا على العمل ، وإن الله لو شاء لخلقكم سدى ، ولكن جعلكم أئمة هدى ، فاتبعوا ما أمركم الله به واجتنبوا ما نهاكم عنه ، واعملوا الخير فإن قليله كثير نام مبارك ، واتقوا الله حق تقاته ، واحذروا ما حذركم في كتابه ، وتوقوا معصيته خشية من عقابه ، فليس فيها رغبة لأحد ، واستعفوا عما حرم الله وأمر باجتنابه ، وإياكم والمحقرات فإنها تقرب إلى الموجبات ، واعملوا قبل أن لا تعملوا ، وتوبوا من الخطايا التي لا يغسلها إلا الله برحمته ، وصلوا على نبيكم كما أمركم ربكم ، ثم قال : أيها الناس ! إن الذي رأيتم مني لم يكن على حرص على ولايتكم ، ولكني خفت الفتنة والاختلاف فدخلت فيها ، وهأنذا وقد رجع الأمر إلى أحسنه وكفى الله تلك الثائرة ، وهذا أمركم إليكم تولوا من أحببتم من الناس وأجيبكم على ذلك ، وأكون كأحدكم ، فأجابه الناس : رضينا بك قسماً وحظاً إذ أنت ثانى اثنين مع رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر : اللهم ! صل على محمد والسلام على محمد ورحمة الله وبركاته ، اللهم ! إنا نستعينك

ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونؤمن بك ونخلع من يكفرك .

ثم نزل واستقام له الأمر بعد رسول الله ﷺ وبايعه الناس ورضوا به وسموه «خليفة رسول الله ﷺ» إلا شزيمة مع علي بن أبي طالب ، تخلفوا عن بيعته .

وكان أسامة بن زيد يقول : أمرني رسول الله ﷺ أن أغير صباحاً على أهل أبني ثم أمر أبو بكر أن يبعثوا بعث أسامة بن زيد فقال له الناس : إن العرب قد انتقضت عليك ، وإنك لا تصنع بتفرق المسلمين عنك شيئاً ، قال : والذي نفس أبي بكر بيده ! لو ظننت أن السباع أكلتنى بهذه القرية لأنفذت هذا البعث الذي أمر رسول الله ﷺ بإنفاذه ، ثم قال أبو بكر لأسامة : إن تخلف معي عمر بن الخطاب فافعل ، فأذن له أسامة فتخلف عمر مع أبي بكر ومضى أسامة حتى أوطأهم ، ثم رجع فسمع به المسلمون فخرجوا مسرورين بقدومه ولواءه معقود حتى دخل المسجد فصلى ركعتين ثم دخل بيته ولواءه معقود ، ويقال : إنه لم يحل اللواء حتى توفي ووضعه في بيته .

ثم كتب أبو بكر الصديق كتاباً إلى معاذ بن جبل يخبره بموت رسول الله ﷺ ، وبعثه مع عمار بن ياسر ، وقد كان معاذ أتى اليمن فبينما هو ذات ليلة على فراشه إذا هو بهاتف يهتف عند رأسه : يا معاذ ! كيف يهنتك العيش ومحمد في سكرات الموت ؟ فوقف فزعاً ، ما ظن إلا أن القيامة قد قامت ، فلما رأى السماء مصحبة والنجوم ظاهرة استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم نودي الليلة الثانية : يا معاذ ! كيف يهنتك العيش ومحمد بين أطباق الشرى ؟ فجعل معاذ يده على رأسه وجعل يتردد في سكك صنعاء وينادي بأعلى صوته : يا أهل اليمن ! ذروني لا حاجة لي في جواركم ، فما شر الأيام يوم جئتمكم وفارقت رسول الله ﷺ ! فخرج الشبان من الرجال والعواتق من النساء وقالوا : يا معاذ ! ما الذي دهاك ؟ فلم يلتفت إليهم وأتى منزله وشد على راحلته وأخذ جراباً فيه سويق وأداة من ماء ثم قال : لا أنزل عن ناقتي هذه إ شاء الله إلا لوقت صلاة حتى أتى المدينة ، فبينما هو على ثلاثة مراحل من المدينة إذ لقيه

عمار فعرفه بالبعير ، قال : اعلم يا معاذ أن محمداً قد ذاق الموت وفارق الدنيا ، فقال معاذ : يا أيها الهاتف في هذا الليل القار من أنت يرحمك الله ! قال : أنا عمار بن ياسر ، قال : وأين تريد ؟ قال : هذا كتاب أبي بكر إلى معاذ يعلمه أن محمداً قد مات وفارق الدنيا ، قال معاذ : فإلى من المهتدى والمشتكى ؟ فمن الليتامى والأرامل والضعفاء ؟ ثم سار ورجع عمار معه وجعل يقول : نشدتك بالله كيف أصحاب محمد قال : تركتهم كنعم بلا راع ، قال : كيف تركت المدينة ، قال : تركتها وهي أضيق على أهلها من الخاتم ، فلما كان قريباً من المدينة سمعت عجوزاً وهي تذكر رسول الله ﷺ وهي تبكي ، فقالت : يا عبد الله ! لو رأيت ابنته فاطمة وهي تبكي وتقول : يا أبتاه ! إلى جبريل نعه ! يا أبتاه ! انقطع عنا أخبار السماء ، ولا ينزل الوحي إلينا من عند الله أبداً ، فدخل معاذ المدينة ليلاً وأتى باب عائشة فدق عليها الباب فقالت : من هذا الذي يطرق بنا ليلاً ؟ قال : أنا معاذ بن جبل ، ففتحت الباب فقالت : يا عائشة ! كيف رأيت رسول الله ﷺ عند شدة وجعه ؟ قالت : يا معاذ ! لو رأيت رسول الله ﷺ يصفار مرة ويحمار أخرى ، يرفع يداً ويضع أخرى لما هناك العيش طول أيام الدنيا ! فبكى معاذ حتى خشى أن يكون الشيطان قد استفزه ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأتى أصحاب محمد ﷺ .

ثم ظهر طليحه في أرض بنى أسد ومالت فزاره فيها عيينة بن حصن بن بدر مرتدين عن الإسلام وبايعه بنو عامر على مثل ذلك ، وتربصوا ينظرون الوقعة بين المسلمين وبين بنى أسد وفزاره . وقد كان أمر رسول الله ﷺ الذين بعثهم على الصدقات قد جمعوا ما كان على الناس منها ، فلما بلغهم وفاة رسول الله ﷺ فأما عدى بن حاتم فتمسك بالإسلام وبقي في يده الصدقات ، وكذلك الزبرقان بن بدر ، وأما مالك بن نويرة فأرسل ما في يده وقال لقومه : قد هلك هذا الرجل فشأنكم بأموالكم ، وقد كانت طيء وبنو سعد كلمهما عدى بن حاتم والزبرقان بن بدر فقالا - وهما كانا أحزم رأياً وأفضل في الإسلام رغبة من

مالك بن نويرة - لقومهما : لا تعجلوا فإنه ليكونن لهذا الأمر قائم ، فإن كان ذلك كذلك ألقاكم ولم تبدلوا دينكم ولم تعزلوا أمركم ، وإن كان الذي تطلبون فلعمري إن ذلك أموالكم بأيديكم ، لا يغلبنكم عليها أحد غيركم ، وسكناهم بذلك حتى أتاهم خبر الناس واجتماعهم على أبي بكر بعد رسول الله ﷺ وبيعة المسلمين إياه فبعثنا ما بأيديهم من الصدقة إلى أبي بكر ، فلم يزل أبو بكر يعرف فضلها على من سواهما من المسلمين .

وجاء العباس وفاطمة إلى أبي بكر يلتمسان ميراثهما من النبي ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فذك وسهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا نورث ما تركناه صدقة . إنما يأكل محمد من هذا المال ، وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه إلا صنعته فيه . فهرجته فاطمة ولم تكلمه حتى ماتت .

ثم جهز أبو بكر الجيش ليقا تل من كفر من العرب ، فترك إعطاء الصدقات وارتد عن الإسلام ، فقال له عمر : كيف تقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » ، فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والذي نفس أبي بكر بيده ! لو منعوني عقلاً أو عناقاً - كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه حتى آخذها ، قال عمر : فلما رأيت شرح صدر أبي بكر لقتالهم علمت أنه الحق . فأمر أبو بكر على الناس خالد بن الوليد وأمر ثابت ابن قيس بن شماس على الناس الأنصار وجمع أمر الناس إلى خالد بن الوليد ، ثم أمرهم أن يسيروا وسار معهم مشيعاً حتى نزل ذا القصة من المدينة على بريد وأميال فضرب معسكره وعبأ جيشه ثم تقدم إلى خالد بن الوليد وقال : إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتهم أذاناً للصلاة فأمسكوا عنها حتى تسألوهم ما الذي يعلمون ، وإن لم تسمعوا الأذان فشنوا الغارة واقتلوا وحرقوا ، ثم أمر خالد

ابن الوليد أن يصمد لطليحة وهو على ماء من مياه بني أسد ؛ وكان طليحة يدعى النبوة وينسج للناس الأكاذيب والأباطيل ويزعم أن جبريل يأتيه ، وكان يقول للناس : أيها الناس ! إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئاً واذكروا الله قعوداً وقياماً ، وجعل يعيب الصلاة ويقول : إن الصريح تحت الرغبة ، وكان أول ما ابتلى من الناس طليحة أنه أصلب هو وأصحابه العطش في منزلهم فيه ، فقال طليحة فيما شجع لهم من أباطيله : اركبوا عللاً يعنى فرساً واضربوا أميالاً تجدوا قلالاً ؛ ففعلوا فوجدوا ماء ، فافتتن الأعراب به ، ثم قال أبو بكر لخالد بن الوليد : لآتيك من ناحية خيبر إن شاء الله فيمن بقي من المسلمين ، وأراد بذلك أبو بكر أن يبلغ الخبر الناس بخروجه إليهم ، ثم ودع خالداً ورجع إلى المدينة . ومضى خالد بالناس وكانت بنو فزارة وأسد يقولون : والله ! لا نباع أباً الفصيل - يعنون أباً بكر ، وكانت طيء على إسلامها ، لم تنزل عنه مع عدى بن حاتم ومكنف بن زيد الخيل ، فكانا يكالبانها ويقولان لبني فزارة : والله ! لا نزال نقاتلكم إن شاء الله ، فلما قرب خالد بن الوليد من القوم وبعث عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم أخا بني العجلان طليعة أمامه ، وخرج طليحة بن خويلد المتنبئ وأخوه سلمة بن خويلد أيضاً طليعة لمن وراءهما فالتقيا عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم فانفرد طليحة بعكاشة ، وسلمة بن خويلد بثابت ، فأما سلمة فلم يلبث ثابتاً أن قتله ؛ ثم صرخ طليحة وقال : يا سلمة ! أعنى على الرجل فإنه قاتلى ، فإكتنفا عكاشة حتى قتلاه ، وكرا راجعين إلى وراءهما ، فلما وصل خالد والمسلمون إلى ثابت بن أقرم وعكاشة ابن محصن وهما قتيلان عظم ذلك على المسلمين وراءهم ، ثم مضى خالد حتى نزل على طيء في خللهم سلمى ؛ فضرب معسكره وانضم إليه من كان من المسلمين في تلك القبائل ، ثم تهيأ للقتال وسار إلى طليحة وهو على مائة ، والتقى معه طليحة في سبعمائة رجل من بني فزارة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وطليحة متلفف في كساء له بفناء بيت له من شعر ، يتنبا ويسجع ، فهز عيينة ابن حصن الحرب وشد القتال ثم كر على طليحة فقال : هل جاءك جبريل

بعد؟ قال : لا ، فرجع عيينة وقاتل حتى إذا هزته الحرب كر عليه ثانياً وقال : لا أبا لك ! هل جاءك جبريل بعد ؟ قال نعم ! قال : فماذا قال لك ، قال : قال لى : إن لك رحي كرحاه وحديثاً لا تنساه ، قال عيينة : أظن الله أنه قد علم أنه سيكون لك حديث لا تنساه يا بنى فزارة هكذا ، فانصرفوا فهذا والله كذاب ، فانصرف وانصرفت معه فزارة وانهزم الناس ، وكان طليحة قد أعد فرساً له عنده وهياً بغيراً لامرأته النوار ، ثم اجتمعت إليه فزارة وهم مبارزون فقالوا : ما تأمرنا فلما سمع منهم ذلك استوى على فرسه وحمل امرأته على البعير ثم نجا بها ، وقال لهم : من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت وينجو بأهله فليفعل . ثم سلك الحوشية حتى لحق بالشام وانصرفت فزارة ، وقتل منهم من قتل ، ثم دخلت القبائل فى الإسلام على ما كانوا عليه من قبل .

فلما فرغ خالد من بيعتهم أوثق عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة بن سلمة وبعث بهما إلى أبى بكر ، فلما قدما عليه قال قرة : يا خليفة رسول الله ! إني كنت مسلماً ، وإن عند عمرو بن العاص من إسلامي شهادة ، قد مر بي فأكرمته وقربته ، وكان عمرو بن العاص هو الذى جاء بخبر الأعراب ، وذلك أن عمرأ كان على عمان ، فلما أقبل راجعاً إلى المدينة مر بهوزان وقد انتقضوا وفيهم سيدهم قرة بن هبيرة ، فنزل عليه عمرو بن العاص فنحله وأقرأه وأكرمه ؛ فلما أراد عمرو الرحيل خلى به قرة بن هبيرة وقال : يا عمرو ! إنكم معشر قريش إن أنتم كففتكم عن أموال الناس وتركتموها لهم - يريد الصدقات - فقمنا أن نسمع لكم الناس ويطيعوا ، فإن أنتم أبيتم إلا أخذ أموالهم فإنى والله ما أرى العرب مقرة بذلك لكم ولا صابرة عليه حتى تنازعكم أمركم ويطلبوا ما فى أيديكم ، فقال عمرو بن العاص : أباالعرب تخوفنا موعداك ، أقسم بالله لأوطئنه عليك الخيل . ثم مضى عمرو حتى قدم المدينة على أبى بكر وأخبره الخبر قبل خروج خالد إليهم فتجاوز أبو بكر عن قرة بن هبيرة وعيينة بن حصن وحقن لهما دماءهما .

فرغ خالد بن الوليد من بيعة وبنى عامر وبنى أسد قال : إن الخليفة قد عهد إلى أن أسير إلى أرض بنى غانم ، فسار حتى نزل بأرضهم وبث بها السرايا فلم يلق بها جمعاً ، وأتى بمالك بن نويرة في رهط من بنى تميم وبنى حنظلة فأمر بهم فضربت أعناقهم وتزوج مكانه أم تميم امرأة مالك بن نويرة فشهد أبو قتادة لمالك بن نويرة بالاسلام عند أبي بكر ، ثم رجع خالد يؤم المدينة فلما قدمها دخل المسجد وعليه درع متعجراً بعمامة وعليه قباء صداً الحديد ، قد غرز في عمامته أسهما فقام إليه عمر بن الخطاب فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال : أقتلت امرأة مسلماً مالك بن نويرة ثم تزوجت امرأته ؟ والله ! لترجمنك بأحجارك ، وخالد بن الوليد لا يكلمه ولا يظن إلا أن رأى أبي بكر على مثل رأى عمر حتى دخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه أنه لم يعلم فعذره أبو بكر وتجاوز عنه ما كان منه في حربه تلك فخرج خالد من عنده وعمر جالس في المسجد فقال : هلم إلى ابن أم شملة فعرف أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه فقام فدخل بيته .

ثم ماتت فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعد أبيها بستة أشهر فدفنها على ليلاً ولم يؤذن به أبا بكر ولا عمر ، وكان لعلى جهة من الناس حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن على ، فلما رأى انصرف الناس ضرع على إلى مصالحة أبي بكر فارسل إلى أبي بكر أن اتنا ولا تأتنا معك باحد ، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدته ، فقال عمر : لا تأتهم وحدك ، فقال أبو بكر : والله ! لآتينهم وحدي ما عسى أن يصنعوا بى فانطلق أبو بكر وحده حتى دخل على على وقد جمع بنى هاشم عنده ؛ فقام على وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد ! فإنه لم يمنعنا أن نبايعك إنكاراً لفضيلتك ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا حقاً فاستبددت به علينا ثم ذكر قرابته من رسول الله ﷺ وحقهم ولم يزل على يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر فلما صمت على تشهد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله

ثم قال : والله لقربة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتى ، وإنى والله ما أعلم فى هذه الأمور التى كانت بينى وبين على إلا الخير ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « لانورث ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذه المال قوتا » وإنى والله لا ادع أمراً صنع فيه رسول الله ﷺ إلا صنعته إن شاء الله ، ثم قال : موعذك العشية للبيعة ، فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس ثم عذر علياً ببعض ما اعتذر به ، ثم قام على فعظم من حق أبو بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى إلى أبى بكر فبايعه ، وأقبل الناس على على فقالوا : أصبت وأحسن . ثم توفى عبد الله بن أبى بكر الصديق وكان أصابه سهم بالطائف مع النبى ﷺ رماه ابن محجن ثم دمل الجرح ، فمات فى شوال بعد الظهر ، ونزل حفرة عبد الرحمن بن أبى بكر وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله ودخل عمر على أبى بكر وهو آخذ بلسانه ينصنصه فقال له عمر : يا خليفة رسول الله الله ﷺ فقال أبو بكر : هذا أوردنى الموارد

فلما دخل شهر ذى الحجة حج عمر بن الخطاب سنة إحدى عشر ، وأشترى موله فى حجته تلك ثم رجع إلى المدينة .

ثم وجه أبو بكر خالد بن الوليد إلى اليمامة وكان مسيلمة قد تنبأ بها فى حياة رسول الله ﷺ وكان أمره ضعيفاً ، ثم وفد إلى النبى ﷺ ورجع إلى قومه فشهد رجال بن عنقوة لأهل اليمام أن رسول الله ﷺ قد أشركه فى الأمر فعظم فتنته عليهم .

وخرج خالد بن الوليد بالمهاجرين والأنصار حتى إذا دنا من اليمامة نزل وادياً من أوديتهم فأصاب فى ذلك الوادى مجاعة بن مراره فى عشرين رجلاً منهم كانوا خرجوا يطلبون رجلاً من بنى تميم وكان أصاب لهم دماً فى الجاهلية فلم يقدروا عليه فباتوا بذلك الوادى فلم ينبههم إلا خيل المسلمين قد وقفت عليهم فقالوا : من القوم ؟ فقالوا : بنو حنيفة ، قال : فلا أنعم لكم علينا ، ثم نزلوا فاستوثقوا منهم فلما أصبح دعاهم خالد بن الوليد فقال : يا بنى

حنيفة ! ما تقولون ؟ فقالوا : منا نبي ومنكم نبي ، فعرضهم خالد على السيف حتى بقى سارية بن عامر ومجاعة بن مرارة : فقال له سارية : يا أيها الرجل ! إن كنت تريد هذه القرية فاستبق هذا الرجل ، وأوثق مجاعة فى الحديد ودفعه إلى أم تميم امرأته وقال استوصى به خيراً وضرب عنق سارية بن عامر ثم سار بالمسلمين حتى نزل كثيب مشرف على اليمامة وضرب معسكره هناك وخرج أهل اليمامة مع مسيلمة ، وتصاف الناس ، وكان خالد جالساً على سريره ومجاعة مكبل عنده والناس على مصافهم إذ رأى بارقة فى بنى حنيفة فقال خالد : أبشروا يا معشر المسلمين ! قد كفاكم الله عدوكم واختلف القوم فكر مجاعة إليه وهو مكبل فقال : كلا والله إنها الهندوانية خشوا من تحطمها فأبرزها للشمس لتلين لهم فكان كما قال ، فلما التقى الناس كان أول من خرج رجال بن عنفوة قتل واقتل المسلمون قتلاً شديداً حتى انهزم المسلمون ، وخلص أصحاب مسيلمة إلى الرجال و دخلوا فسطاط خالد بن الوليد وفيه مجاعة مكبلاً عند أم تميم امرأه خالد ، فحمل عليها رجل بالسيف فقال مجاعة : أنا لها جار فنعمت الحرة ، عليكم بالرجال ، فرحبوا الفسطاط بالسيف ، ثم إن المسلمين تداعوا فقال ثابت بن قيس بن شماس : يمسما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين اللهم أنى أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء المسلمون ، ثم أخذ سيفه حتى جالد به حتى قتل ورأى زيد بن الخطاب انكشاف المسلمين عن رجالهم فتقدم فقاتل حتى قتل ؛ وقام البراء بن مالك أخو أنس بن مالك وكان البراء - فيما يقال - إذا حضر البأس أخذه انتفاض ^(١) حتى يقعد عليه الرجال ثم يبول فى سراويله ، فإذا بال صار مثل السبع ، فلما رأى ما صنع المسلمون من الانكشاف وما رأى من أهل اليمامة أخذه الذى كان يأخذه حتى قعد عليه الرجال ، فلما بال وثب فقال : أين يا معشر المسلمين ؟ أنا البراء بن مالك ، هلموا إلى فاجتمع عنده جماعة من المسلمين

(١) أى انتفاض الحمى .

فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى خلصوا إلى محكم اليمامة ، وهو محكم بن الطفيل ، فلما بلغه القتال قال : يا معشر بنى حنيفة ! الآن والله تستحقب الكرائم غير رضيات وينكحن غير حظيات ، فما كان عندكم من حسب فأخرجوه ، ثم تقدم فقاتل قتالاً شديداً فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر بسهم فوضعه في نحره فقتله ، وزحف المسلمون حتى ألجأوهم إلى الحديقة وفيها مسيلمة ، فقال البراء بن مالك : يا معشر المسلمين ! ارموني عليهم في الحديقة ، فقال الناس : لا تفعل يا براء ! فقال : والله أفعل فاحتمل حتى أشرف على الجدار فاقتحم فقاتلهم حتى فتحها الله للمسلمين ، ودخل عليهم المسلمون ، وقتل مسيلمة ، اشترك وحشى بن حرب مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار في قتله ، فرماه وحشى بحريته وضربه الأنصارى بسيف ، فكان وحشى يقول : ربك أعلم أينما قتله ! قتلت : خير الناس وشر الناس .

فلما فرغ المسلمون من مسيلمة ، وأتى خالد الخبر فخرج بمجاعة في الحديد يرسف معه ليدله على مسيلمة ، وكان يكشف القتلى حتى مر بمحكم ابن الطفيل ، وكان رجلاً جسيماً وسيماً فقال خالد : هذا صاحبكم ، فقال مجاعة : لا ! هذا والله خير منه وأكرم ، هذا محكم اليمامة ، ثم دخلوا الحديقة وقلبا القتلى فإذا رويحل أصيفر أخينس فقال مجاعة : إنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس وإن جماهير الناس في الحصون ، قال : ويلك ما تقول ؟ قال : والله إن ذلك لحق ، فهلم أصالحك على قومي ، فصالحه خالد بن الوليد على الصفراء والبيضاء والحلقة ونصف السبي ، ثم قال لمجاعة : امض إلى القوم فاعرض ما صنعت ، فانطلق إليهم ثم قال للنساء : ألبسن الحديد ثم أشرفن على الحصون ، ثم انتهى إلى خالد قال : إنهم لم يرضوا على مصالحتك عليه ، ولكن إن شئت شيئاً صنعت وعرضت على القوم ! قال : ما هو ؟ قال : تأخذ ربع السبي ربعاً ، قال خالد : قد فعلت ! قال : قد صالحتك ، فلما فرغا دخلوا الحصن فإذا ليس رجل واحد رماهم إلا النساء والصبيان ، فقال خالد لمجاعة :

خدعتنى ، قال : قومى .

ثم بعث أبو بكر إلى خالد بن الوليد بسلمة بن سلامة بن وقش يأمره أن لا يستبقى من بنى حنيفة رجلاً قد أنبت ، فأتاه سلمة وقد فرغ خالد من الصلح .
ثم إن خالداً قد بعث وفدأ من بنى حنيفة إلى أبى بكر فقدموا عليه فقال أبو بكر : ويحكم ! ما هذا الرجل الذى استزل منكم ما استزل ، قالوا : يا خليفة رسول الله ! قد كان الذى بلغك ، وكان امرأ لم يبارك الله له ولا لعشيرته فيه . قال أبو بكر : على ذلك ما دعاكم إليه ؟ قالوا : كان يقول : يا ضفدع نقى نقى ! لا الشراب تمنعين ولا الماء تكدرين ، لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون ، فقال أبو بكر : سبحان الله سبحان الله .

فلما فرغ خالد من الصلح نزل وادياً من أودية اليمامة ، فبينما هو قاعد إذ دخل عليه رجل من بنى حنيفة يقال له سلمة بن عمير فقال لمجاعة : استأذن لى على الأمير ، فإن لى إليه حاجة ، فأتى عليه مجاعة ، ثم قال لمجاعة : إنى والله لأعرف الشرفى وجهه ، ثم نظر فإذا هو مشتمل على السيف فقال : ما لك لعنك الله ! أردت أن تستأصل بنى حنيفة ، والله لئن قتلتها ما ترك فى بنى حنيفة صغير ولا كبير إلا قتل ، فانقلب الرجل ومعه سيفه ، فوقع فى حائط من حوائط اليمامة وحبس به المسلمون فدخلوا خلف الحائط فقتل .

وكان من استشهد من المسلمين يوم اليمامة من قريش ممن حضرنا ذكرهم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وشجاع بن وهب بن ربيعة ، ومالك بن عمرو ، ويزيد بن قيس ، وصفوان بن أمية بن عمرو ، وأخوه مالك بن أمية ، والطفيل بن عمرو الدوسى ، وجبير بن مالك وأمه بحينة ، ويزيد ابن أوس ، وحيى بن حارثة ، والوليد بن عبد شمس بن المغيرة ، وحكيم بن حزام بن أبى وهب ، وزيد بن الخطاب بن نفيل ، وعبد الله بن عمرو بن بحرة ، وعبد الله بن الحارث بن قيس ، وأبو قيس بن الحارث ، وعبد الله بن مخزومة بن

عبد العزى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسليط بن سليط بن عمرو ، وعمرو بن أوس بن سعد بن أبي سرح ، وربيعه بن أبي خرشة ، ومنقذ بن عمرو ابن عطية ، وعبد الله بن الحارث بن رخصة .

واستشهد من الأنصار يوم اليمامة ثابت بن قيس بن شماس ، وعباد بن بشر ابن وقش ، ورافع بن سهل ، وعبد الله بن عتيك ، وحاجب بن زيد وسهل بن عدى ، ومالك بن أوس ومعن موليان لهم ، وفروة بن العباس ، وكليب بن تميم ، وعامر بن ثابت ، وبشر بن عبد الله وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ، وعبد الله بن عتبان ، وثابت بن هزال ، وأسيد بن يربوع ، وأوس بن ورقة ، وسعد بن حارثة بن لوذان ، وسماك بن خرشة أبو دجاجة ، وسعد بن حمار ، وعقبة بن عامر بن نايي وضمرة بن عياض ، وعبد الله بن أنيس ، ومسعود بن سنان ، وحبيب بن زيد ، وأبو حبة بن غزية بن عمرو ، وعمارة بن حزم بن زيد ويزيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد رمى بسهم فمات فى الطريق ، وثابت بن خالد بن عمرو بن خنساء ، وفروة بن النعمان بن الحارث ، وعائد بن ماعص الزرقى ، وحبيب بن عمرو بن محصن .

ثم انصرف خالد بن الوليد بالمسلمين حتى قدم المدينة على أبى بكر ، وارتدت ربيعة بالبحرين فيمن ارتد من العرب إلا الجارود بن عمرو بن خنش بن معلى فإنه ثبت على الإسلام فيمن تبعه من قومه ، وقالت ربيعة بعضها لبعض : نرد الملك إلى المنذر بن ساوى ، وكان المنذر ملكهم فى حياة رسول الله ﷺ فبعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمى فأسلم المنذر ، وأقام العلاء بها إلى أن قبض رسول الله ﷺ ، فملك ربيعة المنذر بن النعمان بن المنذر بن ساوى وجمع جمعهم على الارتداد ؛ فلما بلغ أبى بكر خبرهم ، بعث إليهم العلاء بن الحضرمى وأمره بشمامة بن أثال الحنفى وكان قد أسلم ثمامة وأسلم بنو سحيم معه ، فلما مر العلاء بشمامة بن أثال معه من اتبعه من قومه من بنى سحيم وسارت ربيعة إليهم فحاصروهم بجواثا - حصن بالبحرين ، وأصاب المسلمون

جهداً شديداً من الجوع حتى كادوا أن يهلكوا فخرج عبد الله بن حذاف ليلة من الليالي يتجسس أخبارهم ويخبر المسلمين بالخبر ، فأتى الحصن واحتال في دخوله فوجدهم سكارى فرجع فأخبر المسلمين أن القوم سكارى لا غناء بهم ، فبيتهم العلاء بن الحضرمي فيمن معه من المسلمين وقتلهم قتلاً شديداً حتى فتح الله على المسلمين حصنهم ، وقسم العلاء بن الحضرمي الغنيمة بالبحرين وجمع بها صلاة الجمعة .

وخرج الأسود بن كعب العنسي في كندة فباع الناس والمهاجر بن أبي أمية أميرها ، وسمعت كندة بذلك واتفقت أيضاً مع من اتبع الأسود على نصره ، وكان على حضر موت زياد بن لبيد البياضي ، فلما رأى ذلك منهم بيتهم بالليل وقتل منهم أربعة من الملوك في محاجرهم : جمداً ومحوصاً ومشرحاً وأيضعة ، ثم كتب المهاجر بن أبي أمية إلى أبي بكر يخبره بانتفاض الناس ويستمد منه ، فبعث أبو بكر عكرمة بن أبي جهل في جيش معه إلى المدينة ، وكانت قطعة من كندة - ثبتت على الإسلام - مع زياد بن لبيد وقطعة مع المهاجر بن أبي أمية وزياد بن أبي لبيد بالحرب ، فلما اشتد عليهم الحصار نزل إليهم الأشعث بن قيس وسألهم الأمان على دمه وأهله وماله حتى يقدموه على أبي بكر فيرى فيه رأيه وأن يفتح النجير ، ففعلوا ذلك وفتح النجير ، واستنزلوا من فيه من الملوك وضربت أعناقهم ، واستوثقوا من الأشعث بن قيس وبعثوا به إلى أبي بكر مع السبي ، وقتل الأسود بن كعب العنسي في بيته ، فلما قدم الأشعث على أبي بكر قال أبو بكر : فما تأمرني أن أصنع فيك فإنك فعلت ما علمت ؟ قال الأشعث : تمن على وتفكني من الحديد وتزوجني أختك ، فإني قد راجعت وأسلمت ، قال أبو بكر : قد فعلت ، فزوجه أخته فروة بنت أبي قحافة .

ثم قدم أهل البحرين على أبي بكر يفتدون سباياهم أربعمائة ، فخطب أبو بكر الناس فقال : أيها الناس ! ردوا على الناس سباياهم ، لا يحل لامرئ يؤمن

بالله واليوم الآخر أن يغيب عنه منهم أحد ، ثم جاء بن عبد الله أبا بكر فقال :
 إن رسول الله ﷺ قال : « إن جاءنا مال من البحرين أعطيناك هكذا وهكذا » ،
 فحرز له أبو بكر « هكذا » خمسمائة درهم ، فأعطاه من مال البحرين ألفاً
 وخمسمائة درهم . ثم اعتمر أبو بكر في رجب وخرج هو وعبد الرحمن بن
 صبيحة على راحلتين واستخلف على المدينة عمر بن الخطاب ، وقدا مكة
 ضحوة ، وخرج منها قبل الليل . ومات أبو مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد
 المطلب . وتزوج عمر بن الخطاب عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل .

ثم خرج أبو بكر سنة اثنتى عشرة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان ،
 وخرج لليلتين بقيتا من ذي القعدة ، وأحرم من ذي الحليفة ، وقدم مكة لسبع
 خلون من ذي الحجة ، وكان قد ساق معه عشر بدنا ، فخطبهم قبل التروية
 يوم في المسجد الحرام ، وأمرهم بتقوى الله ونهاهم عن معصيته وعظم عليهم
 حرمة الإسلام وأمرهم بالقصد في مسيرهم والترفق ، وتلا عليهم آيات من
 القرآن ، ثم قال : من استطاع منكم أن يصلى الظهر بمنى غداً فليفعل ، ثم
 حج لهم ونحر البدن ورمى الجمار ماشياً ذاهباً وجائياً .

ومات أبو العاص بن الربيع في ذي الحجة وكان يسمى جرو البطحاء وأوصى
 إلى الزبير بن العوام ، فزوج الزبير ابنته على بن أبي طالب .

ثم قفل أبو بكر من الحج إلى المدينة ، فلما قدما كتب إلى خالد بن الوليد
 يريد العراق ، وقد قيل : إنه قد قدم المدينة ثم خرج إلى العراق ، فلما بلغ خالد
 ابن الوليد إلى قريات من السواد يقال لهن بانقياء باروسما وأليس صالح أهلها ،
 وكان الذى صالحه عليه ابن صلوبا ، فقبل منهم الجزية وكتب له كتاباً « بسم
 الله الرحمن الرحيم » : هذا كتاب من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادى
 ومنزله بشاطئ الفرات أنك آمن بأمان الله ممن حقن دمه بإعطاء الجزية ، وقد
 أعطيت عن نفسك ومن كان في قرنتك ألف درهم فقلباها ، ورضى من معى
 من المسلمين بها عنك ، فلك ذمة الله وذمة محمد ﷺ وذمة المسلمين على

ذلك ، وشهد هشام بن الوليد ، ثم أقبل خالد حتى نزل الحيرة وكان عليها قبيصة بن إياس بن حية الطائي أمير لكسرى فخرج إليه بأشرافهم ، فقال لهم خالد : أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أجبتكم إليه فأنتم من المسلمين ، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ، وإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام أحرص على الموت منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، فقال له قبيصة بن إياس : ما لنا بحربك من حاجة : بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية ، فصالحهم على تسعين ألف درهم كل سنة ، فكانت أول جزية وقعت بالعراق هذه والتي صالح عليها ابن صلوبا .

وبعث أبو بكر بعد قفوله من الحج الجنود إلى الشام فبعث عمرو بن العاص إلى فلسطين فأخذ طريق المعركة على أيلة ، وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة ابن الجراح وشرحبيل بن حسنة إلى الشام وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على البلقاء من علياء الشام ، وبعث خالد بن سعيد بن العاص على ربع من الأرباع ، فلم يزل عمر بن الخطاب بأبي بكر حتى عزله وأمر مكانه ابن أبي سفيان وخرج أبو بكر مع يزيد بن أبي سفيان يوصيه وي زيد راكب ، قال : أيها الأمير إما أن تركب وإما أن أنزل ! فقال : ما أنت بنازل ولا أنا براكب ، أليست خطاي هذه في سبيل الله ! ثم قال : يا يزيد ! إنكم ستقدمون بلاداً فإذا أكلتم الطعام فسموا الله على أولها واحمدوه على آخرها ، وستجدون قوماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهما وما حبسوا أنفسهم ، وستجدون أقواماً قد اتخذ الشيطان على رؤوسهم مقاعد . يعني الشاماسة - فاضربوا تلك الأعناق ، ولا تقتلن كبيراً هرمًا ولا امرأة ولا وليداً ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع ، ولا تخرين عمراناً ولا تقطن بحراً إلا لنفع ، ولا تغل ولا تغدر ولا تخن ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١) أقرئك السلام وأستودعك الله ! ثم انصرف أبو بكر ومضى يزيد بن أبي سفيان وتبعه شرحبيل بن حسنة وأبو عبيدة ابن الجراح فرداً فرداً ، ونزل عمرو بن العاص في قصره بغمر العربات ، ونزل الروم بشية جلق

بأعلى فلسطين في سبعين ألفاً عليهم تذارق أخو هرقل لأبيه وأمه ، فكتب عمرو بن العاصي إلى أبي بكر يذكر له أمر الروم ويستمده ، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو يأمره أن يمد أهل الشام فيمن معه من أهل القوة ويستخلف على ضعفة الناس رجلاً منهم ، فلما أتاه كتاب أبي بكر قال خالد : هذا عمل الأعرس ابن أم شملة يعني عمر بن الخطاب - حسدني أن يكون فتح العراق على يدى فسار خالد بأهل القوة من الناس ، ورد الضعفاء والنساء إلى المدينة ، وأمر عليهم عمير بن سعد الأنصاري ، واستخلف على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم المثنى بن حارثة الشيباني فلما بلغ خالد بمن معه عين النمر أغار على أهلها فأصاب منهم ، ورابط حصناً بها فيه مقاتلة لكسرى حتى استنزلهم وضرب أعناقهم وسبى منهم سبايا كثيرة ، وكان من تلك السبايا أبو عمرة والد عبد الأعلى بن أبي عمرة ، ويسار جد محمد بن إسحاق ، وحرمان بن إبان مولى عثمان وأبو عبيد مولى المعلى ، وخير مولى أبي داود الأنصاري ، وأبو عبد الله مولى زهرة .

فأراد خالد المسير والتمس دليلاً فدلى على رافع بن عميرة الطائي فقال له خالد : انطلق بالناس ، فقال له رافع : إنك لا تطيق ذلك بالجنود والأثقال ، والله إن الراكب المفرد ليخافها على نفسه وما يسكلها إلا مغرراً ! إنها لخمس ليال جياد ولا يصاب فيها ماء مع مضلتها ، قال له خالد : ويحك ! ألا بدلى منها ؟ إنه قد أتاني من الأمير عزمة بذلك ، فمر بأمرك ، فقال رافع : استكثروا من الماء ، من استطاع منكم أن أذن يصير أذن ناقتة على ماء فليفعل فإنها المهالك إلا ما دفع الله فتأهب المسلمون وسار خالد بمن معه فلما بلغوا آخر يوم من المفارة قال خالد لرافع بن عميرة : ويحك يا رافع ! ما عندك ؟ قال : أدركت الرى إن شاء الله ! فلما دنا من العلمين قال رافع للناس : انظروا هل ترون شجيرة من عوسج كقعدة الرجل فلم يروا شيئاً فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! هلكتم والله إذا هلكتم انظروا ! فاطلبوا ، فطلبوا فوجدوها قد قطعت وبقي منها بقية فلما راها المسلمون كبروا وكبر رافع بن عميرة ، ثم قال : احفروا في أصلها ، فحفروا فاستخرجوا عينا فشربوها حتى روى الناس ، ثم اتصل

بعد ذلك لخالد المنازل فقال رافع : فوالله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة! وردتها مع أبي وأنا غلام ، فلما بلغ الخالد و المسلمون إلى سوى أغار على أهله وهم بهراء قبيل الصبح وإذا جماعة منهم يشربون الخمر في جفنة لهم قد اجتمعوا عليها ومغنيهم يقول :

الاعلاني^(١) قبل جيش أبي بكر لعل مناينا قريب ولا ندرى

فقتلهم خالد بن الوليد وقتل مغنيهم وسال دمة في تلك الجفنة ثم سار خالد حتى أغار على غسان بمرج راهط حتى نزل على قناة بصرى وعليها أبو عبيدة ابن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد أبي سفيان ؛ وخرج خالد بن الوليد بن سعيد بن العاص بمرج الصفر في يوم مطير يستمطر فيه فتعاوى عليه أعلاج الروم فقتلوه ؛ واجتمع خالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان معهم حتى صالحتة بصرى على الجزية وفتحتها الله للمسلمين فكانت تلك أول مدينة فتحت بالشام ، ثم ساروا جميعا إلى فلسطين مددا لعمر بن العاص وعمر بن مقيم بالعربات من غور فلسطين وسمع الروم باجتماع المسلمين لعمر بن العاص فانكشفوا عن إلى أجنادين أجنادين بين الرملة وبيت جبرين من ارض فلسطين وسار المسلمون إلى أجنادين وكان الإمراء أربعة والناس أرباعا إلا عمرو بن العاص كان يزعم أنه جميعهم

فلما اجتمعت العساكر وتلدانت ، بعث صاحب الروم رجلاً عربياً ليأتى بخبر المسلمين ، فخرج الرجل ودخل مع المسلمين وأقام فيهم يوماً وليلة لا ينكر ، ثم أتى الروم فقالوا له : ما وراءك ؟ فقال : أما بالليل فرهبان ، وأما بالنهار ففرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رجموه ، لإقامة الحق فيهم .

ثم تراحف الناس فاقتتلوا قتالاً شديداً فقال صاحبهم لهم : لفوا رأسى في ثوب ، قالوا له : ولم ؟ قال : يوم موقف البئيس لا أحب أن أراه ، ما رأيت في الدنيا أشد منه ، وكانت الهزيمة على الروم فلقد قتل صاحبهم إنه للملفف في ثوبه ؛ وكان لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، فقتل بأجنادين

(١) علاني : أى طيباني

من المسلمين : نعيم بن عبد الله النحام ، وهشام بن العاصي بن وائل وعمرو بن عكرمة والطفيل بن عمرو الدوسي ، وعبد الله بن عمرو حليف لهم ، وجندب ابن عمرو بن حممة الدوسي وضرار بن الأزور وطليب بن عمرو بن وهب ، ونسلمة بن هشام بن المغيرة ، وهبار بن سفيان بن الأسود ، والحارث بن الحارث ، والحجاج بن الحارث وقيس بن صخر ، ونعيم بن عامر .

استخلاف عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو حفص العدوي ، وأم عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أخت أبي جهل بن هشام .

حدثنا محمد بن القاسم الدقاق بالمصيصة : ثنا يوسف بن سعيد بن مسلم ثنا هارون بن زياد الحنائي ثنا الحارث بن عمير عن حميد عن أنس قال : قال النبي ﷺ : « اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر » .

قال أبو حاتم : فلما حانت منية أبي بكر رحمة الله عليه اغتسل قبلها يوم الإثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوماً بارداً فحم خمسة عشر يوماً حتى قطعتة العلة عن حضور الصلاة وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس ، وكان الناس يعمودونه وهو في منزله الذي أقطع له النبي ﷺ وجاء دار عثمان بن عفان اليوم ، فبينما هو في ليلة من الليالي عند نسائه أسماء بنت عميس وحبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير وبناته أسماء وعائشة وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر إذ قالت عائشة : أتريد أن تعهد إلى الناس عهداً ؟ قال : نعم ، قالت : فبين للناس حتى يعرفوا الوالى بعدك ، قال : نعم ، قالت عائشة : إن أولى الناس بهذا الأمر بعدك عمر ، وقال عبد الرحمن بن أبي بكر : إن قريشاً

تحب ولاية عثمان بن عفان ، وتبغض ولاية عمر لغلظه ، فقال أبو بكر : نعم الوالى عمر ، وما هو بخير له أن يلى أمر أمة محمد ، أما إنه لا يقوى عليهم غيره ، إن عمر رآنى ليناً فاشتد ، ولو كان والياً للأن لأهل اللين واشتد على أهل الريب ، فلما أصبح دعا نفرأ من المهاجرين والأنصار يستشيرهم فى عمر ، منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فقال لعبد الرحمن بن عوف : يا أبا محمد ! أخبرنى عن عمر ، فقال : يا خليفه رسول الله ! هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة ، فقال لعبد الرحمن بن عوف : ذلك لأنه رآنى ليناً فاشتد ، ولو آل إليه الأمر لترك كثيراً مما هو عليه اليوم ، إنى إذا غضبت على الرجل أرانى الرضا عنه وإذا كنت له أرانى الشدة عليه لا تذكر يا أبا محمد مما ذكرت لك شيئاً ، قال : نعم ، ثم دعا عثمان بن عفان فقال : يا أبا عبد الله ! أخبرنى عن عمر ، فقال : أنت أخبر به ، فقال أبو بكر : فعلى ذلك ، قال : إن علمى أن سريره خير من علانيته ، وأن ليس فىنا مثله ، قال : يرحمك الله يا أبا عبد الله ! لا تذكر مما ذكرت لك شيئاً قال : أفعل ، فقال له أبو بكر : لو تركته ما عدوتك وما أدرى لعلى تاركه ، والخيرة له أن لا يلى أمركم ، ولوددت أنى خلو من أمركم ، وأنى كنت فيمن مضى من سلفكم ؛ ثم قال لعثمان : اكتب : هذا ما عهد عليه أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين ، أما بعد ؛ ثم أغمى عليه فذهب عنه فكتب عثمان : أما بعد ، فقد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً ، ثم أفاق أبو بكر فقال : اقرأ على ، فقرأ عليه ذكر عمر ، فكبر أبو بكر فقال : جزاك الله عن الإسلام خيراً ! ثم رفع أبو بكر يديه فقال : اللهم ! وليته بغير أمر نبيك ، ولم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به ، وقد حضر من أمرى ما قد حضر ، فاجتهدت لهم الرأى فوليت عليهم خيرهم لهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على رشدهم ، ولم أرد محاباة عمر ، فاجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبي الرحمة وهدى

الصالحين بعده وأصلح له رعيته وكتب بهذا العهد إلى الشام إلى المسلمين إلى أمراء الأجناد أن قد وليت عليكم خيركم ولم آل لنفسي ولا للمسلمين خيراً .

وأوصى أن تغسله أسماء بنت عميس ، ثم نادى عمر بن الخطاب فقال له : إنني مستخلفك على أصحاب رسول الله ﷺ ، يا عمر : إن الله حقاً في الليل لا يقبله في النهار ، وحقاً في النهار لا يقبله في الليل ، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة ، يا عمر ! إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الحق أن يكون ثقيلاً يا عمرا ! إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الباطل أن يكون خفيفاً يا عمر ! إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً ، فلا ترغب رغبة قتمنى على الله فيها ما ليس لك ، ولا ترهب رهبة تلقى فيها يدك ، يا عمرا ! إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم رداً عليهم ما كان من خير فإذا ذكرتهم قلت : لأرجو أن لا أكون منهم ، وإنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سوء ، فإذا ذكرتهم قلت : أى عمل من أعمالهم أعمل ! فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من الحاضر من الموت ولست بمعجزه .

وتوفى أبو بكر رضى الله عنه ليلة الإثنين لسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة ، وله يوم مات اثنتان وستون سنة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنتان وعشرون يوماً ، وكان مرضه خمس عشرة ليلة ، وغسلته أسماء بنت عميس ، وكفن في ثلاثة أثواب ، ونزل في قبرة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن أبي بكر ، ودفن ليلاً بجانب رسول الله ﷺ ، وأراد ابن عمر أن ينزل قبر أبي بكر مع أبيه فقال له عمر : قد كفيت ، وكان أبو قحافة بمكة فسمع الهائلة فقال : ما هذا ؟ فقيل : مات ابنك ، فقال : رزء جليل ، فإلى من عهد ؟ قالوا : لعمر ، قال : صاحبه ، وورثه أبو

قحافة السدس ، وكان من عمال أبي بكر يوم توفي عتاب بن أسيد على مكة ، وعثمان بن أبي العاص على الطائف ، والعلاء بن الحضرمي على البحرين ، ويعلى بن أمية على خولان ، ومهاجر بن أبي أمية على صنعاء ، وزباد بن لبيد على حضر موت ، وعمرو بن العاص على فلسطين ، وعلى الشام أربعة نفر من الأجناد : خالد بن الوليد ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد ابن أبي سفيان ؛ ومات أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ في اليوم الذي دفن فيه أبو بكر .

ثم قام عمر بن الخطاب في الناس خطيباً وهي أول خطبة خطبها بعدما استخلف ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس ! إني لا أعلمكم من نفسي شيئاً تجهلون ، أنا عمر بن الخطاب وقد علمتم من هيتي وشأني ، وإن بلاء الله عندي في الأمور كلها حسن ، وقد فارقت رسول الله ﷺ وهو عني راض بحمد الله ، ولم يجد عليّ في شيء من خلقي وأنا أسعد الناس بذلك إن شاء الله وقمت خليفته من بعده بحق الطاعة وأحسنت له المؤازرة ، ولم أحرص على القيام عليكم كالذي حرص عليّ ولكن خليفتمكم المتوفى أوصى إليّ بالخلافة عليكم برضى منكم ، وآلوه الهمة ، ذلكم وإياكم ، ولولا الذي أرجو أن ياجرنى الله في قيامي عليكم لم أقم عليكم ولنحيته عن نفسي ووليته غيري ، وقد كنت أرى فيكم أموراً على عهد نبيكم ﷺ كدت أكرهها ، ويسوءني منكم ، فقد رأيتم تشددى فيها ، والأمر الذي أمر به من فوقى ، أريد طاعة الله وإقامة الدين فاطعتكم ، قد علمتم - أو من علم ذلك منكم - أني قد كنت أفعل ذلك وليس لي عليكم من سلطان وأكن أهن في شيء منه وقد ولاني الله اليوم أمركم ولقد علمت أني أنفع بحضرتكم لكم ، فإني أسأل الله ربى أن يعينني عليه وأن يحرسني عندما بقى كما حرسني عند غيره ، وأن يلقنني العقل في قسمكم كالذي أمر به ، ثم إني مسلم وعبد من عبده ضعيف إلا ما أعان الله ، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله ، وإنما العظمة لله ،

ليس للعباد منها شيء فلا يقولن أحد منكم : إن عمر بن الخطاب تغير لما ولى أمر المسلمين ، فمن ظلمته مظلمة فإنى أعطيه الحق من نفسى وأتقدم عليكم وأبين لكم أمرى ، أيما رجل كانت له حاجة إلى أمير المؤمنين أو ظلم بمظلمة أو عتب علينا فى حق فليؤذنى ، فإنما أنا امرؤ منكم ، ولم يحملنى سلطانى الذى أنا عليه أن أتعظم عليكم ، وأغلق بابى دونكم ، وأترك مظالمكم بينكم ، وإذا منع الله أهل الفاقة منكم اليوم شيئاً بعد اليوم فإنما هو فىء الله الذى أفاءه عليكم ، لست وإن كنت أمير المؤمنين ولن أخفى إبقاء إن كان بينى وبين أحد منكم خصومة أقاضيه إلى أحدكم ثم أقنع بالذى يقضى بيننا فاعلموا ذاك ، وإنكم قوم مسلمون على شريعة الإسلام ، ثم عليكم بتقوى الله فى سركم وعلايتكم وحرمانكم التى حرم الله عليكم من دمائكم وأموالكم وأعراضكم ، وأعطوا الحق من أنفسكم ، ولا يحملن بعضكم بعضاً إلى أن يوقع إلى السلطان شأنه ، فليستعد بى فإنه ليس بينى وبين أحد من الناس هوادة ، من منع من نفسه حقاً واجباً عليه أو استحل من دماء المسلمين وأعراضهم وأبشارهم فأنا أقتص منه وإن كان يدلى إلى بقرابة قريبة ، ثم إنكم - معشر العرب - فى كثير منكم جفاء فى الدين وخرق فى الأمور إلا من عصمه الله برحمته ، وإنى قد جعلت بسبيل أمانة عظيمة أنا مسؤول عنها ، وإنكم - أيها الناس - لن تغنوا عنى من الله شيئاً ، وإنى حثيث على صلاحكم عزيز على ما عنتم حريص على معافاتكم وإقامة أموركم ، وإنكم إناء من حصل فى سبيل الله ، عامتكم أهل بلد لا زرع فيها ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه ، وإن الله قد وعدكم كرامة كبيرة ودنيا بسيطة لكم ، وإنى مسؤول عن أمانتى وما أنا فيه ، ولا أستطيع ما بعد منها إلا بالأمناء وأهل النصيح منكم للشاهد والغائب ، ولست أجعل أمانتى إلى أحد ليس لها بأهل ، ولن أوليه ذلك ولا أجعله إلا من تكون رغبته فى أداء الأمانة والتوقير للمسلمين ، أولئك أحق بها من سواهم ؛ اللهم صل على محمد عبدك ورسولك - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولما ورد كتاب أبى بكر الشام على أمراء الأجناد باستخلاف عمر بايعوه

وأطاعوه ؛ ثم ساروا إلى فحل من أرض الأردن وقد اجتمع بها الروم والمسلمون عليهم الأمراء الأربعة وخالد بن الوليد على مقدمة الناس ، فلما نزلت الروم ييسان بثقوا أنهارها وهى أرض سبخة فكانت وحلة فغشيها المسلمون ولم يعلموا بما فعلت الروم ، فزلقت فيها خيولهم ، ثم سلمهم الله ، والتقواهم والروم بفحل فاقتتلوا فهربت الروم ودخل المسلمون فحلا ، وانكشفت الروم إلى دمشق ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة . وكتب خالد بن الوليد إلى عمر أن الناس قد اجترأوا على الشراب ، فاستشار عمر أصحابه علياً وعثمان والزبير وسعداً فقال على : إذا شرب سكر ، وإذا سكر افترى ، وإذا افترى فعليه ثمانون فأثبت عمر الحد ثمانين .

ثم كانت وقعة الجسر ، وذلك أن المثنى بن حارثة الشيباني قدم على عمر ابن الخطاب من العراق وقال : يا أمير المؤمنين ! إنا بأرض فارس قد نلنا منهم واجترأنا عليهم ومعى من قومي جماعة ، فابعث معى ناساً من المجاهدين والأنصار يجاهدون فى سبيل الله ، فقام عمر بن الخطاب فحمد الله وأثنى عليه ثم دعا الناس إلى الجهاد ورجبهم فيه وقال : إنكم - أيها الناس - قد أصبحتم فى دار غير مقام بالحجاز ، وقد وعدكم الله على لسان نبيه كنوز كسرى وقيصر ، فسيروا إلى أرض فارس ، فسكت الناس لما ذكرت فارس ، فقام أبو عبيد ابن مسعود الثقفى فقال : يا أمير المؤمنين ! أنا أول من انتدب من الناس ، حتى اجتمعوا وأجمعوا على المسير ثم قال : يا أمير المؤمنين ! اجتمع الناس ، أمر عليهم رجلاً من المهاجرين أو من الأنصار ، فقال : لا أوامر عليهم إلا أول من انتدب منهم فأمر أبا عبيد فقال : إنه لم يمنعنى أن أستعمل عليهم سليط بن قيس إلا فيه عجلة إلى القتال ، فأخاف أن يوقع الناس موقعاً يهلككم ، فاستشره ؛ ثم سار أبو عبيد مع المثنى بن حارثة الشيباني والمسلمون معهما حتى إذا انتهى إلى بلاد قومه قام معه ربيعة فسار بهم وسار أبو عبيد بالناس حتى نزلوا باليمن وفيها مسلحة الأعاجم فاقتتلوا بها قتالاً شديداً ، فانهزمت العجم ، ثم

بعث أبو عبيد بمن معه من المسلمين فالتقيا ، فاقتتلوا فهزم الجالنوس وأصحابه ، ودخل أبو عبيد ياروسما حصناً لهم ونزل هو وأصحابه فيه .

ثم بعث الأعاجم ذا الحاجب وكان رئيس الأعاجم رستم ، فلما بلغ أبا عبيد مسيرهم إليه انحاز بالناس حتى عبر الفرات فنزل في المروحة ، وأقبلت الأعاجم حتى نزلت خلف الفرات ، ثم إن أبا عبيد حلف : ليقطعن إليهم الفرات ، فناشده سليط بن قيس وقال : أنشدك الله في المسلمين أن تدخلهم هذا المدخل ! فإن العرب تفر وتكر فاجعل للناس مجالاً ، فأبى أبو عبيد وقال : جئنت والله يا سليط ! قال : والله ما جئنت ! ولكن قد أشرت عليك بالرأى ، فأصنع بما بدا لك فعمد أبو عبيد إلى الجسر الذى عقد له ابن صلوبا فعبّر عليه المسلمون فلما التقوا شد عليهم الفيل ، فلما رأى أبو عبيد ما يصنع الفيل قال : هل لهذه الدابة من مقتل ؟ قالوا : نعم ، إذا قطع مشفرها ماتت ، فشد على الفيل فضرب مشفره فبرك عليه الفيل فقتله ، وهرب المسلمون منهزمين فسبقهم عبد الله بن الخثعمى إلى الجسر فقطعه ، فقال له الناس : لم فعلت هذا ؟ قال : لتقاتلوا عن أميركم .

ولما قتل أبو عبيد أخذ الراية المثنى بن حارثة فأنحازوا ورجعت الفرس ، ونزل المثنى بن حارثة أليس وتفرق الناس فلاحقوا بالمدينة ، فأول من قدم المدينة بخير الناس عبد الله بن حصين الخطمى ، فجزع المسلمون من المهاجرين والأنصار بالفرار ، وكان عمر يقول : لا تجزعوا ! أنا فقتكم إنما انحزتم إلى .

وكان ممن قتل بالجسر : أبو عبيد بن مسعود الثقفى ، وابنه جبر بن أبى عبيد ، وأسعد بن سلامة ، وسلمة بن أسلم بن حريش ، والحارث بن عدى بن مالك ، والحارث بن مسعود بن عبدة ، ومسلم بن أسلم ، وخزيمة بن أوس ، وأنيس بن أوس بن عتيك بن عامر وعمر بن أبى اليسر ، وسلمة بن قيس ، وزيد ابن سراقه بن كعب ، والمنذر بن قيس ، وضمرة بن غزية بن عمرو ، وسهل بن عتيك وثعلبة بن عمرو بن محصن ؛ وحج بالناس عمر بن الخطاب السنة الرابعة

عشرة .

فلما دخلت السنة الرابعة عشرة سار المسلمون إلى دمشق وخالد بن الوليد على مقدمة الناس ، وقد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال له باهان بدمشق ، فعزل عمر بن الخطاب خالد بن الوليد وأمر أبا عبيدة بن الجراح على جميع الناس ، فاستحى أبو عبيدة أن يقرى خالداً الكتاب وقال : أصبر حتى يفتح الله دمشق ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم الروم وتحصنوا ، فربطها المسلمون حتى فتحت صلحاً ، وأعطوا الجزية وكان قد أخذ الأبواب عنوة ، وجرى الصلح على يدى خالد ، وكتب الكتاب باسمه ، ولحق باهان بهرقل ، وكان ذلك فى رجب ، ومدة حصاره دمشق ستة أشهر ، فلما فرغ المسلمون من دمشق أقرأ أبو عبيدة خالداً الكتاب ، فانصرف خالد إلى المدينة ، وقد قيل : إن الصلح جرى على يد أبى عبيدة .

ثم خرج عمر على الناس فقال : إني وجدت من عبید الله ابني ربح شراب وإنی سائل عنه فإن كان مسكراً جلده ، فقال السائب بن يزيد : فشهدته بعد ذلك يحده ، وكان الذى حده عبد الرحمن بن عبد ثم ضرب أبا محجن الثقفى وربيعة بن أمية بن خلف المخزومي ، وحدهم فى الخمر .

ثم أمر عمر من كان بالبلدان التى أفتتحت أن يصلوا فيها التراويح فى شهر رمضان ، وصلى بالناس بالمدينة كذلك .

ثم قدم جرير بن عبد الله البجلي من اليمن على عمر فى ركب من بجيلة فقال لهم عمر : إنكم قد علمتم ما كان من المصيبة فى إخوانكم بالعراق ، فسيروا إليهم وأنا أخرج لكم من كان منكم فى قبائل العرب ، قالوا نفعل ياأمير المؤمنين ، فأخرج إليهم قيساً وكندة وعرينة ، وأمر عليهم جرير بن عبد الله البجلي ، فسار بهم إلى الكوفة ، فلما بلغ قريباً من المثنى بن حارثة كتب له المثنى : أقبل إلى إنما أنت لى مدد ، فكتب إليه جرير : إني لست فاعلاً إلا أن

يأمرني بذلك أمير المؤمنين : أنت أمير وأنا أمير ! ثم سار جرير نحو الجسر فلقيه
مهران بن باذان عند النخيلة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وشد المنذر بن حسان على
مهران فطعنه فوق عن دابته ، واقتحم عليه جرير بن عبد الله فاحتز رأسه ،
فاشتركا جميعاً في سلبه .

ثم إن عمر بن الخطاب أمر سعد بن أبي وقاص على العراق ومعه ستة آلاف
رجل ، وكتب إلى المثنى بن حارثة وجرير بن عبد الله أن اجتماعاً إلى سعد ،
فسار سعد بالمسلمين ، وسار المنذر وجرير إليه ، حتى نزل سعد بشراف وشتا بها
واجتمع إليه الناس ، وتزوج سعد امرأة المثنى سلمى بنت حفصة ؛ ثم حج
بالناس عمر بن الخطاب .

فلما دخلت السنة الخامسة عشرة كان فيها وقعة اليرموك ، وذلك أن الروم
سار بهم هرقل حتى نزل أنطاكية ومعه من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبللى
وعاملة وغسان ، ومن معه من أهل أرمينية بشر كثير فأقام بأنطاكية ، وسار أبو
عبيدة بن الجراح في المسلمين إليهم في أربعة وعشرين ألفاً ، وكان الروم مائة
ألف ، فالتقوا باليرموك فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كانت نساء قریش يضرهن
بالسيوف ، وكان أبو سفيان بن حرب تحت راية ابنه يزيد ، فجعل ينادى في
المعركة : يا نصر الله ! اقترب ، حتى أنزل نصره وهزم الروم ، فقتل من الروم
ومن معه من أهل أرمينية والمستعربة سبعون ألفاً ، وقتل الله الصقلار وباهان
رئيسين لهم .

ثم بعث أبو عبيدة بن الجراح عياض بن غنم في طلبهم ، فسلط الأعماق
حتى بلغ ملطية ، فصالح أهلها على الجزية ، فسمع هرقل بذلك فبعث إلى
ملطية فساق من فيها من المقاتلة وأمر بها فأحرقت .

وكان ممن قتل باليرموك من المسلمين : عمرو بن سعيد بن العاص ، وأبان
ابن سعيد بن العاص ، وعبد الله بن سفيان بن عبد الأسد ، وسعيد بن الحارث

ابن قيس .

ولما حسر عن سعد بن أبي وقاص الشتاء سار بالمسلمين يريد القادسية ، وكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستمده ، فبعث إليه عمر المغيرة بن شعبة فى أربعمائة رجل مدداً لسعد من المدينة ، وكتب إلى أبى عبيدة بن الجراح أن أمد سعداً بألف رجل من عندك ، ففعل أبو عبيدة ذلك وأمر عليهم عياض بن غنم الفهرى ؛ وسمع بذلك رستم فخرج بنفسه مع من عنده من الأعاجم يريد سعداً ، وحج عمر بالناس .

فلما كانت السنة السادسة عشرة أراد عمر بن الخطاب أن يكتب التأريخ فاستشار أصحاب النبى ﷺ ، منهم من قال : من النبوة ، ومنهم من قال : من الهجرة ، ومنهم من قال : من الوفاة ، فأجمعوا على الهجرة ، وكتب التأريخ لسنة ست عشرة من الهجرة .

فلما وصل إلى سعد بن أبى وقاص المغيرة بن شعبة سار بالمسلمين إلى رستم حتى نزل قادس قرية إلى جنب العذيب ، وأقبل رستم فى ستين ألفاً من الجموع ممن أحصى فى ديوانه سوى التبع والرقيق حتى نزل القادسية وبينهم وبين المسلمين جسر القادسية ، وسعد فى منزله وجع قد خرج به قرح شديد ، فبعث رستم إلى سعد أن ابعث إلى رجلاً جلدأً أكمله ، فبعث إليه المغيرة بن شعبة ، ففرق المغيرة رأسه أربع فرق ثم عقص شعره ولبس برديه ، وأقبل حتى انتهى إلى رستم من وراء الجسر مما يلى العراق والمسلمون من الناحية الأخرى مما يلى الحجاز ، فلما دخل عليه المغيرة قال له رستم : انكم معشر العرب ! كنتم أهل شقاء وجهد وكنتم تأتوننا من بين تاجر وأجير ووافد ، فأكلتم من طعامنا وشربتم من شرابنا واستظللتم بظلالنا فذهبتكم فدعوتكم أصحابكم وجئتم تؤذوننا ، وإنما مثلكم مثل رجل له حائط من عنب فرأى فيه أثر ثعلب فقال : وما بثعلب واحد ! فانطلق ذلك الثعلب حتى دعا الثعالب كلها إلى ذلك الحائط ، فلما اجتمعن فيه جاء صاحب الحائط فرآهن ، فسد الحجر الذى

دخلن منه ثم قتلهن جميعاً ، وأنا أعلم إنما حملكم على هذا - معشر العرب !
 الجهد الذى أصابكم ، فارجعوا عنا عامكم هذا ، فإنكم شغلتمونا عن عمارة
 بلادنا ونحن نوفر لكم ركائبكم قمحاً وتمراً ونأمر لكم بكسوة فارجعوا عنا ،
 فقال المغيرة بن شعبه : لا يذكر منا جهد إلا وقد كنا فى مثله أو أشد ، أفضلنا
 فى أنفسنا عيشاً الذى يقتل ابن عمه ويأخذ ماله فيأكله نأكل الميتة والدم
 والعظام ، فلم نزل على ذلك حتى بعث الله فينا نبينا وأنزل عليه الكتاب ،
 فدعانا إلى الله وإلى ما بعث به فصدقه به منا مصدق وكذبه به منا مكذب فقاتل
 من صدقه من كذبه حتى دخلنا فى دينه من بين موقن ومقهور حتى استبان
 لنا أنه صادق وأنه رسول الله ﷺ ، فأمرنا أن نقاتل من خالفنا ، وأخبرنا أن من
 قتل منا على ذلك فله الجنة ، ومن عاش ملك وظهر على من خالفه ، ونحن
 ندعوك إلى أن تؤمن بالله وبرسوله وتدخل فى ديننا ، فإن فعلت كانت لك
 بلادك ، ولا يدخل عليك فيها إلا من أحببت ، وعليك الزكاة والخمس ، وإن
 آيت ذلك فالجزية، وإن آيت ذلك قاتلناك حتى يحكم الله بيننا وبينك .

قال له رستم : ما كنت أظن أن أعيش حتى أسمع هذا منكم معشر العرب !
 لا أمسى غداً حتى أفرغ منكم وأقتلكم كلكم ؛ ثم أمر بالمعبر أن يسكر فبات
 ليلته يسكر بالزرع والقصب والتراب حتى أصبح وقد تركه جسراً ، وعبأ سعد
 ابن أبى وقاص الجيش ، فجعل خالد بن عرفطة على جماعة الناس ، وجعل
 على الميمنة جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح المردى ،
 وزحف إليهم رستم وزحف إليه المسلمون ، وكان سعد فى الحصن ، معه أبو
 محجن الثقفى محبوس ، حبسه سعد فى شرب الخمر فاقتتل المسلمون قتالاً
 شديداً والخيول تجول ، وكان مع سعد أم ولده فقال لها أبو محجن وسعد فى
 رأس الحصن ينظر إلى الجيش كيف يقاتلون : أطلقينى ولك عهد الله وميثاقه
 لئن لم أقتل لأرجعين إليك حتى تجعلنى الحديد فى رجلى ! فأطلقتته وحملته
 على فرس لسعد بلقاء وخلت سبيله ، فجعل أبو محجن يشد على العدو ويكر

وسعد ينظر فوق الحصن يعرف فرسه وينكره .

وكان عمرو بن معد يكرب مع المسلمين فجعل يحرض الناس على القتال ويقول : يا معشر المسلمين ا كونوا أسوداً ، إن الفارسي تيس^(١) ، وكان في الأعلاج رجل لا يكاد يسقط له نشابة ، فقبل لعمرو بن معد يكرب : يا أبا ثورا اتق ذلك الفارسي فإنه لا تسقط له نشابه ، فقصد نحوه وجاءه الفارسي ورماه بنشابة ، فأصاب ترسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه وذبحه ، فاستلبه سوارين من ذهب ومنطقة من ذهب ويلمقاً من ديباج ، وحمل رستم على المسلمين فقصده هلال بن علقمة التميمي ، فرماه رستم بنشابة فأصاب قدمه فشكها إلى ركاب سرجه ، وحمل عليه هلال بن علقمة فضربه فقتله واحتز رأسه ، وولت الفرس واتبعتهم المسلمون يقتلونهم ، فلما رأى أبو محجن الهزيمة رجع إلى القصر وأدخل رجله في قيده ، فلما نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه قد عرقت فعرف أنها قد ركبت ، فسأل أم ولده عن ذلك فأخبرته خبر أبي محجن فخلى سبيله ، ونهض سعد بالمسلمين خلفهم وانتهى الفرس إلى دير قرة فنزل عليهم سعد بالمسلمين ووافى عياض بن غنم في مدده من أهل الشام وهم ألف رجل فأسهم له سعد ولأصحابه من المسلمين مما أصابوا بالقادسية ، وكان الناس قد أجنبوا سعداً وقالوا : أجنبنا عن محاربة الأعداء ، فاعتذر إلى الناس وأراهم ما به من القروح في فخذه حتى سكنت الناس .

ثم أنهزم الفرس من دير قرة إلى المدائن ، وحملوا ما معهم من الذهب والفضة والحريز والديباج والسلاح وخلوا ما سوى ذلك ، فبعث سعد خالد بن عرفة في طلبهم معه أصحابه ، وأردفه بعياض بن غنم في أصحابه ، وجعل على مقدمة الناس هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى يسرتهم زهرة بن حوية التميمي ، وتخلف عنهم بنفسه لما به من الوجع ، ثم أفاق سعد من وجعه وبرىء واتبع الناس بمن معه من المسلمين فأدركهم دون دجلة على بهرسير ، فطلبوا الخاضة فلم يهتدوا لها ،

(١) التيس : ذكر الماعز (ج) تيس .

فقال عالج من أهل المدائن لسعد : أنا أدلكم على مخاضة تدركونهم قبل أن يمعنوا السير ، فخرج بهم على مخاضة ، فكان أول من خاض المخاضة هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص في رجله ، فلما جاز تبعه خيله ، ثم أجاز عياض بن غنم بخيله ، ثم تتابع الناس فخاضوا حتى جاوزوا ويقال : إن تلك المخاضة لم تعرف إلى الساعة ، فبلغ المسلمون إلى ساباط طويل مظلم ، وخشوا أن يكون فيه كمين للعدو فأخذوا يتجانون ، فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص ، فلما جاز لاح للناس بسيفه فعرفوا أنه ليس فيه شيء يخافونه ، ثم أجاز خالد بن عرفطة بخيله ، ثم لحق سعد بالناس حتى انتهوا إلى جلولاء وبها جماعة من الفرس ، وكانت بها وقعة جلولاء وهزم الله الفرس وأصاب المسلمون بها من الغنائم أكثر مما أصابوا بالقادسية .

وكتب سعد إلى عمر بن الخطاب يخبر بفتح الله على المسلمين ، فكتب إليه عمر أن قف مكانك ولا تطلب غير ذلك ، فكتب إليه سعد إنما هي سرية أدر كناها والأرض بين أيدينا فكتب إليه عمر : أقم مكانك ولا تتبعهم ، وأعد للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد ، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحراً فنزل سعد بالأنبار فاجتووها وأصابهم بها الحمى ، فكتب إلى عمر يخبره بذلك ، فكتب إلى سعد أنه لا يصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاء في منابت العشب ، فانظر فلاة إلى جنب بحر فأنزل المسلمين بها واجعلها دار هجرة ، فسار سعد حتى نزل بكوفة فلم يوافق الناس الكون بها من كثرة الذباب والحمى ، فبعث سعد عثمان بن حنيف فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم ، فنزلها سعد بالناس وخط مسجدها ، واختط فيها للناس الخطط وكوف الكوفة ، واستعمل سعد على المدائن رجلاً من كندة يقال له شرحبيل بن السمط .

ثم كتب عمر إلى سعد أن ابعث إلى أرض الهند - يريد البصرة - جنداً لينزلوها ، فبعث إليها سعد عتبة بن غزوان في ثمانمائة رجل حتى نزلها ، وهو الذي بصر البصرة واختط المنازل ، وبنى مسجد الجامع بالقصب ، وكان فتح

البصرة صلحاً . وافتتح عتبة بن غزوان الأبله والفرات وميسان ، ومن سبي ميسان
والد الحسن وأرطبان جد ابن عون .

ثم خرج عتبة حاجاً ، وأمر المغيرة بن شعبه أن يصلي بالناس إلى أن يرجع
فحج ورجع فمات في الطريق قبل أن يصل إلى البصرة ، فأقر عمر المغيرة بن
شعبه على الصلاة ، وولد عبد الرحمن بن أبي بكر بالبصرة ، وهو أول مولود
ولد بها .

وخرج عمر بن الخطاب وخلف عثمان بن عفان على المدينة ، فلما قدم
الشام نزل بالجابية فقام فيها خطيباً لهم ، ثم أراد عمر الرجوع إلى الحجاز فقال
له رجل من اليهود : يا أمير المؤمنين ! لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك
إيلياء فبينما عمر كذلك إذ نظر إلى كردوس خيل مقبل ، فلما دنوا من
المسلمين سلوا السيوف فقال عمر : هم قوم يستأمنون فأمنوهم ، فأقبلوا وإذا هم
أهل إيلياء فصالحوه على الجزية وفتحوها له ، وكتب لهم عمر كتاب عهد
بذلك ، ورجم بالجابية امرأة أقرت على نفسها بالنزنا .

ثم رجع إلى المدينة ودون لهم الديوان ، وغرب أبا محجن الثقفي إلى باضع ،
وتزوج عمر صفية بنت أبي عبيد على مهر أربعمئة درهم ، وحج بالناس عمر
استخلف على المدينة زيد بن ثابت .

فلما دخلت السنة السابعة عشرة كتب عمر إلى البلدان بمواقيت الصلاة ،
ووضع ما بين مكة والمدينة ميهاً للسابلة ، واتخذ داراً بالمدينة وجعل فيها الدقيق
والسويق للمتقطع والضيف إذا نزل .

وولي عمر المغيرة على البصرة فسار المغيرة إلى الأهواز فصالحوه على ألفي
ألف درهم وثمانمئة ألف درهم ، ثم ارتدوا ، فغزاهم بعد ذلك أبو موسى
الأشعري إلى أن افتتحها ، يقال : عتوة ، وقد قيل : صلحاً .

وبعث أبو عبيدة بن الجراح عمرو بن العاص إلى قنسرين فصالح أهل حلب

ومنبج وأنطاكية ، وافتتح سائر أرض قيصر عنوة ، ويقال : إن في هذه السنة افتتح أبو موسى الأشعري الرهاء وسمي ساط صلحاً .

ثم أراد عمر الخروج إلى الشام فخرج حتى إذا بلغ سرخ لقيه أمراء الأجناد ، أبو عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وأخبروه أن الأرض وية ، فقال عمر لابن عباس : اجمع إلى المهاجرين الأولين ، فجمعهم له واستشارهم ، فاختلفوا عليه ، فمنهم القائل : خرجت لوجه تريد فيه الله والدار الآخرة ، ولا نرى أن نصدق عنه ، ومنهم من يقول : لا نرى أن تقدم عليه وتقدم الناس ، فلما اختلفوا عليه قال : قوموا عني . ثم جمع الأنصار واستشارهم فسلوكوا طريق المهاجرين فلما اختلفوا عليه قال : قوموا عني ، ثم جمع مهاجرة الفتح فاستشارهم فلم يختلف عليهم منهم اثنان ، قالوا جميعاً : ارجع بالناس فإنه بلاء وفناء ، فقال عمر لابن عباس : أخبر الناس أن أمير المؤمنين يقول : إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه ، فأصبح عمر على ظهر وأصبح الناس عليه فقال : أيها الناس ! إني راجع فارجعوا ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح : يا أمير المؤمنين ! أفراراً من قدر الله ؟ قال : نعم ، نفر من قدر الله إلى قدر الله ، لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! أرايت لو أن رجلاً هبط وادياً له عدوتان : إحداهما خصبة ، والأخرى جدبة . أليس يرعى من يرعى الجدبة بقدر الله ، ويرعى من يرعى الخصبة بقدر الله ؟ ثم خلا به بناحية دون الناس ، فبينما الناس على ذلك إذ لحقهم عبد الرحمن بن عوف وكان متخلفاً ولم يشهد معهم يومهم الأمس فقال : ما شأن الناس ؟ فأخبره الخبر فقال : عندي من هذا علم ، فقال عمر : ما عندك ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه » لا يخرجكم إلا ذلك ، فقال عمر : فله الحمد فانصرفوا أيها الناس ! فانصرف بهم . ورجع أمراء الأجناد إلى أعمالهم .

ثم اعتمر عمر في رجب ، وأمر بتوسيع المسجد وتجديد أنصاب الحرم ،

وتزوج بمكة بنت حفص بن المغيرة فأخبر أنها عاقر فطلقها قبل أن يدخل بها ، وأقام بمكة عشرين ليلة ورجع إلى المدينة .

وبعث أبو عبيدة خالد بن الوليد فغلب على أرض البقاع فصالحه أهل بعلبك ، ثم خرج أبو عبيدة يريد حمص ، وقدم خالداً أمامه فقاتلوا قتالاً شديداً ، ثم هزمت الروم حتى دخلوا مدينتهم فحاصروهم المسلمون ، فسألوه الصلح على أموالهم وأنفسهم وكنائسهم ، فصالح المسلمون حمص على مائة ألف دينار وسبعين ألف دينار ، وأخذ سائر مدائن حمص عنوة .

وبعد موت عتبة بن غزوان والى البصرة أمر عمر على البصرة أبا موسى الأشعري ، وكان المغيرة على الصلاة بها ، فشهد أبو بكر وشبل بن معبد البجلي ونافع بن كلدة وزيايد على المغيرة بما شهدوا . فبعث عمر إلى أبي موسى الأشعري أن أشخص إلى المغيرة ، ففعل ذلك أبو موسى .

ثم تزوج عمر أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وهي من فاطمة ، ودخل بها في شهر ذي القعدة ، ثم حج واستخلف على المدينة زيد بن ثابت .

فلما دخلت السنة الثامنة عشرة أصاب الناس مجاعة شديدة ، فاستسقى لهم عمر وأخذ بيد العباس وقال : اللهم إنا نستسقى بعم رسول الله ﷺ ، فما زال العباس قائماً إلى جنبه وعيناه تهملان وعمر يلح في الدعاء حتى سقوا ، فسمى هذه السنة سنة الرمادة ، وأجرى عمر الأقوات على المسلمين ، وكان يرزق الضعفاء القوت ، ونهى عن الحكرة حاطباً وغيره .

وكان طاعون عمواس فتفانى الناس فيه ، فكتب عمر إلى أبي عبيدة : إنك أنزلت الناس أرضاً عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة ، فسار أبو عبيدة بالناس حتى نزل بالجابية ، ثم قام أبو عبيدة خطيباً فقال : أيها الناس ! إن هذا الوجع رحمة ربيكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم ، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه ، فمات من يومه ، واستخلف على الناس معاذ بن جبل ،

فقام معاذ خطيباً بعده فقال : أيها الناس ! إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم ، إن معاذاً يسأل الله أن يقسم له حظه ثم لأهل بيته ، فطعن ابنه عبد الرحمن بن معاذ فمات ، ثم طعن معاذ في راحته فكان يقبل ظهر كفه وكان يقول : ما أحب أن لى بما فيك من الدنيا شيئاً ، ثم مات ، واستخلف على الناس عمرو بن العاص ، فقام فيهم خطيباً فقال : أيها الناس ! إن هذا الوجع إذا وقع يشتعل [اشتعال] النار فارتفعوا عنه في الجبال .

فمات في طاعون عمواس : يزيد بن أبي سفيان ، والحارث بن هشام بن المغيرة ، وسهيل بن عمرو ، وعتبة بن سهيل .

فلما بلغ عمر بن الخطاب موت أبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان أمر معاوية بن أبي سفيان على جند دمشق وخراجها ، وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها ، وغرب عمر بن ربيعة بن أمية إلى خيبر ، ولحق بأرض الروم وتنصر ، فلم يغرب عمر بعد ذلك رجلاً في شيء من عمله .

ولا عن عمر بين رجل وامرأته ورجم ساحراً بالقيع ، ثم حج عمر بالناس ، فلما تقدم بمكة آخر المقام مقام إبراهيم - وكان ملصقاً بالبيت - في موضعه الذي هو فيه اليوم ، ورجع إلى المدينة .

فلما دخلت السنة التاسعة عشرة كتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص أن ابعث من عندك جنداً إلى الجزيرة ، وأمر عليهم أحد الثلاثة : خالد بن عرفطة ، أو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، أو عياض بن غنم ؛ فلما قرأ سعد الكتاب قال : لم يؤخر أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر الثلاثة إلا أن له فيه هوى ، فولاه جيشاً وبعث معه عمر بن سعد وعثمان بن أبي العاص ، فخرج عياض بن غنم إلى الجزيرة ونزل بجنده على الرهاء وصالح أهلها على الجزيرة ، وصالحت حرّان حين صالحه الرهاء ، ووجه عياض عمر بن سعد إلى رأس العين وسار بنفسه في بقية الناس إلى دارا ونصيبين فنزل عليهما حتى افتتحهما ، ثم افتتح

الموصل ، صالحه عليها أهلها .

وزاد عمر في مسجد رسول الله ﷺ ، زاد فيه من ناحية دار مروان وأدخل فيه دار العباس ، وسوى أعمدته وسقفه .

وبعث سعد جرير بن عبد الله البجلي إلى حلوان فافتتحها عنوة ، وافتتح هاشم بن عتبة ما سبذان عنوة . وفي هذه السنة فتح أبو موسى جند يسابور والسوس صلحاً ، ثم أمر عمر أبا موسى بجرير بن عبد الله فافتتحوا رامهرمز صلحاً ، ثم سار أبو موسى إلى التستر حتى فتحها ، وافتتح قم وقاشان . ثم افتتح معاوية بن أبي سفيان قيسارية والرملة وما بينهما ، فأقره عمر عليهما . وحج بالناس عمر . وفي هذه السنة افتتحت تكريت .

فلما دخلت سنة عشرين رجفت المدينة بالزلزلة . وشكى أهل الكوفة سعداً وزعموا أنه لا يحسن يصلي ، فاستقدمه عمر وسأله فقال : إني أركن في الأوليين وأحذف في الآخرتين ، فقال : كذاك الظن فيك يا أبا إسحاق . ثم عزل عمر قدامة بن مظعون عن البحرين ، ودخل أبو بحرية الكندي عبد الله بن قيس بلاد الروم وأغار ، وهو أول من دخلها . وافتتح مصر والإسكندرية عمرو ابن العاص عنوة - وقد فتحت سنة إحدى وعشرين - وغنم بها غنائم كثيرة ثم رجع ، فلما بلغ بلهيب قرية من قرى الريف أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن العاص أني قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلى منكم : فارس والروم ، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علي من السبي فعلت ، فبعث إليه عمرو بن العاص أن من ورائي أميراً لا أستطيع أن أنفذ أمراً دونه ، فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عني حتى أكتب إليه بالذي عرضت علي فعلت ، فإن قبل ذلك قبلته ، وإن أمرني بغير ذلك مضيت لأمره ، فقال : نعم ، فكتب عمرو إلى عمر ، فكتب إليه عمر : أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه أن صاحب الإسكندرية عرض عليك الجزية على أن ترد عليه ما

أصبحت من سبى أرضه ، ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إليّ من فيء يقسم ثم كأنه لم يكن ، فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية على أن تخيروا من فى أيديكم من سبيهم بين الاسلام وبين دين قومهم ، فمن اختار الإسلام فهو من المسلمين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه ، وأما من تفرق من سبيهم فبلغ المدينة ومكة واليمن فأنا لا نقدر على ردهم ، فلا نحب أن نصالحهم على مالا نفى به ، فبعث عمرو بن العاص إلى صاحب الإسكندرية يعلمه بالذى كتب أمير المؤمنين ، فقال : قد قبلت ، فجمعوا ما بأيديهم من السبى ، واجتمعت النصارى ، فكانوا يخبرون الرجل بين الاسلام والنصرانية ، فإن اختار الإسلام كبر المسلمون وانحاز إليهم ، إن اختار النصرانية نخرت النصارى ثم حازوه إليهم ووضعوا عليه الجزية .

ثم كتب عمرو بن العاص إلى عمر : أما بعد يا أمير المؤمنين ! فإننا قدرنا على البحر وإن شئت أن تركبه ركبت ، فكتب إليه عمر أن صف لى كيف حاله وحال من ركبه ، فكتب إليه عمرو بن العاص أنه خلق شديد ؛ يحل فيه خلق ضعيف ، دود على عود ، إن استمسك به فرع وإن خر غرق ، فكتب إلى عمرو بن العاص : ما كان الله ليسألنى عن أمرى من المسلمين الذين حملتهم فيه ، لا حاجة لنا به .

وتوفى بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ بدمشق ودفن فى المقبرة عند باب الصغير ؛ ثم أخرج عمر يهود الحجاز من نجران إلى الكوفة وقال : كان النبى ﷺ يقول : « لمن عشت لأخرجن اليهود من جزيرة العرب » ؛ ثم قال لهم : من كان له منكم عهد من رسول الله ﷺ فليأت بعهدته حتى ننفذه ، ومن لم يكن له عهد فإنى أجليه ، لأن النبى ﷺ قال : « أقركم ما أقركم الله » ، وقد أذن الله بإجلائكم إلا أن يأتى رجل منكم بعهد أو بينة من النبى ﷺ أنه أقره فأقره ، وقد فعلتم بمظهر بن رافع الحارثى ما فعلتم ؛ وذلك أن مظهر بن رافع

خرج بأعلاج له من الشام حتى إذا كان بخيبر دخل قوم من اليهود وأعطوا غلمانهم السلاح وحرضوهم على قتله فقتلوه ، فأجلى عمر اليهود من الحجاز ، وقسم خيبر على ثمانية عشر سهماً . ثم بعث إلى فذك أبا حبيبة الحارثي ومضى إلى وادي القرى ، وأنفذ ظعن خيبر و وادي القرى على ما كان رسول الله ﷺ سماها إلا أنه فرقها ، وصارت في أيدي أهلها تباع وتورث ؛ بدأ بأزواج النبي ﷺ ففرض لكل امرأة منهن اثني عشر ألفاً ، وفرض لأهل بدر صبيهم وحليفهم ومولاهم خمسة آلاف خمسة آلاف ، وفرض للأنصار صبيهم وحليفهم ومولاهم أربعة آلاف أربعة آلاف .

ثم مات أسيد بن حضير في شعبان ودفن بالبقيع .

ومات هرقل ملك الروم وأقعد مكانه قسطنطين ؛ ثم أغارت الحبشة على أهل بلجة فأصابوهم ، وقدم الصريخ على عمر فبعث علقمة بن مجزز المدلجي في عشرين مركباً إلى الحبشة فأغاروا عليهم ؛ ولم يحمل بعدها مسلماً في البحر . ثم عزل عمر أبا موسى عن البصرة وولاه عثمان بن أبي العاص وأمرهما أن يطاوعا ، فنزل عثمان توج ومصرها ، وبعث سوار بن همام العبدى إلى سابور فقتل بعقبة الطين .

ثم ماتت زينب بنت جحش زوجة رسول الله ﷺ فسأل عمر : من يغسلها ؟ فقالت أزواج النبي ﷺ : نحن نغسلها ، فغسلنها ، وصلى عليها عمر وكبير أربعاً ، فلما أتى بسريرها أمر عمر بثوب فمد على قبرها ، وأمر أسامة بن زيد وابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش ومحمد بن طلحة بن عبيد الله فدخلوا قبرها ولحدوا لها ، وقام عمر على قبرها حتى سوى عليها ، ورش على قبرها الماء ثم انصرف . وحج عمر بالناس .

فلما دخلت السنة الحادية والعشرون مات خالد بن الوليد بحمص وأوصى

إلى عمر بن الخطاب .

ثم كان فتح نهاوند وأميرها النعمان بن مقرن ، وذلك أن أهل الرى وأصبهان وهمذان ونهاوند تعاقدوا وتعاهدوا وقالوا : إن رسول الله ﷺ - نبي العرب الذى أقام لها دينها - مات ، وإن ملكهم من بعده ملك يسيراً - يعنى أبا بكر - ثم هلك ، وإن عمر قد طال ملكه ومكثه وتأخر أمره حتى جيش إليكم الجيوش فى بلادكم ، وليس بمنقطع عنكم حتى تسيروا إليهم فى بلادهم فتقتلوهم . فلما بلغ الخبر أهل الكوفة من المسلمين كتبوا إلى عمر ، فلما أخذ عمر الصحيفة مشى بها إلى منبر رسول الله ﷺ وهو باك وجعل ينادى : أين المسلمون ! أين المهاجرون والأنصار ! من ههنا من المسلمين ! فلم يزل ينادى حتى امتلأ عليه المسجد رجالاً ؛ ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس ! فإن الشيطان قد جمع لكم جموعاً كثيرة وأقبل بها عليكم ، ألا ! وإن أهل الرى وأصبهان وأهل همذان وأهل نهاوند أم مختلفة ألوانها وأديانها ، ألا ! وإنهم تعاقدوا وتعاهدوا على أن يسيروا إليكم فيقتلوكم ، ألا . وهذا يوم له ما بعده من الأيام ، ألا ! فأشيروا على برأيكم ؛ فقام طلحة بن عبيد الله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أمير المؤمنين ! فقد حنكتك البلايا وعجمتك التجارب ، وقد ابتليت يا أمير المؤمنين واختبرت ، فلم ينكشف شئ من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار ، وأنت يا أمير المؤمنين ميمون النقيبة مبارك الأمر ، فمرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب ، فأثنى عمر على طلحة خيراً ثم جلس ، فقام عثمان بن عفان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أمير المؤمنين ! إني أرى أن تكتب إلى أهل الشام فيسيرون إليك من شامهم ، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيرون من يمنهم ، وتسير أنت بمن معك من أهل هذين الحرمين إلى هذين المصرين ، فإنك لو فعلت ذلك كنت أنت الأعز الأكبر ، وإن هذا يوم له ما بعده من الأيام ، وأثنى عليه عمر فجلس ؛ فقام على بن أبى طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أمير المؤمنين ! فإنك إن تكتب إلى أهل الشام أن يسيروا إليك من شامهم إذا تسير الروم إلى

ذاريهم فتسبيهم ، وإن تكتب إلى أهل اليمن أن يسيروا إليك من يمنهم إذا تسير الجبشة إلى ذاريهم فتسبيهم ، وإن سرت أنت بمن معك من أهل هذين الحرمين إلى هذين المصرين إذا والله انتقضت عليك الأرض من أقطارها وأكنافها ، وكان والله يا أمير المؤمنين من تخلف وراءك من العورات والعيالات أهم إليك مما بين يديك من العجم ، والله يا أمير المؤمنين ! لو أن العجم نظروا إليك عياناً إذا لقالوا : هذا عمر ، هذا إريس العرب و كان والله أشد لحربهم وجرائهم عليك ، وأما ما كرهت من مسير هؤلاء القوم فإن الله أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما كره ، وأما ما ذكرت من كثرتهم فإننا كنا ما نقاتل مع نبينا بالكثرة ولكننا نقاتل معه بالنصرة من السماء ، وأنا أرى يا أمير المؤمنين رأياً من تلقاء نفسى ، رأى أن تكتب إلى أهل البصرة فيفترقوا على ثلاث فرق : فرقة تقيم فى أهل عهودهم بأن لا ينتقضوا عليهم ، وفرقة تقيم من ورائهم فى ذاريهم ، وفرقة تسير إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم ، فطبق عمر ثم أهل مكبراً يقول : الله أكبر الله أكبر ! هذا رأى هذا رأى ! كنت أحب أن أتابع صدق ابن أبى طالب ، لو خرجت بنفسى لنقضت على الأرض من أقطارها ، ولو أن العجم نظروا إلى عياناً ما زالوا عن العرص حتى يقتلونى أو يقتلهم ، أشر على ياعلى بن أبى طالب برجل أوليه هذا الأمر ! قال : مالى ولهم ! هم أهل العراق وفدوا عليك ورأوك ورأيتهم وتوسمتهم وأنت أعلمنا بهم ، قال عمر : إن شاء الله لأولين الراية غداً رجلاً يكون لأول أسنة يلقاها ، وهو النعمان بن مقرن المزنى ، ثم دعا عمر السائب بن الأقرع الكندى فقال : يا سائب ! أنت حفيظ على الغنائم بأن تقاسمها ، فإن الله أغنم هذا الجيش شيئاً فلا تمنعوا أحداً حقاً هو له ، ثكلتك أمك يا سائب ! وإن هذا الجيش هلك فاذهب عني فى عرض الأرض فلا أنظر إليك بواحدة ، فإنك تجيئنى بذكر هذا الجيش كلما رأيته .

ثم كتب إلى أهل الكوفة : سلام عليكم ، أما بعد فقد استعملت عليكم النعمان بن مقرن المزنى ، فإن قتل النعمان فعليكم حذيفة بن اليمان العبسى ،

فإن قتل حذيفة فعليكم عبد الله بن قيس الأشعري أبو موسى ، فإن قتل أبو موسى فعليكم جرير بن عبد الله البجلي ، فإن قتل جرير فعليكم المغيرة بن شعبة الثقفي ، فإن قتل المغيرة فعليكم الأشعث بن قيس الكندي .

ثم كتب عمر إلى النعمان بن مقرن : فإن في جندك رجلين : عمرو بن معد يكرب المدحجي ، وطلحة بن خويلد الأسدي ؛ فأحضرهما وشاورهما في الحرب ، وإياك أن توليها عملاً فإن كل صانع أعلم بصناعته .

فلما ورد عليه الكتاب سار بالناس ، فالتقى المسلمون والمشركون بنهاوند ، فأقبل المشركون يحمون أنفسهم وخیولهم ثلاثاً ، ثم نهض إليهم المسلمون يوم الأربعاء فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى وفشت الجرحى والصرعى في الفريقين جميعاً ، ثم حجز بينهما الليل ورجع الفريقان إلى عسكريهما ، وبات المسلمون ولهم أنين من الجراحات ، يعصبون بالخرق ويكون حول مصاحفهم ؛ وبات المشركون في معازفهم وخمورهم .

ثم غدوا يوم الخميس فاقتتل المشركون وقاتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى وفشت الجرحى في الفريقين جميعاً ، ثم حجز بينهما الليل ورجع الفريقان إلى عسكريهما ، وبات المسلمون لهم أنين من الجراحات يعصبون بالخرق ويكون حول مصاحفهم ، وبات المشركون في معازفهم وخمورهم .

ثم غدا النعمان بن مقرن يوم الجمعة - وكان رجلاً قصيراً أبيض - على بردون أبيض قد أعلم بالبياض ، فجعل يأتي راية راية يحرضهم على القتال ويقول : الله الله في الاسلام أن تخذلوه ، فإنكم باب بين المسلمين وبين المشركين ، فإن كسر هذا الباب دخلوا على المسلمين ، يا أيها الناس ! إني هاز لكم الراية مرة فليتعاهد الرجل الخيل في حزمها وأعتنها ، ألا ! وإني هاز لكم الثانية فلينظر كل رجل منكم إلى موقف فرسه ومضرب رمحه ووجه مقاتله ، ألا ! وإني هاز لكم الثالثة ومكبر ، فكبروا الله واذكروه ، ومستنصر فاستنصروه ،

ألا فحامل فاحملوا ، فقال رجل : قد سمعنا مقاتلك وحفظنا وصيتك فأخبرنا بأيّ النهار يكون ذلك يكون ذلك حتى يكونوا على آلة وعدة ، قال النعمان : ليس يمنعني أن يكون ذلك من أول النهار إلا شيء شهدته من رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل بالقتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح ويطيب القتال وتحضر الصلاة ، وينزل النصر من السماء مع مواقيت الصلاة في الأرض ؛ فمكث المسلمون ينظرون إلى الراية ويراعونها حتى إذا زالت الشمس عن كبد السماء هزّ النعمان الراية هزة ، فانتزعوا الخالي عن الخيول وقرطوها الأعنة ، وأخذوا أسيافهم بأيمانهم والأترسة بشمائلهم ، وصلى كل رجل منهم ركعتين يبادر بهما ؛ ثم هز النعمان الراية ثانياً ، فوضع كل رجل منهم رمحه بين أذني فرسه ، ولزمت الرجال منهم نحور الخليل ، وجعل كل رجل يقول لصاحبه : أي فلان ! تنح عني ، لأوطئك بفرسى ، إني أرى وجه مقاتلي ، إني غير راجع إن شاء الله حتى أقتل أو يفتح الله عليّ ؛ ثم هز الثالثة فكبر ، فجعل الناس يكبرون الأول فالأول الأدنى ، فالأدنى وقذف الله الرعب في قلوب المشركين حتى أن أرجلهم كانت تخفق في الركب ، فلم يستطع منهم أحد أن يوتر قوسه ، ثم ولوا مدبرين ؛ وحمل النعمان وحمل الناس فكان النعمان أول قتيل قتل من المسلمين ، وجاءه سهم فقتله ، فجاء أخوه معقل بن مقرن فغطى عليه برداً له ، ثم أخذ الراية وإنها لتنضح دماً من دمائه من قتله بها النعمان قبل أن يقتل ، فهزم الله المشركين وفتح على المسلمين ، وباع الناس لحذيفة بن اليمان ، فجمع السائب بن الأقرع الغنائم كأنها الآكام ، فجاء دهقان من دهاقينهم فقال : هل لك أن تؤمنني على دمي ودم أهل بيتي ودم كل ذي رحم لي وأدلك على كنز عظيم؟ قال : نعم ، قال : خذوا المكاتل والمعاول فامشوا ، فمشوا معه حتى انتهى إلى مكان ، قال : احفروا ، فحفروا فإذا هم بصخرة ، قال : اقلعوها ، فقلعوها فإذا هم بسفطين من فصوص يضيء ضوءها كأنها شهب تتلألأ ، فأعطى السائب كل ذي حق حقه من الغنائم ، وحمل السفطين حتى قدم بهما على عمر ،

فلما نظر عمر إلى السائب ولي باكياً ، ثم أقبل يقول : يا سائب ! ويحك ! ما وراءك ؟ ما فعلت ؟ ما فعل المسلمون ؟ قال السائب : خير يا أمير المؤمنين ! هزم الله المشركين وفتح للمسلمين ، قال : ويحك يا سائب ! والله ما أتت ليلة بعد ليلة بات فيها رسول الله ﷺ فينا ميتا مثل البارحة ! لا والله ما بت البارحة إلا تقديراً ! فما فعل النعمان بن مقرن ؟ قال : استشهد يا أمير المؤمنين ، فبكى عمر ثم قال : يرحم الله النعمان - ثلاثاً ، ثم قال : مه ! قال : لا والذي أكرمك بالخلافة وساقها إليك ! ما قتل بعد النعمان أحد نعرفه ، فبكى عمر بكاءً شديداً ثم قال : الضعفاء لكن الله أكرمهم بالشهادة وساقها إليهم ، أدفنتم إخوانكم ؟ لعلكم غلبتم على أجسادهم وخليتم بين لحومهم والكلاب والسباع ! أخشى أن يكونوا أصيبوا بأرض مضیعة .

قال السائب : هون عليك يا أمير المؤمنين ! فقد أكرمهم الله بالشهادة وساقها إليهم ، ثم قال عمر : أعطيت كل ذي حق حقه ؟ فقال : نعم ، فنفض عمر رداءه ثم ولي باكياً فأخذ السائب بطرف رداءه ثم قال : اجلس يا أمير المؤمنين ! فإن لى إليك حاجة ، قال : وما حاجتك ؟ ألم تخبرنى أنك أعطيت كل ذي حق حقه ؟ قال : بلى ، قال : فما حاجتك إلى ؟ فأبدى له عن السفطين فصوصهما كأنها شهب تتألاً ، فقال عمر : ما هذا ؟ فأخبره السائب خبر الدهقان ، فصعد فيها بصره وخفضه ثم قال : ادع لى علياً وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وعبد الله بن الأرقم ، فلما اجتمعوا عنده قال السائب : لم يكن لى هم إلا أن أنفلت من عمر ، فركبت راحلة لى وأتيت الكوفة ، فوالله ما جفت بردعة راحلتى حتى أتانى كتاب عمر : عزمت عليك إن كنت قاعداً لا قمت وإن كنت قائماً لا قعدت إلا على راحلتك ، ثم العجل العجل ! فقلت للرسول : هل كان فى الإسلام حدث ؟ قال : لا ، قلت : فما حاجته إلى ؟ قال : لا أدرى ، فركبت راحلتى حتى أتيت عمر ، فلما نظر إلى ، أقبل على بدرته يضربنى بها حتى سبقته إلى غيره وهو يقول : مالى ولك يا ابن أم مليكة !

أعن ديني تفارقني أم النار توردني ؟ قلت : دعني عنك يا أمير المؤمنين ! لا تقتلني غماً ، قال عمر : فإنك لما خرجت من عندي فأويت إلى فراشي جاءني ملائكة من عند ربي في جوف الليل ؛ فرموني بسفطين هذين ، فإذا حملتهما فإذا نار توقد على جنبي ، فجعلت أتأخر وجعلوا يدفعونني إليهما ، حتى تعاهدت ربي في هذا : إن هو تركني حتى أصبح لأقسمن على من أفاء الله عليه ، أخرج بهما من عندي ، لا حاجة لي بهما ... بهما بعطية المقاتلة والذرية ، فإن لم تصب إلا عطية أحد الفريقين فبيع ثم اقسمهما على من أفاء الله عليه ، والله لئن شكا المسلمون قبل أن تقسم بينهم لأجعلنك نكالا لمن بعدك ؛ قال السائب : فخرجت بهما من عنده حتى قدمت الكوفة فأخرجتهما إلى الزحمة ، فأبديت عنهما فلاح ضوءهما كأنهما شهب تتألأأ ، فجعل لا يأتي عليهما قوم إلا صفقوا تعجباً منهما ، حتى أتاني عمرو بن حريث ، فلما نظر إليهما استامنى بهما فقلت : بعطية المقاتلة والذرية ، فما كلمني حتى صفق على يدي وأوجبت له البيع ، فخرج بهما إلى الحيرة ، فباع أحدهما بعطية المقاتلة والذرية ، واستفضل الآخر ربها ، فكان أول شيء اعتقله بالكوفة مالا .

ثم سار المغيرة بالمسلمين إلى مدينة أذربيجان فصالحه أهلها على ثمانمائة ألف درهم في كل سنة .

ثم غزا حذيفة بن اليمان الدينور فافتتحها عنوة ، وكانت قبل ذلك فتحت لسعد فانتقضت ؛ ثم غزا حذيفة ماہ سندان فافتتحها عنوة ، وكانت قبل ذلك فتحت لسعد فانتقضت ، ثم غزا حذيفة همذان فافتتحها عنوة .

ثم ولي عمر عمار بن ياسر الكوفة على الصلاة والحرب ، وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض ، فشكا أهل الكوفة عماراً وقالوا : رجل لا يعلم ، فاستعفى عمار ، ودعا عمر جبير بن مطعم خالياً ليولي الكوفة وقال له : لا تذكره لأحد ، فبلغ المغيرة بن شعبة أن

عمر قد خلا بجبير بن مطعم ، فرجع إلى امرأته وقال لها : اذهبي إلى امرأة جبير بن مطعم فاعرضي عليها متاع السفر ، فأتتها فعرضت عليها فاستعجمت عليها ثم قالت : اتيني به ، فلما استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر وقال : بارك الله لك فيمن وليت ، وأخبره أنه ولي جبير بن مطعم ، فقال عمر : لا أدري ما أصنع ؟ فولى المغيرة بن شعبة الكوفة فلم يزل عليها إلى أن مات عمر .

ثم مضى عمرو بن العاص إلى برقة طرابلس ففتحها ، وصالح أهل برقة على اثني عشر ألف دينار ، وبعث عقبة بن نافع الفهري فافتتح لعمر زويلة بالصلح ، وكان بين برقة وزويلة صلح للمسلمين .

وحج عمر بالناس ، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت .

فلما دخلت السنة الثانية والعشرون فتح المغيرة بن شعبة آذر بيجان صلحاً على ثمانمائة ألف درهم ، ودخل معاوية أرض الروم الصائفة في عشرة آلاف ، ثم اعتمر عمر وساق معه عشر بدنان ونحرها في منح رسول الله ﷺ ومعه من الصحابة عبادة بن الصامت وأبو ذر وأبو أيوب وشداد بن أوس ، وكان نافع بن عبد الحارث عامله على مكة فتلقيه نافع فقال عمر : من خلفت على أهل الوادي ؟ فقال : ابن أبزى رجل من الموالى ، قال عمر : أمولى أيضاً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! إنه قارئ للقرآن عالم بالفرائض ، فقال عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين » .

فلما دخلت السنة الثالثة والعشرون فتح معاوية عسقلان صلحاً ، وقد قيل : إن الذي فتح في هذه السنة فتحها قرظة بن كعب الأنصاري لعمر ، ولا يصح عندي .

ثم كان غزوة أصطخر الأولى ، وذلك أن عثمان بن أبي العاص أقام بتوج ، وتوفي قتادة بن النعمان الظفري فصلى عليه عمر ، ونزل حفرته أخوه لأمه أبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والحارث بن خزيمة .

ثم حج بالناس عمر ، وأذن لأزواج النبي ﷺ أن يحججن معه ، فبينما هو بالأبطح إذ أقبل راكب يسأل عن عمر فدل عليه ، فلما رآه بكى وجعل يقول :

جزى الله خيراً من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائج في أكمامها لم تفتق

أبعد قليل بالمدينة أظلمت له الأرض تهتز العضاة بأسوق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامه ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

فما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفى سبتي أزرق العين مطرق

وكان جبير بن مطعم يقول : بينا أنا واقف مع عمر بعرفات إذ قال رجل : يا خليفة الله ! فقال رجل خلفي : قطع الله لحيتك ! والله لا يقف أمير المؤمنين بعد هذا العام أبداً ! قال جبير : فالتفت فإذا هو رجل من لهب ، ولهب بطن من الأزد ، وبيننا نحن نرمى الجمار وإذا رمى إنسان فأصاب رأس عمر فشجه ، فقال رجل خلفي : قطع الله لحيتك ! ما أرى أمير المؤمنين إلا سيقتل ، قال جبير : فالتفت فإذا هو ذلك اللهي . ثم رجع عمر من مكة إلى المدينة وقام في الناس فقال إنني رأيت كأن ديكاً نقرني نقرتين ، ولا أراه إلا لحضور أجلى . ثم خرج يوماً إلى السوق وهو متكئ على يد عبد الله بن الزبير إذ لقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال لعمر : ألا تكلم مولاي أن يضع عنى من خراجي ؟ قال : وكم خراجك ؟ قال : دينار ، قال : ما أفعل ! إنك لعامل وإن هذا لشيء يسير ، ثم قال له عمر : ألا تعمل لي رحي ؟ قال : بلى ، فلما ولى عمر قال أبو لؤلؤة : أعمل لك رحي يتحدث بها من بين المشرق والمغرب ، قال ابن الزبير : فوقع في قلبي قوله ذلك . فلما كان وقت النداء بالفجر خرج عمر إلى الصلاة ، وذلك يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة ، واضطجع له أبو لؤلؤة ، فقام عمر فجعل يقول بين الصفوف : فاستووا استووا ! فلما كبر طعنه أبو لؤلؤة ثلاث طعنات في وتينه ، فقال عمر : قتلني الخبيث ! ثم أخذ بيد عبد

الرحمن فقدمه ، فصلى عبد الرحمن بالناس الصبح وقرأ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ و ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ثم دخل عبد الرحمن على عمر وعنده على وعثمان وسعد وابن عباس ، فقال : يا ابن عباس : من قتلنى ؟ قال : أبو لؤلؤة ، قال عمر : الحمد لله الذى لم يجعل موتى برجل يدعى الإسلام ، ثم سكت عمر كالمطرق فقالوا : ألا تنبه للصلاة ! فقل ! الصلاة يا أمير المؤمنين ! فقال : نعم ، ولاحظ فى الإسلام لمن ترك الصلاة ، ثم صلى وجرحه يشعب دماً ، ثم أقبل على على فقال : اتق الله يا على ! إن وليت من أمور الناس شيئاً فلا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس ، وأنت يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئاً فلا تحملن بنى أبى معيط على رقاب الناس ، وأنت يا زبير ويا سعد ! إن وليتما من أمر الناس فلا تحملان أقار بكما على رقاب الناس ، ثم قال : إني نظرت فى أمر الناس فلم أر عندهم شقاقاً إلا أن يكون فيكم ، وإن الأمر إلى الستة نفر : عثمان وعلى وعبد الرحمن وسعد وطلحة والزبير ، فتشاوروا ثلاثاً ، وكان طلحة غائباً فى مال له ، فقال عمر : إني مصرت لكم الأمصار ودونت لكم الدواوين ، وإني تركتكم على الواضحة ، إنما أتخوف أحد رجلين ، إما رجل يرى أنه أحق بالملك من صاحبه فيقاتله ، أو رجل يتأول القرآن على غير تأويله ، وإني قرأت فى كتاب الله « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » ألا ! فلا تهلكوا عن آية الرجم ، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا معه ، ولولا أن يقول الناس : زاد عمر فى كتاب الله لكتبته بيدي ، فقد قرأناها بكتاب الله .

ثم دعا بكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى الخليفة من بعدى : سلام عليك فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإنى أوصيك بتقوى الله وبالمهاجرين ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا ^(١) مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ - الآية . فتعرف فضيلتهم وتقسم عليهم فيشهم ، وأوصيك ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا

(١) راجع سورة الحشر آية ٨ ، وفى الأصل : خرجوا .

الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴿١﴾ - الآية ، فهؤلاء الأنصار تعرف فضلهم وتقسم عليهم فيشهم ، وأولئك ﴿الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ ﴿٢﴾ - الآية .

وخرج أبو لؤلؤة على وجه يريد البقيع وطعن في طريقه اثني عشر رجلاً فخرج خلفه عبيد الله بن عمر فرأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة وكان نصرانياً وهم يتناجون بالبقيع ، فسقط منهم خنجر له رأسان ونصابه في وسطه ، فقتل عبيد الله أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة ثلاثهم . فجري بين سعد بن أبي وقاص وبين عبيد الله في شأن جفينة ملاحاة ، وكذلك بين علي بن أبي طالب وبينه في شأن الهرمزان حتى قال علي بن أبي طالب : إن وليت من هذا الأمر شيئاً قتلت عبيد الله بالهرمزان .

ثم أرسل عمر إلى عائشة يستأذنها في أن يدفن مع رسول الله وأبي بكر ، فأذنت له فقال عمر : أنا أخشى أن يكون ذلك لمكان السلطان مني فإذا ، مت فاغسلوني فكفنوني ثم قفوا بي على بيت عائشة وقولوا : أيلج عمر ! فإن قالت نعم ، فأدخلوني ، وإن أبت فأدفنوني بالبقيع .

ثم أرسل عمر فجاء بلبين فشربه فخرج من جرحه ، فعلم أنه الموت ، فقال لعبد الله بن عمر : انظر ما على من الدين فاحسبه ، فقال : ستة وثمانون ألفاً ، فقال : إن وفي لها مال آل عمر فأدأها عني من أموالهم ، وإلا فسل بني عدي بن كعب ، فإن لم تف من أموالهم فسل قريشاً ولا تعدهم إلى غيرهم وأدأها عني .

فتوفى عمر رضي الله عنه وله خمسة وستون سنة وفعل به ما أمر فأذنت له عائشة ، وصلى عليه صهيب ، ودخل حفرته عثمان بن عفان وعبد الله بن عمر وكانت الخلافة عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال .

وكان له من العمال وقت ما توفى : على الكوفة المغيرة بن شعبة ، وعلى

(٢) راجع سورة الحشر آية ٩ .

(٢) راجع سورة الحشر آية ١٠ .

البصرة أبو موسى ، وعلى حمص وأعمالها عمير بن سعد الضمري ، وعلى دمشق معاوية بن أبي سفيان وعلى صنعاء يعلن بن منية وعلى الجند عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي ، وعلى مكة نافع بن عبد الحارث ، وعلى مصر عمرو بن العاص - رحمهم الله تعالى أجمعين آمين !

استخلاف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وكنيته أبو عمرو ، وقد قيل : أبو عبد الله ، ويقال : أبو ليلى ، وأم عثمان أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي بالبصرة ثنا علي بن هاشم عن جعفر بن نجيح المدني ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن أحداً أرجح وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان ، فقال النبي ﷺ « أثبت أحداً فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان » .

قال أبو حاتم : لما دفن رضي الله عنه تعمد عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن وسعد يتشاورون ، فأشار عثمان على عبد الرحمن بالدخول في الأمر ، فأبى عبد الرحمن وقال : لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر ، وإن شئتم اخترت لكم منكم واحداً ، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، فلما ولي ذلك مال الناس كلهم إليه وتركوا أولئك الآخرين ، فأخذ عبد الرحمن يتشاور في تلك الليالي الثلاث حتى إذا كان من الليلة التي بايع عثمان بن عفان من غدها جاء إلى باب المسور بن مخرمة بعد هوى من الليل فضرب الباب وقال : ألا أراك نائماً ؟ والله

ما كحلت منذ الليلة بكثير نوم ، أدع لى الزبير وسعداً ، فدعاهما فشاورهما ، ثم أرسله إلى عثمان بن عفان فدعاه فاجاء حتى فرق بينهما المؤذن ، فلما صلوا الصبح اجتمعوا ، وأرسل عبد الرحمن إلى من حضر من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد ، ثم خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنى نظرت فى أحوال الناس وشاورتهم فلم أجدهم يعدلون بعثمان ، ثم قال : يا عثمان ! نبايعك على سنة رسول الله ﷺ والخليفتين من بعده ! قال : نعم ، فبايعه عبد الرحمن وبايعه المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون ، وذلك لغرة المحرم .

وبعد دفن عمر بثلاثة أيام فى هذه السنة كان فتح همدان ثانياً . وكانت قد انتقضت على أميرها المغيرة بن شعبة على رأس ستة أشهر من مقتل عمر ، وفى هذه السنة سار إليها أبو موسى الأشعرى بأهل البصرة حتى فتحها صلحاً ، معه البراء بن عازب وقرظة بن كعب ، وكان عمر بن الخطاب قد قتل وحليفة قد افتتحها وجيشه كان عليها ، ثم انتقضوا حتى غزاهم أبو موسى ، وخرج عثمان بن عفان يوم الفطر إلى المصلى يكبر ويجهر بالتكبير حتى صلى العيد وانصرف ، وبعث على الحج عبد الرحمن بن عوف فخطبهم عبد الرحمن قبل التروية بيوم بمكة بعد الظهر ، فلما زاغت الشمس خرج إلى منى وحج ونفر النفر الأول ، وكان قد ساق معه بدنان فنحراها فى منحر رسول الله ﷺ .

فلما دخلت السنة الخامسة والعشرون غزا معاوية أرض الروم وفتح الحصون ، وولد له ابن يزيد بن معاوية ؛ ثم نقضت الإسكندرية الصلح الذى صالحوهم عمرو بن العاص عليه فغزاهم عمرو ، وظفر بهم وسباهم وبعث السبى إلى المدينة ، فردهم عثمان إلى ذمتهم وقال : إنهم كانوا صلحاً ، والذرية لا تنقض الصلح ، وإنما تنقض الصلح المقاتلة ، ونقض المقاتلة الصلح ليس يوقع السبى على ذرايهم .

ثم عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن الإسكندرية ومصر ، وولاهما عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، فوجد عمرو من ذلك ، وكان بدء الشر بينه

وبين عثمان عزله عن مصر والإسكندرية ، وكان عمرو قد بعث جيشه إلى المغرب فأصابوا غنائم كثيرة ، فلما دخل عبد الله بن سعد مصر والياً بعث جرائد الخيل إلى المغرب واستشار عثمان في إفريقية ، وعزل عثمان سعداً عن الكوفة وولى عيها الوليد بن عقبة بن أبي معيط فبعث الوليد سلمان بن ربيعة الباهلي في اثني عشر ألفاً إلى بردعة فافتتحها عنوة وقتل وسبى ، وغزا البيلقان فصالحوه قبل أن يجيء إلى بردعة ، وبعث خيله إلى جرزان فصالحوه ، وفي هذه السنة كانت غزوة سابور الأولى ؛ ثم حج عثمان بالناس .

فلما دخلت السنة السادسة والعشرون

قدم معاوية المدينة وافداً على عثمان بن عفان ، وبعث عثمان بن عفان بن أبي العاص إلى فارس ففتح سائر الجنود ، وغزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح الإفريقية ومعه العبادلة : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو ، فلقى جرجير في مائتي ألف بموضع يقال له سبيطة على سبعين ميلاً من القيروان ، فقتل جرجير ، وسبوا وغنموا ، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف مثقال ذهب ، وسهم الراجل ألف مثقال ، وصالحه أهل تلك المدن إلى قيروان على مائة ألف رطل من ذهب .

واعتمر عثمان ودخل مكة ليلاً وكان بين الصفا والمروة ، وحل قبل أن يصبح ، ثم رجع إلى المدينة ، وأمر بتوسعه المسجد الحرام وتجديد أنصاب الحرم ؛ وتزوج عثمان بنت خالد بن أسيد ، ثم اعتمر عثمان في رجب وخرج معه عبد الله بن جعفر والحسين بن علي فمرض الحسين بن علي ، فأقام عبد الله بن جعفر عليه بالسقيا ، وبعث إلى علي يخبره بذلك ، فخرج علي في نفر من بني هاشم إلى السقيا ، فلما دخلها دعا بيدنة فنحروها وحلق رأسه ، وأقام على الحسين يمرضه ، فلما فرغ عثمان من عمرته كلموه بأن يحول الساحل إلى جدة ، وكانوا قبل ذلك في الجاهلية يرسون بالشعبية وقالوا : جدة أقرب إلى مكة وأوسع وأقرب من كل ناحية ، فخرج عثمان إلى جدة فرآها ورأى موضعها

وأمرهم أن يجعلوها بمكان الشعبية ، فحول الساحل إلى جدة ودخل البحر وقال : إنه مبارك ، وقال لمن معه : ادخلوا ، ولا يدخلوها إلا بمئزر ، ثم خرج عثمان من جدة على طريق يخرج به إلى عسفان ثم مضى إلى الجار ، فأقام بها يوماً وليلة ، ثم انصرف فمر بعلي بن أبي طالب رضى الله عنه في منصرفه وهو يمرض الحسين مع جماعة من بنى هاشم ، فقال عثمان : قد أردت المقام عليه حتى تقدم ، ولكن الحسين عزم على وجعل يقول : امض لرهطك ، فقال على : ما كان ذلك بشيء يفوتك ، هل كانت إلا عمرة ، إنما يخاف الإنسان فوت الحج ، فأما العمرة فلا ، فقال عثمان : إني أحببت أن أدرك عمرة في رجب ، فقال على بن أبي طالب : ما رأيت رسول الله ﷺ اعتمر في رجب قط ، وما اعتمر عمراته الثلاث إلا في ذى القعدة ؛ ثم رجع عثمان إلى المدينة ، ثم مضى على مع الحسين إلى مكة . . .

وافتح عثمان بن أبي العاص سابور الثانية على ثلاثة آلاف ألف وثلاثمائة ألف صلحاً ، ودخل في صلحهم كازرون ، وبعث عثمان بن أبي العاص هرم بن حيان العبدى إلى قلعة بجرة على ذلك ، وهى يقال لها قلعة الشيوخ ، فافتتحها عنوة وسبى أهلها ؛ وحج بالناس عثمان بن عفان .

فلما دخلت السنة السابعة والعشرون

استشار عثمان بن عفان أصحاب رسول الله ﷺ في إفريقية فأشاروا عليه بذلك ، وكان عثمان يكره ذلك لأن عمر كان يكرهه ويقول : إنها لا تحمل والياً مقتصداً . فخرج عبد الله بن أبي سرح ، وجلب عثمان إبلاً كثيرة من الربذة وسرف ، وحمل عليها سلاحاً كثيراً ، وسار المسلمون معها يلحقون بعبد الله بن سعد بن أبي سرح فلما التقى المسلمون والمشركون ألقى الله في قلوبهم الرعب وفض ذلك الجمع حتى طلبوا الصلح ، فصالحهم عبد الله بن أبي سرح على ألفى ألف وخمسمائة ألف وعشرين ألفاً .

فلما كان العيد خطبهم عثمان ، وكان صادف العيد يوم الجمعة فقال : من كان من أهل العالية وأحب أن يجتمع معنا فعل ، وإلا فليجلس في موضعه . فافتتح عثمان بن أبي العاص أرجان ودارابجرد ، وصالح أهلها على ألفي ألف ومائة .

فلما دخلت السنة الثامنة والعشرون

تزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة وكانت على دين النصرانية ، فلما دخلت عليه قال لها عثمان : إني شيخ كبير كما ترين ، قالت : أنا من نساء أحب الأزواج إليهن الكهول ، قال : تقومين إليّ أو آتيك ؟ قالت : ما جئت من سماوة كلب إليك إلا وأنا أريد القيام إليك .

وغزا معاوية البحر ، معه عبادة بن الصامت معه امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية ، فأتى قبرس ، فتوفيت أم حرام بها وقبرها هناك . ثم كانت فتح فارس الأول على يدى هشام بن عامر . وغزا معاوية قبرس فلحقه عبد الله بن أبي سرح وأهل مصر وغنموا غنائم كثيرة . وغزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم ، ثم كانت قبرس الأخيرة أميرها هشام بن عامر . واعتمر عثمان في رجب ومعه عمرو بن العاص ، فأتى عثمان بلحم صيد فأمرهم بأكله ، فقال له عمرو بن العاص : لا تأكل ولا تأمرنا به ، فقال عثمان : لست أكل منه شيئاً لأنه صيد من أجلى ، فكان بين عثمان وعمرو كلام كان ذلك أول ملاحاة كانت بينهما ، وفي هذه السنة بنى عثمان دار بالزوراء ، ثم حج عثمان بالناس .

فلما دخلت السنة التاسعة والعشرون

عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة وكان عاملاً عليها سبع سنين وعزل عثمان بن أبي العاص عن فارس ، وولى ذلك كله عبد الله بن عامر بن كريز وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة فقدم البصرة ، ثم خرج عبد الله بن عامر إلى فارس على مقدمته عبيد الله بن معمر التيمي ، فقتل عبيد الله ، وفتح

إصطخر الثانية عنوة فقتل وسبى ، فكان ذلك إصطخر الآخرة ، وقد قيل : فى هذه السنة فتح سارية بن زينم الدائلى أصبهان صلحاً وعنوة بأهل البصرة ، بعثه ابن عامر .

وضاق مسجد رسول الله ﷺ على الناس فكلّموا عثمان فى توسعته ، فأمر بتوسعته ، فكان عثمان يركب على راحلته ويقوم على العمال وهم يعملون حتى يجىء وقت الصلاة فيترك ويصلى بهم ، وربما قال فى المسجد ونام فيه حتى جعل أعمدته من حجارة وفرش فيها الرضراض ؛ وبناه بالحجارة المنقوشة والساج ، وجعل له ستة أبواب .

ثم نقضت حلوان الصلح فافتتحها ابن عامر عنوة . ورجم عثمان امرأة من جهينة أدخلت على زوجها فولدت فى ستة أشهر من يوم أدخلت عليه فأمر بها عثمان فرجمت ، فدخل على عثمان فقال له : إن الله يقول : ﴿ حَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ (١) فأرسل عثمان فى طلبها فوجدوها قد رجمت فاعترف الرجل بالغلام ، وكان من أشبه الناس به .

وفى السنة الثلاثين

زاد عثمان النداء الثانى على الزوراء حيث كثر الناس . وانتقصت آذربيجان فغزاها سعيد بن العاص ففتحها ، ثم غزا جرجان ففتحها ، ومات الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف . وسقط خاتم رسول الله ﷺ فى بئر أريس على ميلين من المدينة وكانت من أقل تلك الأبار ماء ، فطلب فلم يوجد إلى الساعة . وغزا ابن عامر فى هذه السنة جور فافتتحها ، وأصاب بها غنائم كثيرة ، وافتتح الكاريان والفرنسجان من دارابجرد ولم يكونا أدخلتا فى علم عثمان بن أبى العاص ؛ ثم افتتح ابن عامر أردشير خرة عنوة فقتل وسبى ، وهرب يزدجرد فأتبعه ابن عامر مجاشع بن مسعود السلمى حتى نزل على السيرجان . وبعث راشد بن عمرو الجديدى ففتح هرمز . ووجه ابن عامر زياد بن الريع الحارثى

(١) سورة الأحقاف آية ١٥ .

إلى سجستان فافتتح زالق وناشروذ . ثم بعث زياد بن الريع إبراهيم بن بسام مولى بنى ليث حتى حاصر مدينة زرنج فصالحوه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب . ومات مسعود بن الريع وكان من أهل بدر ؛ ومات الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الطفيل بن الحارث ثم حج عثمان بالناس وصلى بمنى أربعاً .

وفى السنة الحادية والثلاثين

فتحت أرمينية الآخرة وأميرها حبيب بن مسلمة الفهرى ، وذلك أن عثمان كتب إلى حبيب بن مسلمة أن سر من الشام فى جيش إلى أرمينية ، فمضى حبيب بن مسلمة من ناحية درب الحدث فافتتح خللاط وسراج ووادى المطامير . ومات أبو سفيان بن حرب وهو ابن ثمان وثمانين سنة . ثم خرج ابن عامر إلى خراسان و على مقدمته الأحنف بن قيس ، فلقى أهل هراة فهزمهم ، وافتتح أبرشهر صلحا ، وقد قيل : عنوة ؛ ثم افتتح طوس وما حولها ، ثم صالح أهل سرخس على مائة ألف وخمسين ألفاً .

وبعث أبو عامر الأسود بن كلثوم العدوى إلى ييهق فافتتحها ، وقتل بها ؛ وبعث أهل مرو يطلبون الصلح فصالحهم ابن عامر على ألفى ألف ومائتى ألف ، وكان الذى صالحه ماهويه بن أوزمهر مرزيان مرو . ثم بعث ابن عامر الأحنف ابن قيس إلى مرو الروذ والفاريات والطاقان وافتتح طخارستان ، وقتل منهم ثلاثة عشر نفساً ، ثم خرج الأحنف إلى بلخ فصالحوه على أربعمائة ألف درهم ؛ ثم أتى خوارزم فلم يطقها فرجع . وبعث ابن عامر خليلد بن عبد الله بن زهير الحنفى إلى باذغيس وهراة فافتتحها ثم ارتدوا بعد . وغزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح أرض الروم فى ناحية المصيصة وغنم ثم رجع ؛ وحج بالناس عثمان .

وفى السنة الثانية والثلاثين

مات عبد الله بن مسعود بالمدينة ، ودفن بالبقيع ، وصلى عليه عثمان بن

عفان . ومات عبد الرحمن بن عوف وهو ابن خمس وسبعين سنة . ومات العباس بن عبد المطلب وهو ابن خمس وثمانين سنة ، لأن العباس ولد قبل الفيل بثلاثة سنين . ومات عبد الله بن زيد بن عبد ربه الذي أرى النداء . ومات أبو طلحة الأنصارى زيد بن سهل . وغزا معاوية غزوة مضيق القسطنطينية ومعه امرأته عاتكة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وقد قيل : إن اسمها فاختة . وفيها غزا سعيد بن العاص طبرستان .

وفى السنة الثالثة والثلاثين

مات المقداد بن عمرو بن ثعلبة على ثلاثة أميال من المدينة ، وحمل على أعناق الرجال إلى المدينة ، وصلى عليه عثمان بن عفان ، ودفن بالبقيع ، وغزا معاوية ملطية وقرطبة من أرض الروم . وجمع قارن جمعاً كثيراً بباذغيس وهراة وأقبل في أربعين ألفاً ، وقام بأمر الناس عبد الله بن خازم السلمى فلقى قارن وهزم أصحابه ، وأصابوا سبياً كثيراً . ثم بعث ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب إلى سجستان فصالحه صاحب زرخ فأقام عبد الرحمن بها . وتحرك أهل إفريقية فزحف إليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فكانت إفريقية الثانية . وغزا معاوية حصن المرأة من بلاد الروم من ناحية ملطية . وحج بالناس عثمان .

وفى السنة الرابعة والثلاثين

مات مسطح بن أثاة من أهل بدر . وغزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح الصواري من أرض مصر ، وقاتل منهم مقتلة عظيمة ، وذلك أن المسلمين وعدوهم جميعاً كانوا في البحر ، فالتقوا قتالاً شديداً من غير رمى ولا أسهم ولا طعن بالرمح ، إنما كان الضرب بالسيف أو الطعن بالخنجر حتى قتل من أرض الروم خلق كثير ، وهزم الله الروم منكوبين ، وانصرف المسلمون غانمين . ومات عبادة بن الصامت بالرملة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . ومات عاقل بن البكير من بنى سعد بن الليث من أهل بدر . ومات أبو عبس بن جبر بالمدينة وهو من أهل بدر . وحج عثمان بالناس .

وفى السنة الخامسة والثلاثين

خرج جماعة من أهل مصر إلى عثمان يشكون ابن أبى سرح ويتكلمون منه ، فكتب إليه عثمان كتاباً وهدده فيه ، فأبى ابن أبى السرح أن يقبل من عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان متظلماً وقتل رجلاً من المتظلمة ، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فيهم من الرؤساء : عبد الرحمن بن عديس البلوى وعمرو بن الحقيق الخزاعى ، وكنانة بن بشر بن عتاب الكندى ، وسودان بن حمران المرادى ؛ فساروا حتى قدموا المدينة ونزلوا مسجد رسول الله ﷺ وشكوا إلى أصحاب محمد ﷺ فى مواقيت الصلاة ما صنع بهم ابن أبى سرح ؛ فقام طلحة بن عبيد الله إلى عثمان بن عفان وكلمه الكلام الشديد ، وأرسلت إليه عائشة قدم عليك أصحاب محمد وسألك عزل هذا الرجل فأبيت ذلك بواحدة ، وهذا قد قتل منهم رجلاً ، فأنصفهم من عاملك ؛ وكان عثمان يحب قومه . ثم دخل عليه على بن أبى طالب فقال : سألك رجلاً مكان رجل وقد أدعوا قبله دماً ، فاعزله واقض بينهم ، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه ، فقال لهم عثمان : اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه ، فأشار الناس عليه بمحمد بن أبى بكر ، فقالوا لعثمان : استعمل علينا محمد بن أبى بكر ، فكتب عهده وولاه مصر ، فخرج محمد بن أبى بكر والياً على مصد بعهدته ومعه عدة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وبين ابن أبى سرح ، فلما بلغوا مسيرة ثلاثة ليال من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير له ، يخبط البعير خبطاً ، كأنه رجل يطلب أو يطلب ، فقالوا له : ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب ؟ قال : أنا غلام أمير المؤمنين ، وجهنى إلى عامل مصر ، قالوا : هذا عامله معنا ، قال : ليس هذا أريد - ومضى ؛ فأخبر محمد بن أبى بكر بأمره ، فبعث فى طلبه أقواماً فردوه ، فلما جاءوا به قال له محمد : غلام من أنت ؟ فأقبل مرة يقول : أنا غلام أمير المؤمنين ، ومرة يقول : أنا غلام مروان ، فعرفه رجل منهم أنه لعثمان ، فقال له محمد بن أبى بكر : لمن أرسلت ؟ قال :

إلى عامل مصر ، قال : بماذا ؟ قال : برسالة ، قال : أمعك كتاب ؟ قال : لا ، ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً معه وكان إداوة قد يبست وفيها شيء يتقلقل ، فحركوه ليخرج فلم يخرج ، فشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح ، فجمع محمد بن أبي بكر من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ثم فك الكتاب بحضرتهم فإذا فيه : إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم ، وأبطل كتابه ، وقر على عملك ، وأحبس من يجيء إلى يتظلم منك حتى يأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله ، فلما قرأوا الكتاب فزعوا وأزمعوا ورجعوا إلى المدينة ، وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتم جماعة من المهاجرين معه ، ودفع الكتاب إلى رجل منهم وانصرفوا إلى المدينة ، فلما قدموها جمع محمد بن أبي بكر علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بها من أصحاب رسول الله ﷺ ، ثم فك الكتاب بحضرتهم عليه خواتم من معه من المهاجرين ، وأخبرهم بقصة الغلام ، فلم يبق أحد من المدينة إلا حنق على عثمان ، وقام أصحاب رسول الله ﷺ فلحقوا بمنازلتهم ، وما منهم أحد إلا هو مغتم ؛ وكانت هذيل وبنو زهرة في قلوبها ما فيها على عثمان لحال ابن مسعود ، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر ، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها ، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر من بني تيم ، وأعانه على ذلك طلحة بن عبيد الله وعائشة ، فلما رأى ذلك عليّ وصح عنده الكتاب بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم بدرى ، ثم جاء معهم حتى دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير ، فقال له : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم ، قال : والبعير بعيرك ؟ قال : نعم ، قال : فأنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله أنه ما كتب هذا الكتاب ولا أمر به ، فقال له عليّ : فالخاتم خاتمك ؟ قال : نعم ، قال عليّ : فكيف يخرج غلامك على بعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به ؟ فحلف عثمان بالله : ما كتبت هذا الكتاب

ولا أمرت به ، ولا وجهت هذا الغلام قط إلى مصر ؛ وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان ، فلما شكوا في أمر عثمان سألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده في الدار وكان خشي عليه القتل ؛ فخرج من عنده على أصحاب رسول الله ﷺ وعلموا أن عثمان لا يحلف باطلاً ثم قالوا : لا نسكت إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحت ونتعرف منه ذلك الكتاب ، وكيف يؤمر بقتل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بغير حق ! فإن يك عثمان كتب ذلك عزلناه وإن يك مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون في أمر مروان ، ولزموا بيوتهم ، وفشا الخبر في المسلمين من أمر الكتاب ، وفقد أصحاب رسول الله ﷺ عن عثمان ، وخرج من الكوفة عدى بن حاتم الطائي والأشتر مالك بن الحارث النخعي في مائتي رجل ، وخرج من البصرة حكيم بن جبلة العبدى في مائة رجل ، حتى قدموا المدينة يريدون خلع عثمان ، وحوصر عثمان قبل هلال ذى القعدة بليلة ، وضيق عليه المصريون والبصريون وأهل الكوفة بكل حيلة ولم يدعوه يخرج ، ولا يدخل إليه أحد إلا أن يأتيه المؤذن فيقول : الصلاة ! وقد منعوا المؤذن أن يقول : يا أمير المؤمنين ، فكان إذا جاء وقت الصلاة بعث أبا هريرة يصلى بالناس ، وربما أمر ابن عباس بذلك ، فصعد يوماً عثمان على السطح فسمع بعض الناس يقول : ابتغوا إلى قتله سبيلاً ، فقال : والله ما أحل الله ولا رسوله قتلى ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس » ؛ وما فعلت من ذلك شيئاً ؛ ثم قال : لا أخلف رسول الله ﷺ في أمته بإراقة محجمة دم حتى ألقاه ، يا معشر أصحاب رسول الله ﷺ ! أحبكم إلى من كف عنا لسانه وسلاحه ؛ ثم أشرف عليهم فقال : أفيكم على ؟ قالوا : لا ، قال : أفيكم سعد ؟ قالوا : لا ، فقال : أذكركم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بشيء ، فابتعتها من مالى وجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل ، فقالوا : نعم ، قال : فاسقوني منها ، ثم قال : ألا أحد يبلغ علياً

قيسقيناء ماء ؟ فبلغ ذلك علياً ، فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ، فما كادت تصل إليه حتى خرج في سببها عدة من بنى هاشم وبنى أمية حتى وصل الماء إليه ؛ ثم قال عثمان : والله ! لو كنت في أقصى داري ما طلبوا غيري ، ولو كنت أدناهم ما جاوزوني إلى غيري ، سنجتمع نحن وهم عند الله ، وسترون بعدى أموراً تتمنون أني عشت فيهم ، ضعف أمري ، والله ، ما أرغب في إمارتهم ، ولولا قول رسول الله ﷺ لي « إذا ألبسك الله قميصاً وأرادوك على خلعه فلا تخلعه » لحبست في بيتي وتركتكم وإمارتكم ، والله ! لو فعلت ما تركوني وإنهم قد خدعوا وغروا ، والله ! لو أقتل لمت ، لقد كبر سني ، ورق عظمي وجاوزت أسنان أهل بيتي ، وهم على هذا لا يريدون تركي ، اللهم ! فشتت أمرهم وخالف بين كلمتهم وانتقم لي منهم واطلبهم لي طلباً حثيثاً . وقد استجيب دعاءه في كل ذلك .

ثم أمر عثمان بن عفان عبد الله بن عباس على الحج فحج بالناس فأمره وبعث إلى الأشر فدعاه فقال : يا أشر ! ما يريد الناس ؟ قال : ثلاث ليس من إحداهن بد ، إما أن تخلع أمرهم وتقول : هذا أمركم فاختاروا له من شئتم ، وإما أن تقص من نفسك ، فإن أبيتهما فالقوم قاتلوك ؛ قال عثمان : أما أن أخلع لهم أمرهم ، فما كنت لأخلع سربالاً سربلني الله والله لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أخلع أمة محمد ﷺ بعضها على بعض ، وأما أن أقص من نفسي ، فوالله لقد علمتم أني لم آت شيئاً يجب على القصاص فيه ، وأما أن تقتلوني ، فوالله إن تقتلوني لا تتحابون بعدى ! ولا تقتاتلون بعدى عدواً جميعاً ، ولتختلفن حتى تصيروا هكذا ، « يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصَيِّبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ » (١) - الآية ، ثم أرسل عبد الله بن سلام فجاءه فقال : الكف الكف ! ثم جاءه زيد بن ثابت فقال : يا أمير المؤمنين ! هذه الأنصار بالباب ، فقال عثمان : إن شاءوا أن يكونوا أنصار الله منكم وإلا فلا ؛ ثم جاءه

عبد الله بن الزبير فقال : يا أمير المؤمنين ! اخرج فقاتلهم ، فإن معك من قد نصر الله بأقل منهم ، فلم يعرج على قول ابن الزبير ، ثم قال : اتتوني برجل منهم أقرأ عليه كتاب الله ، فأتوه بصعصعة بن صرحان وكان شاباً فقال : ما وجدتم أحداً تأتونى به غير هذا الشاب ! فتكلم صعصعة بكلام ، فقال عثمان : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٣٩) ؛ فلما اشتد بعثمان الأمر أصبح صائماً يوم الجمعة وقال : إني رأيت النبي ﷺ فى المنام فقال لى : « يا عثمان ! إنك تفصر عندنا الليلة » ؛ ثم قال علىّ للحسن والحسين : اذهبا بسيفكما حتى تقفا على باب عثمان ولا تدعا أحداً يصل إليه ، وبعث الزبير ابنه ، وبعث طلحة ابنه ، وبعث عدة من أصحاب رسول الله أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ؛ ورماه الناس بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء ، وتخضب محمد بن طلحة ، وشج قنبر مولى علىّ ؛ ثم أخذ محمد بن أبى بكر بيد جماعة وتسور الحائط من غير أن يعلم به أحد من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وهو قاعد والمصحف فى حجره ومعه امرأته والناس فوق السطح لا يعلم أحد بدخولهم ، فقال عثمان لمحمد بن أبى بكر : والله لو رآك أبوك لساء مكانك منى ! فرجع محمد ، وتقدم إليه سودان بن رومان المرادى ومعه مشقص فوجأه حتى قتله وهو صائم ، ثم خرجوا هاربين من حيث دخلوا ، وذلك يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذى الحجة ، وكان تمام حصاره خمسة وأربعين يوماً ، وكانت امرأته تقول : إن شئتم قتلتموه ، وإن شئتم تركتموه ! فإنه كان يختم القرآن كل ليلة فى ركعة . ثم صعدت إلى الناس تخبرهم وهمر الناس عليه فدخلوا ، وأول من دخل عليه الحسن والحسين فزعين وهما لا يعلمان بالكائنة وكانا مشغولين على الباب ينصرانه ويمنعان الناس عنه ؛ فلما دخلوا وجدوا عثمان مذبوحاً ، فانكبوا عليه ليكون ودخل الناس فوجاً فوجاً ، وبلغ الخبر على بن أبى طالب وطلحة والزبير وسعداً فخرجوا مذهلين ، كادت عقولهم تذهب لعظم الخبر الذى أتاهم ، حتى

دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً واسترجعوا ، وقال عليّ لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ قالا : لم نعلم ، قال فرفع يده ولطم الحسن وضرب صدر الحسين ، وشتّم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير ثم خرج وهو غضبان يسترجع ، فلقية طلحة بن عبيد الله فقال : ما لك يا أبا الحسن ؟ فقال عليّ : يقتل أمير المؤمنين رجل من أصحاب محمد ﷺ من غير أن تقوم بينة ولا حجة ! فقال له طلحة : لو دفع مروان إليهم لم يقتلوه فقال عليّ : لو خرج مروان إليكم لقتلتموه قبل أن يثبت عليه حكومة ! ثم أتى عليّ منزله يسترجع ، فاشتغل الناس بعضهم ببعض وفزعوا ولم يتوهموا بأن هذه الكائنة تكون ؛ ثم حمل عليّ سريره بين المغرب والعشاء ، وصلى عليه جبير بن مطعم ، ودلته في قبره نائلة بنت الفرافصة وأم البنين بنت عيينة بن حصن بن بدر الفزاري ، ودفن ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة ؛ وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا عشر يوماً .

وقتل يوم عثمان من قريش عبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي ، وعبد الله ابن عبد الرحمن بن العوام ، والمغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي ، وقتل معهم غلام لعثمان أسود - أربعة أنفس .

وكان عمال عثمان حين قتل : عليّ البصرة عبد الله بن عامر بن كريز ، وعليّ الكوفة سعد بن أبي وقاص ، وعليّ الشام معاوية بن أبي سفيان ، وعليّ مصر محمد بن أبي حذيفة ، وعليّ مكة عبد الله بن الحضرمي ، وعليّ الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي ، وعليّ صنعاء يعلى بن منبه ، وعليّ الجند عبد الله بن أبي ربيعة .

استخلاف عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه

ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن

مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو الحسن الهاشمي ،
وأمه فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف ، وهاشم أخو هشام ، ومن زعم
أنه أسد بن هاشم بن عبد مناف فقد وهم .

أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن إسماعيل عن
يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : كان علي قد تخلف عن رسول
الله ﷺ في خيبر وكان به رمد فقال : أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ ! فخرج
فلحق بالنبي ﷺ ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول
الله ﷺ : « لأعطين الراية - أو ليأخذن الراية - غداً رجل يحبه الله ورسوله ،
يفتح الله عليه » ، فإذا نحن بعليٍّ وما نرجوه ، فقالوا : هذا عليٌّ ، فأعطاه رسول
الله ﷺ ، ففتح الله عليه .

قال أبو حاتم : لما كان من أمر عثمان ما كان قعد علي في بيته وأتاه الناس
يهرعون إليه . كلهم يقولون : أمير المؤمنين عليٌّ ، حتى دخلوا عليه داره وقالوا :
نبايعك ، فإنه لا بد من أمير وأنت أحق ، فقال عليٌّ : ليس ذلك إليكم ، إنما
ذلك لأهل بدر ، فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحد من أهل
بدر إلا أتى علياً يطلبون البيعة وهو يأبى عليهم ، فجاء الأشتر مالك بن الحارث
النخعي إلى عليٍّ فقال له : ما يمنعك أن تجيب هؤلاء إلى البيعة ؟ فقال : لا
أفعل إلا عن ملاء وشورى ، وجاء أهل مصر فقالوا : أبسط يدك نبايعك ، فوالله
! لقد قتل عثمان ، وكان قتله لله رضى ، فقال عليٌّ : كذبتُم ، والله ما كان
قتله لله رضى ! لقد قتلتموه بلا قود ولا حد ولا غيره ، وهرب مروان فطلب
فلم يقدر عليه ، فلما رأى ذلك على منهم خرج إلى المسجد وصعد المنبر
وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : يا أيها الناس ارضيتُم مني أن
أكون عليكم أميراً ؟ فكان أول من صعد إليه المنبر طلحة فبايعه بيده ، وكان
إصبع طلحة شلاء فرآه أعرابي يبايع فقال : يد شلاء وأمر لا يتم ، فتطير على
منها وقال : ما أخلقه أن يكون كذلك ، ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب رسول

الله ﷺ ، ثم بلغ علياً أن سعداً وابن عمر ومحمد بن مسلمة يذكرون هنات ، فقام على خطيباً فحمد الله وأثنى عليه فقال : أيها الناس ! إنكم بايعتموني على ما بايعتم عليه أصحابي ، فإذا بايعتموني فلا خيار لكم عليّ ، وعلى الإمام الاستقامة ، وعلى الرعية التسليم ، وهذه بيعة عامة ، فمن ردها رغب عن دين المسلمين واتبع غير سبيلهم ، ولم تكن بيعته إياي فلتة ، وليس أمري وأمركم واحداً ، أريد الله وتريدونني لأنفسكم ، وأيم الله ! لأنصحن الخصم ولأنصفن المظلوم .

وقد أكثر الناس في قتل عثمان ، فمنهم من قد زعم أنه قتل ظالماً ، ومنهم من قد زعم أنه قتل مظلوماً ، وكان الإكثار في ذلك على طلحة والزبير ، قالت قريش : أيها الرجال ! إنكما قد وقعتما في ألسن الناس في أمر عثمان فيما وقعتما فيه ، فقام طلحة في الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال : أيها الناس ! ما قلنا في عثمان أمس إلا نقول لكم فيه اليوم مثله أنه خلف الدنيا بالتوبة ، ومال عليه قوم فقتلوه ، وأمره إلى الله ؛ ثم قام الزبير فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي ﷺ ثم قال : يا أيها الناس ! إن الله اختار من كل شيء شيئاً ، واختار من الناس محمداً ﷺ ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، واختار من الشهور رمضان وأنزل فيه القرآن وفرض فيه الصيام ، واختار من الأيام يوم الجمعة فجعله عيداً لأهل الإسلام ، واختار من البلدان هذين الحرمين : مكة والمدينة ، فجعل بمكة البيت الحرام ، وجعل بالمدينة حرم رسول الله ﷺ ، وجعل ما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة ، واختار من الشورى التسليم كما اختار هذه الأشياء ، فأذهبت الشورى بالهوى والتسليم بالشك ، وقد تشاورنا فرضينا علياً ، وأما إن قتل عثمان فأمره إلى الله .

فلما رأى على اختلاف الناس في قتل عثمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! أقبلوا عليّ بأسماعكم وأبصاركم ، إن الناس بين

حق وباطل ، فلكن علا أمر الباطل لقديماً ما فعل ، وإن يكن الحق قد غاب فلعل ، وإنى أخاف أن أكون أنا وأنتم قد أصبحنا فى فتنة ، وما علينا فيها إلا الاجتهاد ، الناس اثنان وثلاثة لا سادس لهم : ملك طار بجناحيه ، أو نبي أخذ الله بيده ، أو عامل مجتهد ، أو مؤمل يرجو ، أو مقصر فى النار ؛ وإن الله أدب هذه الأمة بأدبين : بالسيف والسوط ، لا هوادة عند السلطان فيهما ، فاستتروا واستغفروا الله فأصلحوا ذات بينكم .

ثم نزل وعمد إلى بيت المال وأخرج ما فيه وفرقه على المسلمين ، ثم بعث إلى سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة فقال : لقد بلغنى عنكم هنات ، فقال سعد : صدقوا ! لا أبايك ، ولا أخرج معك حيث تخرج حتى تعطينى سيفاً يعرف المؤمن من الكافر ، وقال له ابن عمر : أنشدك الله والرحم أن تحملنى على ما لا أعرف ، والله ! لا أبايك حتى يجتمع المسلمون على من جمعهم الله عليه ، وقال محمد بن مسلمة : إن رسول الله ﷺ أمرنى إذا اختلف أصحابه ألا أدخل فيما بينهم ، وأن أضرب بسيفى صخر أحد ، فإذا انقطع أقعد فى بيتى حتى تأتبنى يد خاطئة أو منية قاضية ، وقد فعلت ذلك ؛ ثم دعا على أسامة بن زيد وأراد على البيعة فقال أسامة : أما البيعة فإننى أبايك ، أنت أحب إلى وأثرهم عندى ، وأما القتال فإننى عاهدت رسول الله ﷺ أن لا أقاتل رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله ، فلما رأهم على مختلفين قال : أخرجونى من هذه البيعة واختاروا لأنفسكم من أحببتهم ، فسكتوا وقاموا وخرجوا ، فدخل عليه المغيرة بن شعبة فقال : يا أمير المؤمنين ! إنى مشير عليك بخلال ثلاث فافعل أيها شئت ، فقال : ما هى يا أعور ؟ فقال : إنى أرى من الناس بعض التشاقل فيك ؛ فأرى أن تأتى بحمل ضهر فتركبه وتركض فى الأرض هارباً من الناس ، فإنهم إذا رأوا ذلك منك ابتاعوا جمالاً أظهر من جمالك وخيولاً ، ثم ركضوا فى أثرك حتى يدركوك حيث ما كنت ويقلدوك هذا الأمر على اجتماع منهم شئت أو بيت ، فإن لم تفعل هذا فأقر معاوية على

الشام كله واكتب إليه كتاباً بذلك تذكر فيه من شرفه وشرف آبائه وأعمله أنك ستكون له خيراً من عمر وعثمان ، واردد عمرو بن العاص على مصر ، واذكر في كتابك شرفه وقدمه ، فإنه رجل يقع الذكر منه موقعاً ، فإذا ثبت الأمر أذنت لهما حيثنذ في القدوم عليك تستخبرهما عن البلاد والناس ، ثم تبعث بعاملين وتقرهما عندك ؛ فإن أبيت فاخرج من هذه البلاد فإنها ليست ببلاد كراع وسلاح .

فقال علي : أما ما ذكرت من فرارى من الناس فكيف أفر منهم وقد بايعوني ، وأما أمر معاوية وعمرو بن العاص فلا يسألني الله عن إقرارهما ساعة واحدة في سلطاني ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ﴾ (٥١) ، وأما خروجي من هذه البلاد إلى غيرها فإنني ناظر في ذلك . فخرج من عنده المغيرة ثم عاد وهو عازم على الخروج إلى الشام والحق بمعاوية ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! أشرت عليك بالأمس في رأيي بمعاوية وعمرو ، إن الرأي أن تعاجلهم بالنزع ، فقد عرف السامع من غير وتستقبل أمرك ، ثم خرج من عنده فلقية ابن عباس خارجاً وهو داخل ، فلما ، انتهى إليه قال : رأيت المغيرة خارجاً من عندك ، فيم جاءك ؟ قال : جاءني أمس برأى واليوم برأى ، وأخبره بالرأين ، فقال ابن عباس : أما أمس فقد نصحك ، وأما اليوم فقد غشك ، فقال : فما الرأي ؟ فقال ابن العباس : كان الرأي قبل اليوم ، قال علي : علي ذلك ! قال : كان الرأي أن تخرج إلى مكة حتى تدخلها وتدخل داراً من دورها وتغلق عليك بابك ، فإن الناس لم يكونوا ليدعوك ، وإن قریشاً كانت تضرب الصعب والذل في طلبك ، لأنها لا تجد غيرك ، فأما اليوم فإن بنى أمية يستحسنون الطلب بدم صاحبهم ، ويشبهون على الناس أن يلزموك شعبة من أمره ويلطخونك من ذلك ببعض اللطخ . فهم على بالنهوض إلى الشام ليزور أهلها وينظر ما رأى معاوية وما هو صانع ، فجاءه أبو أيوب الأنصاري فقال له : يا أمير المؤمنين ! لو أقمت بهذه البلاد ! لأنها الدرع الحصينة ومهاجرة للنبي ﷺ ، وبها قبره ومنبره ومادة

الإسلام ، فإن استقامت لك العرب كنت فيها كمن كان ، وأن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم ، وإن ألجئت حينئذ إلى المسير سرت وقد أعذرت ، فقال على : إن الرجال والأموال بالعراق ، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، ثم أخذ بما أشار عليه أبو أيوب الأنصاري وعزم على المقام بالمدينة ؛ وبعث العمال على الأمصار ، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة أميراً ، وعمارة بن حسان بن شهاب على الكوفة ، عبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد على مصر ، وسهل بن حنيف على الشام ؛ فأما سهل بن حنيف فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيه خيل من أهل الشام فقالوا له : من أنت ؟ قال : أمير ، قالوا : على أى شيء ؟ قال : على الشام ، قالوا : إن كان عثمان بعثك فحى هلا بك ، وإن كان بعثك غيره فارجع ، قال : ما سمعتم بالذى كان قالوا : بلى ، ولكن أرجع إلى بلدك ، فرجع إلى على وإذا القوم أصحاب .

وأما قيس بن سعد فإنه انتهى إلى ليلة فلقية طلائع فقالوا له : من أنت ؟ فقال : أنا من الأصحاب الذين قتلوا وشردوا من البلاد ، فأنا أطلب مدينة آوى إليها ، فقالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا قيس بن سعد بن عبادة ، فقالوا : امض بنا ، فمضى قيس حتى دخل مصر وأظهر لهم حاله . وأخبرهم أنه ولى على مصر ، فافترق عليه أهل مصر فرقاً : فرقة دخلت في الجماعة وبايعت ، وفرقة أمسكت واعتزلت ، وفرقة قالت : إن قيد من قتلة عثمان فنحن معه وإلا فلا ، فكتب قيس بن سعد بجميع ما رأى من أهل مصر إلى على .

وأما عبيد الله بن عباس فإنه خرج منطلقاً إلى اليمن ، لم يعانده أحد ولم يصدّه عنها صاد حتى دخلها فضببطها لعلى ، وأما عمارة بن حسان بن شهاب فإنه أقبل عامداً إلى الكوفة حتى إذا كان بزبالة لقيه طليحة بن خويلد الأسدي وهو خارج إلى المدينة يطلب دم عثمان ، فقال طليحة : من أنت ؟ قال : أنا عمارة بن حسان بن شهاب ، قال : ما جاء بك ؟ قال : بعثت إلى الكوفة أميراً ، قال : ومن بعثك ؟ قال : أمير المؤمنين على ، قال : الحق بطيئتك ، فإن

القوم لا يريدون بأمرهم أبى موسى الأشعري بدلاً ، فرجع عمارة إلى على وأخبره الخبر ، وأقام طليحة بزبالة .

وأما عثمان بن حنيف فإنه مضى يريد البصرة وعليها عبد الله بن عامر بن كريز ، وبلغ أهل البصرة قتل عثمان ، فقام ابن عامر فصعد المنبر وخطب وقال : إن خليفتمكم قتل مظلوماً ، ويبيعه في أعناقكم ، ونصرته ميتاً كنصرته حياً ، واليوم ما كان أمس ، وقد بايع الناس علياً ونحن طالبون بدم عثمان ، فأعدوا للحرب عدتها ، فقال له حارثة بن قدامة : يا ابن عامر ! إنك لم تملكنا عنوة وقد قتل عثمان بحضرة المهاجرين والأنصار وبايع الناس علياً ، فإن أقرتك أطعناك ، وإن عزلت عصبناك ، فقال ابن عامر : موعذك الصبح ، فلما أمسى تهيأ للخروج وهياً مراكبه وما يحتاج إليه ، واتخذ الليل جملاً يريد المدينة ، واستحلف عبد الله بن عامر الحضرمي على البصرة فأصبح الناس يتشاورون في ابن عامر وأخبروا بخروجه ، فلما قدم ابن عامر المدينة أتى طلحة والزبير فقالا له : لا مرحباً بك ولا أهلاً ! تركت العراق والأموال ، وأتيت المدينة خوفاً من على ، ووليتها غيرك ، واتخذت الليل جملاً ، فهلا أقمت حتى يكون لك بالعراق فئة ، قال ابن عامر : فأما إذا قلتما هذا فلكما على مائة ألف سيف وما أردتما من المال .

ثم أتت أم كلثوم بنت على أباهما وكانت تحت عمر بن الخطاب ، فقالت له : إن عبد الله بن عمر رجل صالح ، وأنا أتكفل ما يجيئ منه لك ، فلما كان من قدوم ابن عامر المدينة جاء ابن عمر إليها فقال : يا أماء ! إنك قد كفلت في وأنا أريد الخروج إلى العمرة الساعة ، ولست بداخل في شيء يكرهه أبوك غير أني ممسك حتى يجتمع الناس ، فإن شئت فأذني ، وإن شئت فابعثيني إلى أبيك ، قالت : لا بل اذهب في حفظ الله وتحت كنفه ، فانطلق ابن عمر معتمراً .

فلما أصبح الناس أتوا علياً فقالوا : قد حدث البارحة حدث هو أشد من

طلحة والزبير ومعاوية ، قال علي : وما ذاك ؟ قالوا : خرج ابن عمر إلى الشام ، فأتى على السوق وجعل يعد طلاباً ليرد ابن عمر ، فسمعت أم كلثوم بذلك فركبت بغلتها حتى أتت أباها فقالت : إن الأمر على غير ما بلغك ، وحدثته بما ذكر لها ابن عمر ، فطابت نفس علي بذلك ، فما انصرفوا من السوق حتى جاءهم بعض القدام من العمرة وأخبروه أنهم رأوا ابن عمر وآخر معه على حمارين محرمين بكساءين .

ثم كتب علي إلى معاوية : « بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليك ! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ! فإنه قد بلغك ما كان من مصاب عثمان وما اجتمع الناس عليه من بيعتي فادخل في السلام كما دخل الناس وإلا فأذن بحرب كما يؤذن أهل الفرقة - والسلام . وبعث كتابه مع سيرة الجهنى والربيع بن سبرة فلما قدم سبرة بكتاب علي ودفعه إلى معاوية جعل يتردد في الجواب مدة ، فلما طال ذلك عليه دعا معاوية رجلاً من عبس يدعى قبيصة فدفع إليه طوماراً مختوماً عنوانه « من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب » وقال له : إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار وأبرزه - وأوصاه بما يقول ، وبعثه مع سبرة رسول علي فقدم المدينة ، فرفع العبسي الطومار كما أمر معاوية ، فخرج الناس ينظرون إليه وعلموا حينئذ أن معاوية معترض معاند ؛ فلما دخلا على علي دفع إليه العبسي الطومار ففض عن خاتمه فلم يجد في جوفه شيئاً ، فقال لسبرة : ما وراءك ؟ قال : تركت قوماً : لا يرضون إلا بالقود ، وقد تركت ستين ألف شيخ سيكون تحت قميص عثمان ، فقال علي : أمنى يطلبون دم عثمان .

ثم كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على الكوفة « بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعري ، سلام عليك ! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ! فإنه قد بلغك ما كان من مصاب عثمان وما اجتمع الناس عليه من بيعتي ، فادخل فيما دخل

فيه الناس ورغب أهل ملكك في السمع والطاعة ، واكتب إلى بما كان منك ومنهم إن شاء الله - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » . وبعث الكتاب مع معبد الأسلمي ، فلما قدم معبد الكوفة دعا أبو موسى الأشعري الناس إلى طاعة علي فأجابوه طائعين ، وكتب إلى علي بن أبي طالب « بسم الله الرحمن الرحيم - لعبد الله علي أمير المؤمنين من عبد الله بن قيس ، سلام عليك ! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ! فقد قرأت كتابك ودعوت من قبلي المسلمين فسمعوا وأطاعوا - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » ودفع كتابه إلى معبد .

وكانت عائشة خرجت معتمرة ، فلما قضت عمرتها نزلت على باب المسجد واجتمع إليها الناس فقالت : أيها الناس ! إن الغوغاء من أهل الأمصار وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول بالأمس ظلماً ، واستحلوا البلد الحرام وسفكوا الدم الحرام . فقال عبد الله ابن عامر : ها أنا ذا أول طالب بدمه ، فكان أول من انتدب لذلك .

ولما كثر الاختلاف بالمدينة استأذن طلحة والزبير علياً في العمرة ، فقال لهما : ما العمرة تريدان ، وقد قلت لكما قبل بيعتكما لي : أيكما شاء بايعته ، فأيتما إلا بيعتي ، وقد أذنت لكما فاذهبا راشدين ، فخرجا إلى مكة وتبعهما عبد الله بن عامر بن كريز فلما لحقهما قال لهما : ارتحلا فقد بلغتكما حاجتكما ، فاجتمعوا مع عائشة بمكة وبها جماعة من بني أمية .

ثم جمع معاوية أهل الشام على محاربة علي والطلب بالقود من دم عثمان ، واحتال في قيس بن سعد بن عبادة وكان والياً على مصر ، وكتب إلى علي كتاباً يمرغ فيه معاوية ، فلما قرأ على الكتاب عزل قيساً وولى عليها محمد بن أبي بكر .

وخرج قسطنطين بن هرقل بالمرائب يريد المسلمين ، فسلط الله عليهم ريحاً قاصفاً فغرقهم ، ونجا قسطنطين بن هرقل حتى انتهى إلى سقلية ، فصنعت الروم

حماماً ، فلما دخله قتلوه فيه وقالوا له : قتلت رجالنا .

ثم حج بالناس عبد الله بن عباس ، أمره على الحج ، فلما انصرف أجمع طلحة والزبير على المسير بعائشة ، فقال طلحة : ما لنا أمر أبليغ في استمالة الناس إلينا من شخوص ابن عمر معنا ، وكان من أمره في عثمان وخلافه له على ما يعلمه من يعلمه ، فأتاه طلحة فقال : يا أبا عبد الرحمن ! إن عائشة قصدت الإصلاح بين الناس فاشخص معنا فإن لك بنا أسوة ، فقال ابن عمر أتخدعونني لتخرجوني كما تخرج الأرنب من جحرها ! إن الناس إنما يخدعون بالوصيف والوصيفة والدنانير والدراهم ، ولست من أولئك ، قد تركت هذا الأمر عياناً وأنا أدعى إليه في عافية ، فاطلبوا لأمركم غيري ، فقال طلحة : يغني الله عنك .

وقدم يعلى بن أمية من اليمن وقد كان عاملاً عليها بأربعمائة من الإبل ، فدعاهم إلى الحملان ، فقال له الزبير : دعنا من إبلك هذه ، ولكن أقرضنا من هذا المال ، فأعطاه ستين ألف دينار ، وأعطى طلحة أربعين ألف دينار ، فتجهزوا وأعطوا من خف معهم .

فلما دخلت السنة السادسة والثلاثون

تشاؤروا في مسيرهم فقال الزبير : عليكم بالشام بها الأموال والرجال ، وقال ابن عامر : البصرة فإن غلبتهم عليها فلكم الشام ، إن معاوية قد سبقكم إلى الشام وهو ابن عم عثمان ، وإن البصرة لى بها صنائع ولأهلها في طلحة هوى ، وكانت عائشة تقول : نقصد المدينة ، فقالوا لها : يا أم المؤمنين ! دعى المدينة فإن من معك لا يقرنون لتلك الغوغاء ، واشخصى معنا إلى البصرة ، فإن أصلح الله هذا الأمر كان الذي نريد ، وإلا فقد بلغنا ويقضى الله فيه ما أحب ، وكلموا حفصة ابنة عمر أن تخرج معهم فقالت : رأيي تبع لرأي عائشة ، فأتاها عبد الله بن عمر فناشدها الله أن تخرج ، فقعدت وبعثت إلى عائشة أن أخى حال بيني وبين الخروج ، فقالت : يغفر الله لابن عمر . ثم نادى منادى طلحة

والزبير : من كان عنده مركب وجهاز ، وإلا فهذا جهاز ومركب ، فحملوا على ستمائة ناقة سوى من كان له مركب ، وكانوا نحو ألف نفس ، وتجهزوا بالمال ، وشيعهم نساء النبي ﷺ وكان كلهن بمكة حاجات إلا أم سلمة فإنها سارت إلى المدينة ، فلما بلغوا ذات عرق ودعت أزواج النبي ﷺ وبكين وبكى الناس ، فما رأوا بكاء أكثر من ذلك اليوم ، وسمى يوم النحيب . وجعلن يدعون على قتلة عثمان الذين سفكوا في حرم رسول الله ﷺ الدم الحرام ، ثم انصرفن ، ومضت عائشة وهي تقول : اللهم ! إنك تعلم أني لا أريد إلا الإصلاح فأصلح بينهم .

وبعثت أم الفضل حين خرجت عائشة ومن معها من مكة إلى على رجلاً من جهينة قالت له : اقتل في كل مرحلة بغيراً وعلى ثمنه ، وهذه مائة دينار وكسوة وكتبت معه « أما بعد فإن طلحة والزبير وعائشة خرجوا من مكة يريدون البصرة » فقدم المدينة وأعطى علياً الكتاب ، فدعا على محمد بن أبي بكر فقال له : ألا ترى إلى أختك خرجت مع طلحة والزبير ! فقال محمد بن أبي بكر : إن الله معك ولن يخذلك ، والناس ناصرون .

ثم قام على فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس ، تهيبوا للخروج إلى قتال أهل الفرقة فإنني سائر إن شاء الله ، إن الله بعث رسولاً صادقاً بكتاب ناطق وأمر واضح ، لا يهلك عنه إلا هالك ، وإن في سلطان الله عصمة أمركم فأعطوه طاعتكم ، وقد قال رسول الله ﷺ « إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » . انهضوا إلى هؤلاء الذين يريدون تفريق جماعتكم ، لعل الله يصلح بكم ذات البين .

وبعث على الحسن بن على وعمار بن ياسر إلى الكوفة لا ستنفارهم ، فلما قدموا الكوفة قام أبو موسى الأشعري في الناس وكان والياً عليها وأخبرهم يقدم الحسن واستنفاره إياهم إلى أمير المؤمنين على إصلاح البين .

وقدم زيد بن صوحان من عند عائشة معه كتابان من عائشة إلى أبي موسى

والى الكوفة وإذا فى كل كتاب منهما « بسم الله الرحمن الرحيم - من عائشة أم المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعرى - سلام عليك ! فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ! فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت ، وقد خرجت مصلحة بين الناس ، فمر من قبلك بالقرار فى منازلهم والرضا بالعافية حتى يأتىهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين ، فإن قتلة عثمان فارقوا الجماعة وأحلوا بأنفسهم البوار » فلما قرأ الكتابين وثب عمار بن ياسر فقال : أمرت عائشة بأمر ، وأمرنا بغيره أمرت أن تقر فى بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ، فهوذا تأمرنا بما أمرت ، وركبت ما أمرنا به ثم قال : هذا ابن عم رسول الله ﷺ فأخرجوا إليه ، ثم انظروا فى الحق ومن الحق معه . ثم قام الحسن بن على فقال : يا أيها الناس ! أجيئوا دعوة أميركم ، وسيروا إلى إخوانكم ، لعل الله يصلح بينكم . ثم قام هند بن عمرو البجلي فقال : إن أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا ابنه فاتبعوا قوله وانتهوا إلى أمره ، فقام حجير بن عدى الكندى فقال : أيها الناس ! أجيئوا أمير المؤمنين ، وانفروا خفافاً وثقالاً بأموالكم وأنفسكم . ثم قال الحسن : أيها الناس ! إني غاد ، فمن شاء منكم فليخرج معى على الظهر ، ومن شاء فليخرج فى الماء فأجابوه ، وخرج معه تسعة آلاف نفس بعضهم على البر وبعضهم على الماء ، وساروا حتى بلغوا ذا قار ، وخرج على من المدينة معه ستمائة رجل ، وخلف على المدينة سهل بن حنيف ، فالتقى هو وابنه الحسن مع من خرج معه من الكوفة بذى قار ، فخرجوا جميعاً إلى البصرة ولم يدخل على الكوفة ، وكتب إلى المدينة إلى سهل بن حنيف أن يقدم عليه ويولى على المدينة أبا حسن المازنى ، والتقى مع طلحة والزبير وعائشة بالجلحاء على فرسخين من البصرة ، وذلك لخمس خلون من جمادى الآخرة ، وكان على كثيراً ما يقول : يا عجب كل العجب ، من جمادى ورجب ! فكان من أمرهم ما كان .

وقتل ابن جرهموز الزبير ثم أتى علياً يخبره فقال على : سمعت رسول الله ﷺ

يقول « قاتل ابن صفية بالنار » فقال ابن جرموز : إن قتلنا معكم فنحن في النار! وإن قاتلناكم فنحن في النار! ثم بعج بطنه بسيفه فقتل نفسه . وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم من ورائه ، فأثبتته فيه وقتله ، وحمله إلى البصرة فمات بها ، فقبر طلحة بالبصرة ، وقتل الزبير بوادي السباع ؛ وكان كعب بن سور قد علق المصحف في عنقه ثم يأتي هؤلاء فيذكرهم ، ويأتي هؤلاء فيذكرهم حتى قتل .

وكان علي ينادى مناديه : « لا تقتل مديراً ، ولا تذف على جريح ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن طرح السلاح فهو آمن ، ولم يقتل بعد آن واحداً .

فلما اطمأن الناس بعث علي بعائشة مع نساء من أهل العراق إلى المدينة ، وأقام بالبصرة خمسة عشر يوماً ثم خرج إلى الكوفة ، وولى علي البصرة عبد الله ابن عباس ، وولى الولاية في البلدان ، وكتب إلى المدن بالقرار والطاعة .

ثم إن أبا مسلم الخولاني قال لمعاوية : علي ما تقاتل علياً وهو ابن عم رسول الله ﷺ وله من القدم والسابقة ما ليس لك وإنما أنت رجل من الطلقاء ؟ فقال له معاوية : أجل ! والله ما نقاتل علياً ، وأنا لست أدعى في الإسلام مثل الذي له ، ولكن أقاتله على دم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وأنا أطلبه بدمه ، فقال أبو مسلم : إنني استخبر لك عن ذلك ، فركب راحلته وانتهى إلى الكوفة ، ثم نزل عن راحلته وأتى علياً ماشياً والناس عنده ولا يعرفه أحد ، فقال : من قتل عثمان ؟ فقال علي : الله قتل عثمان وأنا معه ، فخرج أبو مسلم ولم يتكلم ، ومضى حتى انتهى إلى راحلته فركبها ، ولحق بالشام فانتهى إلى معاوية وهو يشغل فقيلاً له : هذا أبو مسلم قد جاء ، فعانقه معاوية وسأله عن سفره وخاف أن يكون قد جاء بشيء مما يكره فقال أبو مسلم : والله لتقاتلن علياً أو لتقاتلننه ، فإنه قد أقر بقتل أمير المؤمنين عثمان ، فقام معاوية فرحاً وصعد المنبر واجتمع إليه الناس وحمد الله وأثنى عليه ، وقام أبو مسلم خطيباً وحرص الناس على قتال علي ؛ فصيح أهل الشام قاطبة على علي وطلبهم إياه بدم عثمان .

ثم إن حجر بن الأديب قدم على علي فقال : يا أمير المؤمنين ! الجماعة والعدد والمال مع الأشعث بن قيس بآذربيجان فابعث إليه فليقدم ، فكتب إليه علي « بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس ، أما بعد ! فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم واحمل ما غللت من المال » . فكتب إليه الأشعث بن قيس « أما بعد فقد جاءني كتابك بأن أقدم عليك وأحمل ما غللت من مال الله ، فما أنت وذاك ! والسلام » ، ثم قال الأشعث : والله لأدعنه بحال مضيعة ، ولأفسدن عليه الكوفة ، ثم ارتحل من آذربيجان وهو يريد معاوية ، وبلغ ذلك علياً وشق عليه خروجه إلى معاوية ، فقال حجر بن الأديب : يا أمير المؤمنين ! ابعثنني إلى الأشعث بن قيس فلنا أعرف به وارفق ، وإن هو خوشن لم يجب أحداً ، قال له علي : سر إليه فسار حجر إليه فأدركه بشهرزور فقال له حجر : يا أبا محمد ! أنشدك الله أن تأتي معاوية وتدع ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال الأشعث : أو ما سمعت كتابه إلي ؟ فقال حجر : إنك إن أتيت معاوية أقبلنا جميعاً إلى الشام ، وأنشدك الله ألا نظرت إلى أيتام قومك وأياماهم ! فإنني لا آمن أن يفتضحوا غداً ، قال : فما نزيد يا حجر ؟ قال : تحدر معي إلى الكوفة ، فإنك شيخ العرب وسيدها والمطاع في قومك ، وسيصير إليك الأمر ، فلم يزل به حجر حتى قال : ليصرفوا صدور الركائب إلى الكوفة ، فتقدم علي على فسر علي بمجيئه فقال : مرحباً وأهلاً بأبي محمد علي عجلته ، فقال : أمير المؤمنين ! إن هذا ليس بيوم عتاب ، ثم أقام مع علي بالكوفة . وحج بالناس عبد الله بن عباس بأمر علي وولاه .

فلما دخلت السنة السابعة والثلاثون

كتب معاوية إلى علي بن أبي طالب « أما بعد فإن الله اصطفى محمداً ﷺ بعلمه ، وجعله الأمين علي وحيه ، والرسول إلى خلقه ، واختار له من المسلمين أعواناً ، فكانوا في منازلهم عنده علي قدر فضائلهم في الإسلام ، كان أفضلهم في الإسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة بعده وخليفة خليفته

والخليفة المظلوم المقتول - رحمة الله عليهم ! وقد ذكر لي أنك تنتفى من دمه ، فإن كنت صادقاً فأمكننا من قتله حتى نقتله به ونحن أسرع إليك إجابة وأطوعهم طاعة ، وإلا فإنه ليس لك ولا لأحد من أصحابك عندنا إلا السيف ، والذي لا إله غيره ! لنطلبين قتله عثمان في الجبال والرمال حتى يقتلهم الله أو تلحق أرواحنا بعثمان - والسلام .

فكتب إليه علي « بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان - أما بعد فإن أخا خولان قدم علي بكتاب منك يذكر فيه محمداً ﷺ ، وما أنعم الله عليه من الهدى ، والحمد لله على ذلك ، وأما ما ذكرت من ذكر الخلفاء فلعمري إن مقامهم في الإسلام كان عظيماً ، وإن المصاب بهم لجرح عظيم في الإسلام ، وأما ما ذكرت من قتلة عثمان فإنني قد نظرت في هذا الأمر فلم يسعني دفعهم إليك ، وقد كان أبوك أتانى حين ولى الناس أبا بكر فقال لي : يا علي ! أنت أحق الناس بهذا الأمر بعد رسول الله ﷺ ، وهات يديك حتى أبايعك فلم أفعل مخافة الفرقة في الإسلام ، فأبوك أعرف بحقي منك ، فإن كنت تعرف من حقي ما كان يعرفه أبوك فقد قصدت رشداً ، وإن لم تفعل فسيغنى الله عنك - والسلام .

فلما قرأ معاوية الكتاب تهيأ هو ومن معه على المسير إلى علي ثم سار يريد العراق ، وسار علي من العراق ، وصلى الظهر بين القنطرة والجسر ركعتين ، وبعث علي مقدمته شريح بن هانئ وزياد بن النضر بن مالك ، أمر أحدهما أن يأخذ علي شط دجلة والآخر على شط الفرات ، معهما أكثر من عشرة آلاف نفس ، واستخلف علي الكوفة أبا مسعود الأنصاري ، ثم أخذ علي طريق الفرات وجعل يقول : إذا سمعتموني أقول « قال رسول الله ﷺ » فهو كما أقول ، وإذا لم أقول « قال رسول الله ﷺ » فإنما الحرب خدعة ، فالتقى علي وأهل الشام بصفين لسبع بقين من المحرم ، فقام علي خطيباً في الناس فقال : الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض ، وأبرم أمراً لم ينقضه الناقضون ، مع أن الله - وله

الحمد - لو شاء لم يختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره ، ولا جحد المفضلون ذا الفضل فضله ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾^(١) وقد ساقتنا وهؤلاء المقادير حتى جمعت بيننا في هذا المكان فنحن من ربنا بمنظر ومستمع ، ولو شاء الله لجعل الانتقام ، وكان منه التغيير حتى يتبين أهل الباطل ويعلم أهل الحق أين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة هي دار القرار ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا ﴾ - الآية ألا إنكم تلقون عدوكم غداً فأطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا فيها تلاوة القرآن ، وسلوه النصر ، وعليكم بالجهد والحزم وكونوا صادقين . ثم قعد فوثب الناس إلى سيوفهم يهيئونها ، وإلى رماحهم يثقفونها ، وإلى نبالهم يريشونها ، ثم جعل على مقدمته شريح بن هانئ الحارثي والأشتر ، وعلى الميمنة الأشعث بن قيس وعلى الميسرة عبد الله بن عباس ، وعلى الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء ، وعلى الساقة زياد بن النضر ، وعلى ميمنة الرجالة سليمان بن صرد الخزاعي .

ثم قام معاوية خطيباً في أهل الشام واجتمع الناس فقال : الحمد لله الذي دنا في علوه وعلا في دنوه ، وظهر وبطن فارتفع فوق كل منظر أولاً وآخرأ وظاهراً وباطناً يقضى فيفصل ، ويقدر فيغفر ، ويفعل ما يشاء ، وإذا أراد أمراً أمضاه ، وإذا عزم على أمر قضاه ، لا يؤامر أحداً فيما يملك ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ، والحمد لله رب العالمين على ما أحببنا وكرهنا ، ثم كانت من قضاء الله أن ساقتنا المقادير إلى الرقعة من الأرض ، ولقّت بيننا وبين أهل العراق ، فنحن من الله بمنظر ومستمع ، وقد قال الله ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا ﴾ - الآية ، فانظروا يا أهل الشام ، فإنما تلقون غداً العدو ، فكونوا على إحدى ثلاث خلال : إما قوماً تطلبون ما عند الله بقتالكم قوماً بغوا عليكم ، وإما قوماً تطلبون بدم الخليفة عثمان فإنه خليفتم وصهر نبيكم ، وإما قوماً تدفعون عن نسائكم وذرائكم ؛ وعليكم بتقوى الله والصبر الجميل ! نسأل الله لنا ولكم النصر ، وأن يفرغ علينا وعليكم الصبر ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو

خير الفاتحين ؛ فأجابه أهل الشام : طب نفساً ! نموت معك ونحى معك ، ثم جعل معاوية أبا الأعور عمرو بن سفيان السلمى على مقدمته ، وحبيب بن مسلمة الفهرى على ميمنته ، ويسر بن أرطاة على ميسرته ، ومسلم بن عقبة على رجالة العسكر ؛ فلما كان الغد اقتتلوا قتالاً شديداً فحجز بينهم الليل حتى قاتلوا ثلاثة أيام ؛ فقتل من أصحاب على بالمبارزة : هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعمار بن ياسر ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء وعمار بن حنظلة الكندى ، وبشر بن زهير ، ومالك بن كعب العامرى ، وطالب بن كلثوم الهمداني ، والمرقع بن وضاح الزبيدي ، وشريح بن طارق البكري ، وأسلم بن يزيد الحارثي ، والحارث بن اللجاج الحكمي ، وعائذ بن كريب الهلالي ، وواصل بن ربيعة الشيباني وعائذ بن مسروق الهمداني ، ومسلم بن سعيد الباهلي ، ومحارب بن ضرار المرادي ، وسبيمان بن الحارث الجعفي ، وشرحبيل ابن يزيد الحضرمي .

وقتل من أصحاب معاوية في المبارزة : شرحبيل بن منصور ، وعبد الرزاق بن خالد العبسي ، وشريح بن الحارث الكلابي ، وصالح بن المغيرة الجمحي ، وحرث بن الصباح الحميري ، والحارث بن وداعة الحميري ، وروق بن النحارث العكي ، والمطاع بن المطلب القيني وجلهمة بن هلال الكلبي ، والوضاح بن أزهر السكسكي ووزاع بن سلامان الغساني ، والمهاجر بن حنظلة الجعفي ، وعبد الله بن جرير العكي ، ومالك بن وديعة القرشي ، سوى من قتل من الفريقين من غير براز .

ولما قتل عمار أتى عبد الله بن عمرو معاوية فقال : قتل عمار ، فقال عمرو ابن العاص : قتل عمار ! فما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار : « تقتلك الفئة الباغية ! فقال معاوية : أنحن قتلناه ! إنما قتله أهل العراق ، وجاءوا به فطرحوه في سيوفنا ورماحنا ، وقد قيل : إنه قتل بصفين سبعون ألفاً : من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ، ومن أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً . فلما اشتدت البلاء بالفريقين وكثر بينهم القتلى قال عمرو بن العاص لمعاوية : إن هذا الأمر

لا يزداد إلا شدة ، فهل لك إلى أمر لا يزداد القوم به إلا فرقة ، إن أعطونا
اختلفوا وإن منعونا اختلفوا ؟ فقال معاوية : ما هو ؟ فقال : المصاحف نرفعها
وندعوهم بما فيها ، فإنهم لا يقاثلون إلا على ما قد علمت ؛ فقال معاوية :
افعل ما رأيت ، فأمر بالمصاحف فرفعت في الرماح ثم جعلوا ينادون : ندعوكم
إلى كتاب الله والحكم بما فيه فسر الناس به وكرهوا القتال ، وأجابوا إلى
الصلح ، وأنابوا إلى الحكومة ، وقالوا لعلي : إن القوم يدعونك إلى الحق وإلى
كتاب الله فإن كرهنا ذلك فنحن إذا مثلهم ، فقال علي : ويحكم ما يريدون
ولا يفعلون ؛ ثم مشى الناس بعضهم إلى بعض وأجابوا الصلح والحكومة ،
وتفرقوا إلى دفن قتلاهم ، ولم يجد عليّ بدأ أن يقبل الحكومة لما رأى من
أصحابه ، فحكم أهل الشام عمرو بن العاص ، وأراد علي أن يحكم ابن عباس
فقال الأشعث بن قيس - وهو يومئذ سيد الناس : لا يحكم في هذا الأمر
رجلان من قریش ، ولا افترق الفريقان على هذا الجمع على حكومة بعد أن
كان من القتال بينهما ما كان إلا وأحد الحكمين منا ؛ وتبعه أهل اليمن على
ذلك ، ثم قال الأشعث : لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري ، وكتبوا بينهم
كتابين الصلح « بسم الله الرحمن الرحيم - هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي
طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى علي على أهل العراق ومن كان معه من
شيعة من المؤمنين وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من شيعة من
المسلمين أنا ننزل على حكم الله وكتابه ، فما وجد الحكماء في كتاب الله
فيهما يتبعانه ، وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة تجمعهما ، وهما آمنان
على أموالهم وأنفسهما وأهاليهما ، والأمة أنصار لهما على الذي يقضيان
عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين - والطائفتان كلتاها عليهما - عهد الله
وميثاقه أن يفيا بما في هذه الصحيفة على أن بين المسلمين الأمن ووضع
السلاح ، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ليحكمما
بين الناس بما في هذه الصحيفة ، على أن الفريقين جميعاً يرجعان سنة ، فإذا

انقضت السنة إن أحبا أن يراد ذلك ردا ، وإن أحبا زادا فيهما ما شاء الله ، اللهم إنا نستنصرك على ما فى هذه الصحيفة .

وشهد على الصحيفة فريق عشرة أنفس ، فشهد من أصحاب على الأشعث ابن قيس ، وعبيد الله بن عباس ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وحجر بن الأدبر الكندي ، وعبد الله بن الطفيل بن العامري ، وعبد الله بن محل العجلي ، ووفاء ابن سمى البجلي وعقبة بن زيد الأنصاري ، ويزيد بن حجية التيمي ، ومالك ابن أوس الرجبي .

وشهد من أهل الشام أبو الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلمة الفهري ، والمخارق ابن الحارث الزبيدي ، وعلقمة بن يزيد الحضرمي ، وسبيع بن يزيد الحضرمي وزمل بن عمرو العذري ، ويزيد بن الحر العبسي ، وحمزة بن مالك الهمداني ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعتبة بن أبي سفيان .

وكتب يوم الأربعاء سنة سبع وثلاثين .

فانصرف على بمن معه من أهل العراق ، وانصرف معاوية بمن معه إلى الشام ، فقال عبد الله بن وهب الحرمي - وكان من أصحاب على : لا حكم إلا لله ، فقال على : هذه كلمة حق أريد بها باطل . فلما دخل على الكوفة خرج من كان يقول : لا حكم إلا لله ، ونزلوا بحروراء وهم قريب من اثني عشر ألفاً ، فسموا الحرورية ، ومناديهم ينادى : أمير القتال شيب بن ابي التميمي ، والأمر بعد الفتح شوري ، والبيعة لله ، ومات خباب بن الأرت بالكوفة .

فخرج على من صفين ، وولى على سهل بن حنيف فارس ، فأخرجه أهل فارس ، فوجه زياداً فرضوا وصالحوا وأدوا إليه الخراج .

ثم إن الخوارج اجتمعت على زيد بن حصين وقالوا له : أنت سيدنا وشيخنا وعامل عمر بن الخطاب على الكوفة ، تول أمرنا ، وجهروا به فقال : ما كنت

لأفعلها ، فلما أبى عليهم ذلك ذهبوا إلى يزيد بن عاصم المحاربي فعرضوا عليه أمرهم فأبى عليهم ذلك ، ثم ذهبوا إلى سعد بن وائل التميمي فأبى عليهم ، فأتوا عبد الله بن وهب الراسبي واجتمعوا عنده بقرب النهروان ، وخرج إليهم على في جمعية ، فلما أتاهم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنكم أيها القوم قد علمتم وعلم الله أني كنت للحكومة كارهاً حتى أشرت على بها وغلبتموني عليها والله بيني وبينكم شهيد ! ثم كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وأنتم على ذلك من الشاهدين ، فقالت طائفة من القوم : صدقت - ورجعوا إلى الجماعة ، وبقيت طائفة منهم على قولهم ، فقال علي : هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً ؟ الَّذِينَ ضَلُّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ (١). منهم أهل النهروان ورب الكعبة ! ثم إنهم عبروا الجسر إلى على ليحاربوه ، فلما عبروا الجسر نادى على في العسكر : استقبلوهم ، فاستقبلوهم والتقطوهم بالرماح ، فكان مع على جميعه يسيرة ، إنما جاء على أن يردهم بالكلام ، وقد كانت الخوارج قريباً من خمسة آلاف ؛ فلما فرغوا من قتلهم قال علي : اطلبوا لي المخدع ، فطلبوه فلم يجدوه فقال : اطلبوا المخدع ، فوالله ما كذبت ولا كُذِّبت ، ثم دعا ببغلة البيضاء فركبها وجعل يقلب القتلى حتى أتى على فضاء من الأرض فقال : قلبوا هؤلاء فإذا هم برجل ليس له ساعد ، بين جنبية ثدى فيه شعرات إذا مدت امتدت ، وإذا تركت قلصت ، فقال علي : الله أكبر ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج قوم فيهم رجل مخدع اليد ولولا أن تنكلوا عن العمل لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان محمد ﷺ » ثم حج بالناس عبد الله بن عباس .

فلما دخلت السنة الثامنة والثلاثون

اجتمعوا لميعادهم مع الحكمين بأذرح ، وحضر فيهم من أهل المدينة سعد ابن أبي وقاص ، وعبد الله بن الزبير ، وابن عمر ، ولم يخرج على نفسه ،

(١) من القرآن الكريم سورة الكهف آية ١٠٤ .

ووافى معاوية في أهل الشام وكان بينه وبين أبي موسى الأشعري ما كان وافترق الناس ورجعوا إلى أوطانهم ، وندم عبد الله بن عمر على حضوره أذرح ، فأحرم من بيت المقدس تلك السنة ورجع إلى مكة .

واستشار معاوية أصحابه في محمد بن أبي بكر وكان والياً على مصر ، فأجمعوا على المسير إليه فخرج عمرو بن العاص في أربعة آلاف فيهم أبو الأعور السلمي ومعاوية بن حديج فالتقوا بالمسنّة وقاتلوا قتالاً شديداً ، وقتل كنانة بن بشير بن عتاب التميمي ، وانهزم محمد بن أبي بكر وقاتل حتى قتل ، وقد قيل : إنه أدخل في جوف حمار ميت ، ثم أحرق بالنار ، فلما بلغ علياً سرور معاوية بقتله قال : لقد حزنا عليه بقدر سرورهم بقتله ، ثم ولي على الأشتر على مصر . ومات صهيب بن سنان .

فلما بلغ معاوية خبر مسير الأشتر إلى مصر قال : إنه ليأتني وعامة أهل مصر أهل اليمن وهو يمانى ، وكتب إلى دهقان بالعريش : إن احتلت في الأشتر فلك على أن أخرج خراجك عشرين سنة ، فقدم الأشتر على امرأة من حمير يقال لها ليلي بنت النعمان ، فتلطف له الدهقان وسأله : أى الشراب أحب إليك ؟ قال العسل ، قال : عندي عسل من عسل برقة لم ير مثله ، ثم قدمته إليه فسقته منه ، فمات من ساعته ، فبلغ ذلك معاوية فقال : إن الله جنوداً من العسل . ومات صفوان ابن بيضاء في رمضان وكان قد شهد بدرأ ، ومات سهل بن حنيف بالكوفة وصلى عليه . وحج بالناس قثم بن العباس .

فلما دخلت السنة التاسعة والثلاثون

استعمل على يزيد بن حجة التميمي على الرى ، ثم كتب إليه بعد مدة أن أقدم ، فقدم على فقال له : أين ما غللت من مال الله ؟ قال : ما غللت ، فخفقه بالدرة خفقات وحبسه في داره ، فلما كان في بعض الليالي قرب يزيد البواب وما حله ، ولحق بالبرقة وأقام بها حتى أتاها إذن معاوية ، فلما بلغ علياً

لحقه معاوية قال : اللهم ! إن يزيد أذهب بمال المسلمين ولحق بالقوم الظالمين ، اللهم ! فاكفنا مكره وكيده .

ثم وجه معاوية خيلاً فيهم الضحاك بن قيس الفهري ، وسفيان بن عوف الدابري ، فأغار سفيان على الأنبار وفيها مسلحة لعلی ، فلما بلغ علياً خروجهم خرج من بيته والناس في المسجد فلما رأوه صاحوا ، قال : اسكتوا اسكتوا ! فلما سكتوا قال : شامت الوجوه ! إن قلت نعم ، قلت : لا ، وإن قلت : لا ، قلت : نعم ، إن استنفرتكم في الحر قلت : الحر شديد فإذا جاء الشتاء نفرنا ، وإذا جاء الشتاء واستنفرتكم قلت : البرد شديد وإذا كان الصيف نفرنا ، إن عدوكم يجد من الهناء ما تجدون ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع ، وددت أن لي بجماعتكم ألف فارس .

ثم بعث معاوية بسر بن أرطاه - أحد بني عامر بن لؤي - في جيش من أهل الشام إلى المدينة وعليها أبو أيوب الأنصاري ، فهرب منه أبو أيوب ولحق علياً بالكوفة ، ولم يقاتله أحد بالمدينة حتى دخلها ، فصعد منبر رسول الله ﷺ وجعل ينادي : يا أهل المدينة ! والله لولا ما عهد إلى أمير المؤمنين معاوية ما تركت فيها محتلاً إلا قتلتهم ! فبايع أهل المدينة معاوية ، وأرسل إلى بني سلمة : ما لكم عندي أمان تأتونني بجابر بن عبد الله على أم سلمة وقال : يا أمه ! إني خشيت على دمي ، وهذه بيعة ضلالة ، فقالت : أرى أن تباع ، فخرج جابر بن عبد الله فبايع بسر بن أرطاه لمعاوية كارهاً ، ثم خرج بسر حتى أتى مكة ، فخافه أبو موسى الأشعري وكان والي مكة لعلی ، وتنحى عن مكة حتى دخلها ، ثم مضى إلى اليمن وعليها عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب عامل على ، فلما سمع به عبيد الله هرب ، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد المدان ، وكانت ابنته تحت عبيد الله بن عباس . فلما قدم بسر اليمن قتل عبد الله بن عبد المدان ، وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب - من أحسن الصبيان - صغيرين كأنهما درتان ، ففعل بهما ما فعل .

فلما حضر الموسم بعث على الحج عبد الله بن عباس ، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى ، فاجتمعا بمكة وتنازعا وأبى كل واحد منها أن يسلم لصاحبه إقامة الحج ، فاجتمع الناس على شيبة بن عثمان بن أبى طلحة ، فحج بالناس شيبة بن عثمان .

فلما دخلت السنة الأربعون

وبلغ الخبر علماً بما فعل بسر بن أرطاة باليمن وما كان من أمر بنى عبید الله ابن عباس بن عبد المطلب خطبهم وقال : لقد خفت أن يظهر مولى القوم عليكم ، وما يظهرون عليكم بأن يكونوا بالحق أولى منكم ، ولكن بصلحهم فى بلادهم وفسادكم فى بلادكم ، واجتماعهم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، وأدائهم الأمانة وخيانتكم ، والله لو استعملت فلاناً لخان وغدر - ثلاثاً ! ولو بعثه معاوية لم يخنه ولا غدره ، اللهم ! قد مللتهم وملونى ، وسئمتهم وسئمونى ، وكرهتهم وكرهونى ، فأرحنى منهم وأرحهم منى وأبدلنى بمن هو خير لى منهم وأبدلهم بمن هو شرلهم منى .

ثم كان قتل على بن أبى طالب .

وكان السبب فى ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم المرادى أبصر امرأة من بنى تيم الرباب يقال لها قطام ، وكانت من أجمل أهل زمانها ، وكانت ترى رأى الخوارج ، فولع بها فقالت : لا أتزوج بك إلا على ثلاثة آلاف وقتل على بن أبى طالب فقال لها : لك ذلك ، فتزوجها وبني بها فقالت له : يا هذا ! قد عرفت الشرط ، فخرج عبد الرحمن بن ملجم ومعه سيف مسلول حتى أتى مسجد الكوفة وخرج على من داره وأتى المسجد وهو يقول : أيها الناس ! الصلاة الصلاة ! أيها الناس ! الصلاة الصلاة ! وكانت تلك ليلة الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان ، فصادفه عبد الرحمن بن ملجم من خلفه ثم ضربه بالسيف ضربة من قرنه إلى جبهته ، وأصاب السيف الحائط فثلم فيه ، ثم ألقي من يده ، وأقبل الناس عليه فجعل ابن ملجم يقول للناس : إياكم والسيف فإنه

مسموم ، وقد سمه شهراً ، فأخذه ، ورجع على بن أبى طالب داره ، ثم أدخل عليه عبد الرحمن بن ملجم فقالت له أم كلثوم بنت علي : يا عدو الله ! أمير المؤمنين ! فقال : لم أقتل إلا أباك ، فقالت : إني لأرجو أن لا يكون علي أمير المؤمنين من بأس ، فقال عبد الرحمن بن ملجم : فلم تبكين إذا ؟ فوالله سممته شهراً ! فإن أخلفني أبعد الله وأسحقه ، فقال علي : احبسوه وأطيبوا طعامه وألينوا فراشه ، فإن أعش فعفوا أو قصاص ، وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين .

فمات علي بن أبى طالب غداة يوم الجمعة فأخذ عبد الله بن جعفر والحسن ابن علي ومحمد بن الحنفية عبد الرحمن بن ملجم ، فقطعوا يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم ، ثم كحلوا عينيه بملمول^(١) محمى ، ثم قطعوا لسانه وأحرقوه بالنار ؛ وكان لعلى يوم مات اثنتان وستون سنة ، وكانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر

واختلفوا فى موضع قبره ولم يصح عندى شىء من ذلك فأذكره ، وقد قيل : إنه دفن بالكوفة فى قصر الإمارة عند مسجد الجماعة ، وهو ابن ثلاث وستين .

ثم قام الحسن بعد دفن أبيه خطيباً فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : والله لقد مات فيكم رجل ما سبقه الأولون يدركه الآخرون ! لقد كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية فما يرجع حتى يفتح الله عليه ، يقاتل جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، ولا ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبعمائة درهم فضلت عن عطائه ، أراد أن يـ

وكان لعلى بن أبى طالب

ومحسن وأم كلثوم الكبرى

رسول الله ﷺ ، وكان له من

ويحيى وجعفر والعباس وعبد

وزينب الصغرى وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة وأم الكرام وأم سلمة - رضى

الله عنهم أجمعين .

ذكر البيان بأن من ذكرناهم كانوا خلفاء

ومن بعدهم كانوا ملوكاً

أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى بالموصل ثنا علي بن الجعد الجوهري^(١) ثنا حماد بن سلمة عن سعيد بن جمهان عن سفينة^(٢) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم يكون ملكاً ، قال : أمسك خلافة أبي بكر سنتين ، وعمر عشرأ ، وعثمان اثنتى عشرة ، وعلي ستأ . قال علي بن الجعد : فقلت لحماذ بن سلمة : سفينة القائل : أمسك ؟ قال : نعم .

قال أبو حاتم : ولى أهل الكوفة بعد علي بن أبي طالب الحسن بن علي ، ولما اتصل الخبر بمعاوية ولى أهل الشام معاوية بن أبي سفيان ، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأم معاوية هند بنت عتبة بن ربيعة بن شمس ، فكان معاوية نفذ الأمور بالشام والأردن وفلسطين ومصر ، وكان الحسن بن علي يمشى الأمور بالعراق إلى أن دخلت سنة إحدى وأربعين ، فاحتال معاوية فى الحسن بن علي وتلطف له وخوفه هراقه دماء المسلمين وهتك حرمتهم وذهاب أموالهم إن لم يسلم الأمر لمعاوية ، فاختار الحسن ما عند الله على ما فى الدنيا وسلم الأمر إلى معاوية يوم الإثنين لخمس ليال بقين من ربيع الأول إحدى وأربعين واستوى الأمر لمعاوية حينئذ ، وسميت هذه السنة سنة الجماعة ، وبقي معاوية فى إمارته تلك إلى أن مات يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين ، وقد قيل : إن معاوية مات للنصف من رجب من هذه السنة ، وكان له يوم توفى ثمان وسبعون سنة ؛ وصلى عليه ابن قيس الفهرى ، وقد قيل : إن يزيد بن معاوية هو الذى صلى عليه ، وكانت مدة معاوية تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر واثنين وعشرين ليلة ؛ وكان معاوية يخضب بالحاء والكتم ، وكان نقش خاتمه « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم »

(١) هو علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي ، ثقة ثبت روى بالتشيع ، من صغار الطبقة التاسعة ،

مات سنة ٢٣٠ هـ أخرج له البخارى وأبو داود . انظر تقريب التهذيب ١٠١/١ ترجمة ٧٤ .

(٢) سفينة هذا هو مولى رسول الله وكانت كنيته أبو عبد الرحمن .

وقبره بدمشق خارج باب الصغير في المقبرة ، محط عليه ، وقد زرته مراراً
عند قصرى رمادة أبي الدرداء .

يزيد بن معاوية أبو خالد

ثم تولى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان يوم الخميس من شهر رجب في اليوم
الذي مات فيه أبوه ، وكنية يزيد أبو خالد ، وكان ليزيد بن معاوية يوم ولي أربع
وثلاثون وشهر ، كانت أمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة
الكلبي ، وكان نقش خاتمه « آمنت بالله مخلصاً » .

ولما بايع أهل الشام يزيد بن معاوية واتصل الخبر بالحسين بن علي جمع
شيعة واستشارهم وقالوا : إن الحسن لما سلم الأمر لمعاوية سكت وسكت معاوية ،
فالآن قد مضى معاوية ونحب أن نبايعك ، فبايعته الشيعة ؛ ووردت على الحسين
كتب أهل الكوفة من الشيعة يستقدمونه إياها ، فأنفذ الحسين بن علي مسلم
ابن عقيل إلى الكوفة لأجل البيعة على أهلها ، فخرج مسلم بن عقيل من
المدينة معه قيس بن مسهر الصيداوي يريدان الكوفة ، ونالهما في الطريق تعب
شديد وجهد جهيد ، لأنهما أخذاً دليلاً تنكب بهما الجادة فكاد مسلم بن
عقيل أن يموت عطشاً إلى أن سلمه الله ودخل الكوفة ، فلما نزلها دخل دار
الختار بن أبي عبيد ، واختلفت إليه الشيعة يباعونه أرسالاً ، ووالى الكوفة يومئذ
النعمان بن بشير ، ولأه يزيد بن معاوية الكوفة ؛ ثم تحول مسلم بن عقيل من
دار الختار إلى دار هانيء حتى بايع ثمانية عشر ألف رجل من الشيعة . فلما
اتصل الخبر بيزيد بن معاوية أن مسلماً يأخذ البيعة بالكوفة للحسين بن علي ،
كتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد وهو إذ ذاك بالبصرة وأمره بقتل
مسلم بن عقيل أو بعثه إليه ؛ فدخل عبيد الله بن زياد الكوفة حتى نزل القصر
 واجتمع إليه أصحابه ، وأخبر عبد الله بن زياد أن مسلم بن عقيل في دار هانيء
ابن عروة ، فدعا هاتئاً وسأله فأقر به ، فهشم عبيد الله وجه هانيء بقضيت كان
في يده حتى تركه وبه رمق .

ثم ركب مسلم بن عقيل في ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد الله بن زياد ، فلما قرب من قصر عبيد الله نظر فإذا معه مقدار ثلاثمائة فارس فوقف يلتفت يمنة ويسرة فإذا أصحابه يتخلفون عنه حتى بقى معه عشرة أنفس ، فقال : يا سبحان الله ! غرنا هؤلاء بكتبهم ثم أسلمونا إلى أعدائنا هكذا ، فولى راجعاً فلما بلغ طرف الزقاق التفت فلم ير خلفه أحداً ، وعبيد الله بن زياد في القصر متحصن يدبر في أمر مسلم ابن عقيل ، فمضى مسلم بن عقيل على وجهه وحده فرأى امرأة على باب دارها ، فاستسقاها ماء وسألها مبيتاً ، فأجابته إلى ما سأل ويات عندها ، وكانت للمرأة ابن ، فذهب الابن وأعلم عبيد الله بن زياد أن مسلماً في دار والدته ، فأنفذ عبيد الله بن زياد إلى دار المرأة محمد بن الأشعث بن قيس في ستين رجلاً من قيس ، فجاءوا حتى أحاطوا بالدار ، فجعل مسلم يحاربهم عن نفسه حتى كلّ وملّ ، فآمنوا فأخذوه وأدخلوه على عبيد الله ، فأصعد القصر وهو يقرأ ويسبح ويكبر ويقول : اللهم أحكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خلدونا حتى دفعنا إلى ما دفعنا إليه ، ثم أمر عبيد الله بضرب رقبة مسلم بن عقيل ، فضرب رقبة مسلم بن عقيل بكبير بن حمران الأحمرى على طرف الجدار فسقطت جثته ، ثم أتبع رأسه جسده ، ثم أمر عبيد الله بإخراج هانيء بن عروة إلى السوق وأمر بضرب رقبته في السوق . ثم بعث عبيد الله بن زياد برأسى مسلم بن عقيل بن أبي طالب وهانيء بن عروة مع هانيء بن أبي حية الوداعي والزبير بن الأورح التميمي إلى يزيد بن معاوية .

فلما بلغ الحسين بن علي الخبر بمصاب الناس بمسلم بن عقيل خرج بنفسه يريد الكوفة ، وأخرج عبيد الله بن زياد عمر بن سعد إليه فقاتله بكريلاء قتالاً شديداً حتى قتل عطشاناً ، وذلك يوم عاشوراء يوم الأربعاء سنة إحدى وستين ، وقد قيل : إن ذلك اليوم كان يوم السبت ، والذي قتل الحسين بن علي هو سنان بن أنس النخعي . وقتل معه من أهل بيته في ذلك اليوم : العباس ابن علي بن أبي طالب ، وجعفر بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن علي بن

أبي طالب الأكبر ، وعبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، والقاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وعون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن عقيل بن أبي طالب . ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب ؛ واستصغر علي بن الحسن بن علي فلم يقتل ، انفلت في ذلك اليوم من القتل لصغره ، وهو والد محمد بن علي الباقر ، واستصغر في ذلك اليوم أيضاً عمرو بن الحسن بن علي بن أبي طالب فلم يقتل لصغره ، وجرح في ذلك اليوم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب جراحة شديدة حتى حسبوه قتيلاً ثم عاش بعد ذلك وقتل في ذلك اليوم سليمان مولى الحسن بن علي بن أبي طالب ، ومنجج مولى الحسين بن علي بن أبي طالب ، وقتل في ذلك اليوم الخلق من أولاد المهاجرين والأنصار ، وقبض علي عبد الله بن بقطر رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب في ذلك اليوم ، وقيل : حمل إلى الكوفة ثم رمى به من فوق القصر ، أو قيد فانكسرت رجله ، فقام إليه رجل من أهل الكوفة وضرب عنقه .

وكانت أم الحسين بن علي بن أبي طالب فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وأم العباس بن علي بن أبي طالب أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة ، والعباس يقال له : السقاء ، لأن الحسين طلب الماء في عطشه وهو يقاتل ، فخرج العباس وأخوه ، واحتال حمل إداوة ماء ودفعها إلى الحسين ، فلما أراد الحسين أن يشرب من تلك الإداوة جاء سهم فدخل حلقه ، فحال بينه وبين ما أراد من الشرب فاحترشته السيوف حتى قتل فسمى العباس بن علي « السقاء » لهذا السبب ، وكانت والدته جعفر بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن علي بن أبي طالب الأكبر ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود بن معتب ، وكانت أم عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب أم القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب أم ولد ، وكانت أم عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب جمانة بنت المسيب بن نجبة بن ربيعة ، وكانت أم محمد بن عبد الله بن جعفر بن عقيل

ابن أبي طالب أم ولد ، وكانت أم عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب رقية بنت علي بن أبي طالب ، وكانت أم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب خولة بنت منظور بن زيان الفزاري ، وكانت أم عمرو بن الحسن بن علي ابن أبي طالب أم ولد ، وقد قيل : إن أبا بكر بن علي بن أبي طالب قتل في ذلك اليوم ، وأمه ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربيع . والذي تولى ذلك اليوم حز رأس الحسين ابن علي بن أبي طالب شمر بن ذي الجوشن .

ثم أنفذ عبيد الله بن زياد رأس الحسين بن علي إلى الشام مع أسارى النساء والصبيان من أهل بيت رسول الله ﷺ على أقتاب^(١) مكشفات الوجوه والشعور ، فكانوا إذا نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من الصندوق وجعلوه في رمح وحرسوه إلى وقت الرحيل ، ثم أعيد الرأس إلى الصندوق ورحلوا ، فبيناهم كذلك إذ نزلوا بعض المنازل وإذا فيه دير راهب ، فأخرجوا الرأس على عادتهم وجعلوه في الرمح وأسندوا الرمح إلى الدير ، فرأى الديراني بالليل نوراً ساطعاً من ديره إلى السماء ، فأشرف على القوم وقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نحن أهل الشام ، قال : هذا رأس من هو ؟ قالوا : رأس الحسين بن علي ، قال : بئس القوم أنتم ! والله لو كان لعيسى ولد لأدخلناه أحداقنا ! ثم قال : يا قوم ! عندي عشرة آلاف دينار ورثتها من أبي وأبي من أبيه ، فهل لكم أن تعطوني هذا الرأس ليكون عندي الليلة وأعطيكم هذه العشرة آلاف دينار ؟ قالوا : بلى ، فأحدر إليهم الدنانير فجاءوا بالنقاد ، ووزنت الدنانير ونقدت ، ثم جعلت في جراب وختم عليه ، ثم أدخل الصندوق ، وشالوا إليه الرأس ، فغسله الديراني ووضعوه على فخذه وجعل يكي الليل كله عليه ، فلما أن أسفر عليه الصبح قال : يا رأس ! لا أملك إلا نفسي ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدك رسول الله ، فأسلم النصراني وصار مولى للحسين ، ثم أحدر الرأس إليهم فأعادوه إلى الصندوق ورحلوا ، فلما قربوا من دمشق قالوا : نحب أن نقسم تلك الدنانير ، لأن يزيد إن رآها أخذها منا ، ففتحوا الصندوق وأخرجوا الجراب بختمه وفتحوه ، فإذا الدنانير كلها قد تحولت

(١) أي على رحل صغير قدر سنام الجمل .

خزفياً ، وإذا على جانب من الجانبين من السكة مكتوب ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(١) وعلى الجانب الآخر ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ^(٢) قالوا : قد افترضنا والله ! رموها فى بردى نهر لهم فمنهم من تاب من ذلك الفعل لما رأى ، ومنهم من بقى على إصراره ، وكان رئيس من بقى على ذلك الإصرار سنان بن أنس النخعى .

ثم أركب الأسارى من أهل بيت رسول الله ﷺ من النساء والصبيان أقتاباً يابسة مكشفات الشعور ، وأدخلوا دمشق كذلك ، فلما وضع الرأس بين يدى يزيد بن معاوية جعل ينفر ثنيته بقضيب كان فى يده ويقول : ما أحسن ثنياه ! قد ذكرت كيفية هذه القصة وباليتهاب بنى أمية وبنى العباس فى كتاب الخلفاء ، فأغنى عن إعادة مثلها فى هذا الكتاب لاقتصارنا على ذكر الخلفاء الراشدين منهم فى أول هذا الكتاب .

وقد بعث يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المزنى إلى المدينة لست ليال بقين من ذى الحجة سنة ست وستين ، فقتل مسلم بن عقبة بالمدينة خلقاً من أولاد المهاجرين والأنصار ، واستباح المدينة ثلاثة أيام نهياً وقتلاً ، فسميت هذه الوقعة وقعة الحرة .

وتوفى يزيد بن معاوية بحوارين قرية من قرى دمشق لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وهو يومئذ ابن ثمان وثلاثين ، وقد قيل : إن يزيد بن معاوية سكر ليلة وقام يرقض فسقط على رأسه وتناثر دماغه فمات ، وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد ، وكان نقش خاتم يزيد « آمنت بالله مخلصاً » وقبرة بدمشق .

معاوية بن يزيد أبو ليلى

وولى معاوية بن يزيد بن معاوية يوم النصف من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، وأمه أم خالد بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وكان

(١) سورة إبراهيم الآية ٤٢ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٧ .

له يوم ولى إحدى وعشرون سنة ، وقد قيل : لا ، بل سبع عشرة سنة وكان من خير أهل بيته ، فلما حضرته الوفاة قالوا له : بايع لرجل بعدك وأعهد إليه ، قال : ما أصبت من دنياكم شيئاً فأتقلد مأثمها .

ومات معاوية بن يزيد اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ، وكانت إمارته أربعين ليلة ، وصلى عليه عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان ، وكان نقش خاتمه « يا الله نستعين - معاوية » وقبره بدمشق .

مروان بن الحكم

وولى مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، بايعه أهل الشام بالجابية ، وأمة آمنه بنت علقمة بن صفوان بن أمية بن مخدش الكعبي .

ولما وصل الخبر بموت معاوية الحجاز بايعوا عبد الله بن الزبير بن العوام ، وكنته ابن الزبير أبو خبيب ، وبايع له أهل العراق وأهل الحجاز ، وأم عبد الله بن الزبير أسماء بنت أبي بكر ، فكان يخطب لابن الزبير بالحجاز والعراق ، ويخطب بالشام إلى المغرب لمروان بن الحكم إلى أن مات مروان بن الحكم في شهر رمضان سنة خمسة وستين بدمشق وقد قيل : إن مروان مات بين دمشق وفلسطين ، وكان له يوم مات ثلاث وستون سنة ، وكانت ولايته عشرة أشهر إلا ثلاث ليال ، وصلى عليه ابن عبد الملك بن مروان ، قد عهد إليه في حياته ، وكان نقش خاتم مروان « آمنت بالعزير الحكيم » ، وقد قيل : إن نقش خاتم مروان كان « العزة لله » .

عبد الملك بن مروان أبو الوليد

ثم بايع أهل الشام عبد الملك بن الحكم ، وكان يكنى أبا الذبان لبخر كان في فمه ، وذلك في اليوم الذي مات فيه أبوه ، وأم عبد الملك بن مروان عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية .

وأنفذ عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان

محارباً وسار عبد الملك إلى العراق يريد مصعباً ، فالتقوا بدير الجاثليق ، وكان بينهما وقعت إلى أن كانت الهزيمة على أصحاب مصعب ، وقتل مصعب بن الزبير ، ثم رجع عبد الملك إلى دمشق وجمع الناس واستشارهم في أمر عبد الله ابن الزبير وقال : من له ؟ فقام الحجاج بن يوسف فقال : أنا - وكان أصغر القوم وأقلهم نباهة ، فقال له عبد الملك : وما يدريك ؟ فقال له : إني رأيت في المنام أني خلعت ثوبه ، فقال : أنت له ، فأخرجه في جماعة من أهل الأردن والشام لمحاربة ابن الزبير فوافى الحجاج مكة وحاصر الحرم ، ونصب المنجنيق على الكعبة أياماً إلى أن ظفر بعبد الله بن الزبير فقتله ، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، على جلع منكباً ، واستقر الأمر حينئذ لعبد الملك بن مروان ، ومات عبد الملك بن مروان بدمشق لأربع ليال خلون من شوال سنة ست وثمانين ، وكانت أم عبد الملك بن مروان عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية ، وصلى عليه ابنه الوليد ، وكان له يوم توفى اثنان وستون سنة ، وكان نقش خاتمه « آمنت بالله » .

وليد بن عبد الملك أبو العباس

وباع الناس الوليد بن عبد الملك في اليوم الذي توفى أبوه بدمشق ، وأم الوليد بن عبد الملك : ليلي بنت العباس بن الحسين بن الحارث بن زهير ، وتوفى الوليد بن عبد الملك بدمشق للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين بموضع يقال دير مران ، وكان له يوم مات تسع وأربعون سنة ، وكان نقش خاتمه « يا وليد » مات وصلى عليه سليمان بن عبد الملك ، وحمل من دير مران على أعناق الرجال إلى دمشق ، ودفن في باب الصغير . وفي ولاية الوليد بن عبد الملك مات الحجاج بن يوسف في شهر رمضان سنة خمس وتسعين وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد

ابن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة
ابن قيس عيلان .

سليمان بن عبد الملك أبو أيوب

وولي سليمان بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه وليد بن عبد الملك ،
وأمه ليلى بنت العباس بن الحسين ، وكنيته سليمان بن عبد الملك أبو أيوب ،
مات سليمان بموضع يقال له دايق يوم الجمعة لعشر ليال خلون من صفر ،
وقد قيل : لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين ، وكان له يوم توفي خمسة
وأربعون سنة ، وكان نقش خاتمه « أومن بالله » .

عمر بن عبد العزيز أبو حفص

واستخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو حفص بدير سمعان
في اليوم الذي توفي سليمان بن عبد الملك ، وأم عمر بن عبد العزيز أم عاصم
بنت عاصم بن عمر بن الخطاب واسمها ليلى ، فلما ولي عمر جمع وكلاءه
ونسائه وجواريه فطلقهن وأعتقهن ، وأمر بشيابه فبعث كلها وتصدق بأثمانها ،
ولزم طريقة الخلفاء الراشدين المهديين الذين هو من جملتهم ، لا تأخذه في الله
لومة لائم ، وتوفي عمر بن عبد العزيز بدير سمعان يوم الجمعة لخمس ليال
بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكان له يوم مات إحدى وأربعون سنة ،
وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمس ليال ، وصلى عليه مسلمة بن
عبد الملك ، وقيل صلى عليه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وكان نقش
خاتم عمر بن عبد العزيز « بالله مخلصاً » .

يزيد بن عبد الملك أبو خالد

وولي أهل الشام يزيد بن عبد الملك بن مروان بعد دفن عمر بن عبد العزيز ،
وكنية يزيد بن عبد الملك أبو خالد ، وأمة عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي
سفيان ، وتوفي يزيد بن عبد الملك بحوران من أرض دمشق يوم الجمعة أو

الخميس لخمس ليال بقين من شعبان سنة خمسة ومائة ، وكان له يوم توفى تسع وعشرون سنة ، وكانت ولايته أربع سنين وشهراً . . . لأنه مات بسواد الأردن ، وصلى عليه ابنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان نقش خاتم ابن عبد الملك « رب قنى الحساب » .

هشام بن عبد الملك أبو الوليد

وولى هشام بن عبد الملك بن مروان فى اليوم الذى توفى فيه أخوه ، وأمه عائشة بنت هشام بن أسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، ومات هشام بن عبد الملك بالرصافة من أرض قنسرين يوم الأربعاء لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وكان له يوم توفى ست وخمسون سنة ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وستة أشهر وإحدى عشرة ليلة ، وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان نقش خاتم ابن عبد الملك « للحكم الحكيم » وكان هشام أحول .

الوليد بن يزيد بن عبد الملك أبو العباس

وولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعد دفن هشام بن عبد الملك ، وأمه أم محمد واسمها عائشة بنت محمد بن الثقفى أخو الحجاج بن يوسف وكنيته الوليد بن يزيد أبو العباس ، وقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وقتله يزيد الناقص بالبغراء من أرض دمشق ، وكانت ولايته سنة وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك أبو خالد .

وولى يزيد بن الوليد بعد قتل الوليد بن عبد الملك وأمه هند بنت عبد العزيز بن مروان ، ومات يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، وكانت ولايته خمسة أشهر وقد قيل : خمسة أشهر وليتين ، وصلى عليه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك وكان يقال له : يزيد الناقص وإنما سمي بذلك لانه نقص عطاء الجند عما زاده الوليد فسمى بذلك الناقص .

ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك أبو إسحاق

كوولى إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان فى اليوم الذى مات فيه أخوه وكانت أمه ام ولد وكان يلقب بصلبان باسم مجنون وكان عندهم بدمشق وبقي فى العمل ثلاثة أشهر ثم قدم مروان بن محمد دمشق ، وراوده على أن يخلع نفسه بعد ان قاتله مروان فسمى المخلوع وبقي بعد ذلك مدة إلى أن مات بدمشق ، وقد قيل محمد بن مروان هو الذى قتله وصلبه وكان اليوم الذى خلع فيه إبراهيم بن الوليد يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر صفر سنة سبع وعشرين ومائة .

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أبو عبد الملك .

وولى مروان بن محمد فى اليوم الذى خلع فيه إبراهيم بن الوليد نفسه وذلك يوم الاثنين وكان يقال له مروان الحمار ، وإنما عرف بالحمار لقلة عقله وأمّه أم ولد جارية كردية كان يقال لها لبابة وظهر أبو مسلم واسمه عبد الرحمن بن مسلم وأحد بنى ليث بن بكر بن عبد مناف بخمرسان يوم الخميس لعشر بقين من رمضان سنة تسع وعشرين ومائة . فأظهر الدعوة للرضا من آل رسول الله ﷺ ثم دخل مرو وفض الجموع التى كانت بها مع نصر بن سيار ، وهرب نصر بن سيار من أبى مسلم يريد العراق فمات بساوة وخرج أبو مسلم من مرو إلى نيسابور ثم قصد الرى ثم خرج منها إلى الكوفة فدخلها ، وانفذ عبد الله بن على بن العباس وأهل بيته وهم بالمدينة فاستقدمهم الكوفة وانفذ عبد الله بن على العباس وأهل بيته مع جيش جرار إلى دمشق يريد مروان بن محمد فأنفذ عبد الله بن على على مقدمته صالح بن على فجعل صالح بن على على مقدمته فمجل صالح بن على على مقدمته أبا عون عبد الملك بن يزيد فواقع ابن عون مروان بن محمد بموضع يقال له أبو صير من رستاق يدعى من صعيد مصر ، لأنه هرب إلى الصعيد فقتل مروان الحمار عامر بن إسماعيل المرزوى وذلك يوم الخميس لست ليال بقين من ذى الحجة سنة إحدى وثلاثين ومائة وقد قيل : إن مروان بن محمد قتل فى بعض نواحي دمشق وانقضت مدة ملك بنى أمية

على راسة .

السفاح أبو العباس

وولى أبو مسلم أبا العباس واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن علي عبد الله ابن العباس ، وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة اثنين وثلاثة ومائه وأمه رائطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثي وهو أول عباس يتولى الخلافة وتحول من الحيرة إلى الأنبار وبنى مدينتها للنصف من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائة وتوفي أبو العباس يوم الأحد بالأنبار ليلة عشر مائة وصلى عليه عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس وكانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر وكان مولدة بالشام بالحميمة وكان نقش خاتم أبى العباس « الله ثقة عبد الله وبه يؤمن » .

المنصور أبو جعفر أخوه

وولى أبو جعفر المنصور، واسمه عبد الله بن محمد علي بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فى اليوم الذى مات فيه أخوه وأمه أم ولد أسمها سلامة وتوفي أبو جعفر المنصور بالأبطح بمكة لتسع خلون من ذى الحجة سنة ثمانى وخمسين ومائة ، ودفن ببئر ميمون ، وصلى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، وقد قيل لا بل صلى عليه عيسى بن محمد بن علي والمنصور هو قاتل أبى مسلم ، وكان أبو مسلم مولده بكرخ أصبهان واسمه عبد الرحمن بن مسلم ، قتله المنصور فى آخر شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة وطواه فى بساط لأنه ترك رأى وكان للمنصور يوم ولى ثلاث وستون سنة ، وكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة غير يوم ، وكان نقش خاتم المنصور « الله ثقة عبد الله » .

المهدى بن المنصور أبو عبد الله

وولى محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس فى اليوم الذى توفي فيه أبوه ، وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهم بن يزيد الحميرى

ومات المهدي بما سبذان بقرية يقال لها السواد ، وذلك في المحرم ليلة الخميس
لثمان بقين منه تسع وستين ومائه ، وكان يوم توفي ثلاث وأربعون سنة وكانت
ولايته عشر سنين وشهرا وأربع عشر ليلة وصلى عليه ابنه هارون وقد كان نقش
خاتمه « استقدر الله تعالى »

الهادي بن مهدي أبو محمد

وولي موسى بن أبي محمد أبي جعفر المنصور في اليوم الذي مات فيه أبوه ،
وكان موسى يومئذ بجرجان وامه الخيزران أم ولد ، بويج ببغداد وانفدت البيعة
إليه وهو بجرجان ثم قدم الهادي ببغداد وتوفي موسى الهادي يوم الجمعة
بموضع يقال له عيساباذ من سواد العراق وذلك يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة
مضت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة وكان له يوم توفي خمس وعشرين
سنة وكانت ولايته أربع عشر شهرا إلا ست ليال وصلى عليه أخوه هارون
الرشيد بن الهادي وكان نقش خاتم الهادي « الله ربي »

الرشيد بن المهدي

وولي هارون بن محمد بن أبي جعفر المنصور في اليوم الذي توفي فيه أخوه
موسى وكنيته أبو جعفر وأمه أم ولد وتوفي هارون الرشيد بطوس بموضع يقال له
سناباد بخارج النوقان وكان قد خرج من جرجان إليها وذلك في جمادى
الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة وكان مولده بمدينة السلام ، وكان نقش خاتم
هارون « بالله ثقتي » ورأيت قبر هارون الرشيد تحت قبر علي بن موسى الرضا
بينهما مقدار زراعين في رأى العين ، على في القبلة وهارون في المشرق مما
يليه وكان لهارون يوم توفي تسع وأربعون سنة وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة
و شهرين وسبعة عشر يوما.

الأمين بن الرشيد أبو عبد الله

وولي محمد بن هارون وأمه زبيدة وهي أم جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر
المنصور ومحمد يومئذ ببغداد فوقعت البيعة عليه بطوس وهو غائب ببغداد ثم

أخذ يبيعة الناس لابنه محمد بعده ثم أخذ يبيعة الناس لابنه عبد الله بعد محمد ، فلما مات هارون وولى محمد جعل عبد الله بن الحسين الأعور لمحاربه الأعمال بطوس وخرسان بعد موت أبيه وأنفذ طاهر أخيه ببغداد فوافى طاهر ببغداد وحاصر الأمين بها وقاتله إلى أن قتله ، وأنفذ رأسه إلى المأمون وكان ذلك يوم الأحد لسبع لقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائه وكان نقش خاتم الأمين « قاصده لا يخيب »

المأمون بن الرشيد أبو العباس

وولى عبد الله بن هارون المأمون أخو محمد ببغداد فى اليوم الذى قتل فيه أخوه وبايعه الناس بيعة العامة وكانت أمه أم ولد اسمها مراحل توفى المأمون بالبلذندون خارج طرسوس على طريق الروم فى شهر رجب لإحدى عشرة ليلة خلت منه سنة ثمان عشرة ومائتين ، وحمل إلى طرسوس وصلى عليه أخوه أبو إسحاق المعتصم ، ودفن بطرسوس ، وكان له يوم مات ثمان وأربعون سنة وثلاثة أشهر ولأيته عشرين سنة وستة عشر يوماً ، وكان مولده بمدينة السلام . وكان نقش خاتمه « الله ثقة عبد الله وبه يؤمن » .

المعتصم بن الرشيد أبو إسحاق

وولى محمد بن هارون أبو إسحاق المعتصم أخو المأمون بعد دفن أخيه بطرسوس ، وأمّه أم ولد اسمها ماردة ، فأخذ المعتصم فى إجبار ما لا يحتاج إليه ، وضرب أحمد بن حنبل بالسياط وقتل أحمد بن نصر الخزاعى ، حتى بقى الناس فى تلك الفتنة إلى أن مات المعتصم بسر من رأى من أرضى القاطول ليلة الخميس لثمان عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين ، وقد قتل : لثمان بقين من شهر ربيع الأول ، وصلى عليه ابنه الواثق ، وكان له يوم توفى سبع وأربعون سنة وثلاثة عشر يوماً ، وكانت ولأيته ثمان سنين وثمانية أشهر ، وكان نقش خاتمه « الحمد لله الذى ليس كمثله شيع » .

الوائق بن المعتصم أبو جعفر

وولي هارون - وأبوه إسحاق المعتصم بن الرشيد - بعد دفن أبيه ، وأمه أم تدعى قراطيس ، وكان للوائق يوم ولي ستة وعشرون سنة وشهران وثمانية أيام ، وتوفي يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وكانت ولايته خمس سنين وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وصلى عليه أخوه جعفر المتوكل ، وكان مولد اللوائق بمدينة السلام ، ونقش خاتمه « لله ثقة اللوائق » .

المتوكل بن المعتصم أبو الفضل

وولي جعفر بن محمد بن هارون بعد دفن أخيه اللوائق بن المعتصم ، وأم المتوكل أم ولد اسمها شجاع ، وكان له يوم ولي ثمان وعشرون سنة ، فأظهر المتوكل محبة السنة والميل إليها وأنكر ما كان يفعله أبوه وأخوه في هذا الشأن ورفع من شأن أهل العلم ، ومرهم على أحمد بن نصر ، فمالت قلوب العوام إليه ، وقتل المتوكل يوم الأربعاء لخمس خلون أو لسبع خلون من شهر شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ، وقتله ابنه المنتصر وهو الذى صلى عليه ، وكان نقش خاتم المتوكل « لا إله إلا الله ، المتوكل على الله » ، وكانت خمس عشرة سنة وشهرين .

المنتصر بن المتوكل أبو جعفر

وولي محمد بن جعفر بن محمد بن هارون المنتصرين المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد فى اليوم الذى قتل فيه أبوه ، وبايعه أخواه المعتز والمؤيد ، وكانت أم المنتصر أم ولد يقال لها حبشية ، ومات المنتصر بن المتوكل يوم الاثنين لأربع خلون من شهر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وصلى عليه المستعين ابن المعتصم عمه ، وكان نقش خاتم المنتصر « محمد بالله ينتصر » .

المستعين بن المعتصم أبو عبد الله

وولي أحمد بن محمد بن هارون ، وهو آخر جعفر المتوكل وعم المستنصر

ابن المتوكل ، وأم المستعين اسمها مخارق أم ولد ، وبويج في اليوم الذي توفي فيه المنتصر ، فلما دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين وقع بين المعتز والمستعين الفتن الكثيرة والمناوشات الشديدة إلى أن خلع المستعين نفسه في آخر سنة إحدى وخمسين ومائتين ، وذلك يوم الأربعاء للنصف من المحرم ، وكان نقش خاتم المستعين « أحمد بن محمد » .

المعتز بن المتوكل أبو عبد الله

وبايع بعد خلع المستعين نفسه الزبير بن جعفر بن محمد بن محمد ابن هارون ، وهو المعتز بن المتوكل ، أمه أم ولد اسمها قبيصة ، وقتل المعتز في شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان نقش خاتمه « المعتز بالله » .

المهتدي بن الواثق أبو عبد الله

وولي محمد بن هارون محمد وهو المهتدي بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد بسر من رأى ليومين بقيا من رجب سنة خمس وخمسين وغلب عليه الأتراك إلى أن قتلوه لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتان وكانت أمه أم ولد ونقش خاتم المهتدي محمد أمير المؤمنين .

المعتمد بن المتوكل أبو العباس

وولي أحمد بن جعفر وهو المعتمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد في اليوم الذي قتل فيه المهتدي وأمّه أم ولد اسمها فتيان فجعل المعتمد أخاه أبا أحمد الموفق ولي عهده يوم الجمعة لاثنتي عشرة دخلت من ذى الحجة سنة إحدى وستين ومائتين فجعل الموفق يبعده ويحجب الناس عن المعتمد واعتل أنه مأجور وكان للمتوكل ثلاثة بنين أكبرهم محمد بن جعفر وهو المنتصر ، والأوسط منهم أحمد بن المعتمد والأصغر طلحة بن جعفر وهو والوسط منهم الموفق أبو أحمد وتوفي أبو أحمد الموفق من علة صعبة كانت به يوم الخميس لثمان خلون من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين وتوفي لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وكان له يوم توفي ستون سنة

المعتضد بن الموفق بن المتوكل أبو العباس

وولي أحمد بن طلحة بن جعفر وهو ابن أبي الموفق في اليوم الذي توفي فيه المعتمد وكانت أمه أم ولد وتوفي المعتضد ببغداد ليلة الاثنين لثمان بقين من شهر الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وقد قيل إن المعتضد توفي يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين وقد قيل غلسه أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب وصلى عليه أبو يوسف وكان له يوم توفي ست وأربعون سنة وكان نقش خاتمه « المعتز بالله » .

المكتفى بن المعتضد أبو محمد

وولي على بن أحمد بن جعفر بعد دفن أبيه وأمه أم ولد جارية تركية ليله وتوفي المكتفى ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وغسله أبو عمر وهو الذي صلى عليه وكان للمكتفى يوم توفي إحدى وثلاثون سنة

المقتدر بن المعتضد بن المتوكل أبو الفضل :

وولي جعفر أخو المكتفى في اليوم الذي توفي فيه أخو المكتفى وأم المقتدر أم ولد يقال لها شغب وكان مولد المقتدر سنة اثنين وثمانين ومائتان وبابغ الخاص لعبد الله بن المعتز في الشهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين وبقي مع المقتدر الحجرية وجماعة من الحشم وعوام الناس فركب الحسين بن حمدان في جماعة معه من الأعراب وجاء إلى باب المقتدر ثم ذهب الحسين بن حمدان في جماعة معه قاصدا دار ابن المعتز فحارب وقتل ظاهرا مكشوفاً والعباس بن الحسن بن أيوب وكان كاتب المعتز وظفر بأصحاب ابن المعتز فهزم وقبض على عبد الله بن المعتز وقتله واستوى أمر المقتدر وهدأت أمور الناس وصار الناس كأنهم نيام لا يحسبون بفتنة وعمرت والدته الحرمين وانفقت عليهما وكذلك عمرت بيت المقدس وكانت تنفق عليها وعلى الشغور في كل سنة أموالا خطيرة وارتفع أهل العلم في كل بلد من الدنيا ورأيت بغداد في تلك

الأيام أطيب ما كانت وأعمرها ثم أناءت أمور المقتدر عليه سنة ست عشرة وثلاثمائة واتفق الناس على خلعه فخلعوا وأقعدوا أخاه القاهر مكانه بعد أن خلع المقتدر نفسه فبقى القاهر ثلاثة أيام كذلك ، ثم خلع القاهر نفسه وباع الناس المقتدر ثانيا وعمل المقتدر إلى آخر سنة عشرين وثلاثمائة ثم اضطرب الجيش وهيجهم مؤنس على المقتدر فركب المقتدر بنفسه ليسكن القوم وعليه برده رسول الله ﷺ فبينما هو واقف ومعه الخلق من الجند إذا جاء رجل بربرى لا يعرف من هو فتوهموا أنه يريد أن يسلم عليه فلما دنا رماه بحريته فقتله وذلك يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة .

القاهر بن المعتضد بن العباس

وولى محمد بن أحمد بن طلحة بن جعفر وهو أخ المقتدر والمكتفى فى اليوم الذى قتل فيه أخوه المقتدر وبقى فى الولاية سنة وستة أشهر ثم كحل^(١) وخلع ، وتوفى القاهر سنة الثنتين وعشرين وثلاثمائة

الراضى بن المقتدر أبو العباس

وولى محمد بن جعفر بن أحمد بن طلحة وهو الراضى بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ومات الراضى فى أول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

المتقى بن المقتدر

وولى إبراهيم بن جعفر بن أحمد بن طلحة بن جعفر فى أول سنة الثنين وثلاثين وثلاثمائة وتوفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

المطيع بن المقتدر

وولى المفضل بن محمد أحمد بن طلحة بن جعفر وهو ابن المقتدر بعد دفن

(١) أى خلعوا عينيه .

المستكفى هو باق لا أدري ما الله صانع به إلا أنه خليفة يموت أو يقتل لا محالة لأن له أسوة بمن فقدهم والله أعلم .

ذكر الخلفاء الراشدين والملوك الراغبين

أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي ثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ثنا الوليد ابن مسلم ثنا الأوزاعي حدثني الزهري عن أبي سلمة عن هريرة عن رسول الله ﷺ قال « يكون بعدى خلفاء يعملون بما يعلمون ويفعلون ما يؤمرون ثم يكون بعدهم خلفاء يعملون بما لا يعلمون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن انكر عليهم فقد برىء ولكن من رغب وتابع ، قال أبو حاتم : قد ذكرنا جمل ما يحتاج إليه من الحوادث التي كانت في أيام الخلفاء الأربعة الراشدين المهتدين وأوماننا إلى ذكر من كان بعدهم من بنى أمية وبنى العباس وأغضبينا عن ذكر من أخبرهم لم يلتفت الناظر في كتابنا هذا عليه لإمعاننا في ذكر الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس من كتابنا وإنا سنذكر بعد هذا أصحاب رسول الله ﷺ في كتاب واحد واحداً بانسابهم وقبائلهم وما يعرف من انسابهم وأوقاتهم كيلا يتعذر على سالك سبيل العلم الوقف على أنبيائهم إن أراد الله ذلك وشاء نسأل الله العون على ما يقرئنا إليه ويزلفنا لديه إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

أول كتاب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد خاتم النبيين وعلى آله وأزواجه وزرئته وأصحابه أجمعين قال أبو حاتم محمد بن حيان التميمي رضى الله عنه أخبرنا أبو يعلى أحمد بن علي خلف بن هشام البزار وعبد الواحد بن غياث قالا ثنا أبو عوانة عن زرارة بن عمران بن حزين قال رسول الله ﷺ خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم قال أبو حاتم محمد بن حبان التميمي خير هذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ صحبوه ونصروه وذلوا له أنفسهم وأموالهم ابتغاء مرضاة من الله من المهاجرين والأنصار ومن آمن به وصدقه من غيرهم . فمنهم العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة :

أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وقد ذكرناهم بأيامهم وما يجب من الوقوف على أخبارهم فيما قبل في أجزاء أفردتها في أخبارهم وما كان في مددهم من الفتوح .

وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وهو قرشى ، وكنيته أبو محمد ، وكان يقال له : الفياض ، لكثرة بذله الأموال ، ولحق النبي ﷺ ببدر بعد فراغة من بدر ، بعثه النبي ﷺ إلى حوراء ليتجسس أخبار العير ، فضرب له النبي ﷺ بسهمه وأجره ، وقتله مروان بن الحكم بسهم رماء ، ومات سنة ست وثلاثين يوم الجمل لعشر ليال يخلون من جمادى الأولى وهو ابن أربع وستين سنة ، وقد قيل : فى شهر رجب ، وقبره بالبصرة مشهور يزار ، وأم طلحة الصعبة بنت عبد الله بن عماد بن مالك بن حضير موت .

والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وهو قرشى ، وكنيته أبو عبد الله ، وكان من حوارى رسول الله ﷺ .

وأم الزبير صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، شهد بدرأ وهو ابن تسع وعشرين سنة ، وقتل فى شهر رجب سنة ست وثلاثين ، قتله عمرو بن جرموز ، وكان له يوم مات أربع وستون سنة ، وأوصى إلى ابنه عبد الله صبيحة يوم الجمل فقال : يا بنى ! ما من عضو منى إلا وقد جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى ذلك إلى فرجى فقتل من آخر يومه ، وقبره بوادى السباع من أرض بنى تميم مشهور يعرف ، وللزبير عشرة من البنين وابنتان : عبد الله وعاصم وعروة والمنذر ومصعب وحمزة وخالد وعمرو وعبيدة وجعفر ، والابنتان : رملة وخديجة .

وسعد بن أبى وقاص ، وهو سعد بن مالك بن وهيب - ويقال : أهيب - بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن

مالك بن النضر ، وكنيته أبو إسحاق ، وأمه : حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، مات في قصرة بالعقيق ، وجعل على أعناق الرجال إلى المدينة عشرة أميال سنة خمس وخمسين ، وقد قيل : سنة ثمان وخمسين ، وصلى عليه مروان بن الحكم ، وكان واليها في أمارة معاوية ، وله يوم مات أربع وسبعون سنة ، وكان قد أسلم وهو ابن تسع عشرة سنة ، وحمل من أولاد سعد العلم عمر ومحمد وعامر وموسى ومصعب وعائشة .

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن زراح بن عدي بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وكنيته أبو الأعور ، قدم من الحوراء مع طلحة بعد ما انصرف النبي ﷺ من بدر ، فضرب له النبي ﷺ بسهمه وأجره ؛ مات سنة إحدى وخمسين وهو ابن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة ، ودخل قبره سعد بن أبي وقاص وابن عمر ؛ أمه فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد بن خالد بن خزاعة .

وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وكنيته أبو محمد ، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن ، وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن المهاجرات ، مات لست بقين من خلافة عثمان وهو ابن خمس وسبعين سنة ودفن بالبقيع ، ولعبد الرحمن بن عوف عشرة بنين : محمد وإبراهيم وحמיד وزيد وأبو سلمة ومصعب وسهل وعثمان وعمر والمسور سوي البنات اللاتي كن له .

وعامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ، وكنيته أبو عبيدة وتوفي في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة في خلافة عمر وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وكان قد شهد بدرأ وهو ابن إحدى وأربعين سنة وهو من جلة الصحابة وأمه بنت عبد العزى ابن شقيق بن سلامان من بني فهر .

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
بين يدي الكتاب	١
ترجمة المؤلف	٥
كتاب السيرة النبوية وأخبار الخلفاء	١١
ذكر الحث على لزوم سنن المصطفى	١٤
ذكر الحث على نشر العلم	١٧
ذكر الخبر الدال على استحباب حفظ تاريخ المحدثين	١٧
ذكر مولد رسول الله ﷺ	١٩
ذكر نسب سيد ولد آدم وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ﷺ	٢٢
ذكر خروج النبي ﷺ إلى الشام	٣٤
ذكر تفضل الله على رسوله المصطفى ﷺ بالكرامة والنبوة بين خلق آدم ونفخ الروح فيه	٣٦
ذكر صفة بدء الوحي على رسول الله ﷺ	٣٦
فشاً ذكر الإسلام بمكة	٤٠
ذكر عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل	٥١
ذكر بيعة العقبة الأولى	٥٦
أول جمعة جمعت بالمدينة	٥٩
ذكر الإسراء برسول الله ﷺ ليلة المعراج	٥٩
ذكر بيعة الأنصار بالعقبة الآخرة رسول الله ﷺ	٦٢
ذكر هجرة رسول الله ﷺ إلى يثرب	٦٧
ذكر قدوم النبي ﷺ المدينة	٧٤
السنة الثانية من الهجرة	٨٢
— غزوة بدر	٨٦
— ذكر عدد وتسمية من شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ	١٠١

الموضوع	الصفحة
- غزوة بنى قينقاع	١١٥
- غزوة السوق	١١٦
السنة الثالثة من الهجرة	١١٦
- سرية الفردة	١١٨
- غزوة أحد	١٢٠
السنة الرابعة من الهجرة	١٢٨
- غزوة الرجيع في صفر	١٣٠
- غزوة بنى النضير	١٣٠
- بدر الموعد	١٣٢
- سرية الخرج إلى سلام بن أبي الحقيق	١٣٣
السنة الخامسة من الهجرة	١٣٤
- غزوة ذات الرقاع في المحرم	١٣٩
- غزوة دومة الجندل	١٤١
- غزوة المريسيع	١٤٢
- غزوة الخندق	١٤٣
- غزوة بنى قريظة	١٤٧
- سرية عبد الله بن أنيس	١٥٠
السنة السادسة من الهجرة	١٥٠
- غزوة الحديبية	١٥٨
- غزوة ذي قرد	١٦٣
السنة السابعة من الهجرة	١٦٥
- غزوة خيبر	١٦٩
- قتلى المسلمين بخيبر	١٧٢

السنة الثامنة من الهجرة	١٧٦
– المسير إلى هوازن	١٩١
السنة التاسعة من الهجرة	١٩٧
– غزوة الروم	٢٠١
السنة العاشرة من الهجرة	٢١٣
– ذكر وفاة رسول الله ﷺ	٢٢١
– ذكر وصف رسول الله ﷺ	٢٣١
أخبار الخلفاء	٢٣٥
استخلاف أبي بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنه	٢٣٧
استخلاف عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه	٢٥٩
استخلاف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه	٢٨٩
– السنة السادسة والعشرون	٢٩١
– السنة السابعة والعشرون	٢٩٢
– السنة الثامنة والعشرون	٢٩٣
– السنة التاسعة والعشرون	٢٩٣
– السنة الثلاثون	٢٩٤
– السنة الحادية والثلاثون	٢٩٥
– السنة الثانية والثلاثون	٢٩٥
– السنة الثالثة والثلاثون	٢٩٦
– السنة الرابعة والثلاثون	٢٩٦
– السنة الخامسة والثلاثون	٢٩٧
استخلاف علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٣٠٢
– السنة السادسة والثلاثون	٣١١

- ٣١٥ - السنة السابعة والثلاثون
- ٣٢١ - السنة الثامنة والثلاثون
- ٣٢٢ - السنة التاسعة والثلاثون
- ٣٢٤ - السنة الأربعون
- ٣٢٦ ذكر البيان بأن من ذكرناهم كانوا خلفاء ومن بعدهم كانوا ملوكاً
- ٣٢٧ - يزيد بن معاوية أبو خالد
- ٣٣١ - معاوية بن يزيد أبو ليلى
- ٣٣٢ - مروان بن الحكم
- ٣٣٢ - عبد الملك بن مروان أبو الوليد
- ٣٣٣ - وليد بن عبد الملك أبو العباس
- ٣٣٤ - سليمان بن عبد الملك أبو أيوب
- ٣٣٤ - عمر بن عبد العزيز أبو حفص
- ٣٣٤ - يزيد بن عبد الملك أبو خالد
- ٣٣٥ - هشام بن عبد الملك أبو الوليد
- ٣٣٥ - الوليد بن يزيد بن عبد الملك أبو العباس
- ٣٣٥ - يزيد بن الوليد بن عبد الملك أبو خالد
- ٣٣٦ - إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك أبو إسحاق
- ٣٣٦ - مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أبو عبد الملك
- ٣٣٧ - السفاح أبو العباس
- ٣٣٧ - المنصور أبو جعفر أخوه
- ٣٣٧ - المهدي بن المنصور أبو عبد الله
- ٣٣٨ - الهادي بن مهدي أبو محمد
- ٣٣٨ - الرشيد بن المهدي أبو جعفر

الموضوع	الصفحة
- الأمين بن الرشيد أبو عبد الله	٣٣٨
- المأمون بن الرشيد أبو العباس	٣٣٩
- المعتصم بن الرشيد أبو إسحاق	٣٣٩
- الواثق بن المعتصم أبو جعفر	٣٤٠
- المتوكل بن المعتصم أبو الفضل	٣٤٠
- المنصور بن المتوكل أبو جعفر	٣٤٠
- المستعين بن المعتصم أبو عبد الله	٣٤٠
- المعتز بن المتوكل أبو عبد الله	٣٤١
- المهتدي بن الواثق أبو عبد الله	٣٤١
- المعتمد بن المتوكل أبو العباس	٣٤١
- المعتضد بن المرفق بن المتوكل أبو العباس	٣٤٢
- المكتفي بن المعتضد أبو محمد	٣٤٢
- المقتدر بن المعتضد بن المرفق بن المتوكل أبو الفضل	٣٤٢
- القاهر بن المعتضد أبو العباس	٣٤٣
- الراضي بن المقتدر أبو العباس	٣٤٣
- المتقي بن المقتدر	٣٤٣
- المطيع بن المقتدر	٣٤٣
- ذكر الخلفاء الراشدين والملوك الراغبين	٣٤٤
- أول كتاب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين	٣٤٤
- فهرس المواضيع	٣٤٧